حجاب بن يحيى الحازمي

القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي

حياته من شعره

مع نماذج من شعره المخطوط

حجاب بن يحيى الحازمي

القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي

حياتـــه من شعره
مع نماذج من شعره المخطوط

ح حجاب يحيى الحازمي، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحازمي، حجاب يحيى

القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي: حياته من شعره: مع نماذج من شعره المخطوط/ حجاب يحيى الحازمي – مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ

٣٢٠ ص، ١٧×٢٤

ردمك: ٣-٣٤-٦١٧-٩٩٦٠

١- ابن هتيمل، القاسم بن علي، ت ٦٩٦هـ ٢- الشعر العربي- نقد – اليمن – العصر العباسي أ- العنوان

ديوي ٨١١,٧٤ ١٤٢٣/٦٦٣٤

رقم الإيداع: ١٤٢٣/٦٦٣٤

ردمك: ٣-٣٤-٦١٧-٩٩٦٠

الغلاف بريشة الفنان

ناصر أحمد الرفاعي

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الباحثين عن التراث العربي الحي .. إلى محبي الكلمة الشاعرة .. إلى هؤلاء وأولئك أقدم هذه القراءة المتواضعة عن شاعر فحل من شعراء الأمة العربية والإسلامية في القرن السابع الهجري .

تناقلت شعره الأجيال .. ودوّى صيته في الآفاق ..

تقـــديم

أحمد الله الـذي لا إلٰـه إلا هو وأصلي وأسلم على سيدنــا محمــد وعلى آلـه وصحابته الغر الميامين وعلى التابـعين لهم بإحسان إلى يوم الديـن .. أمـا بعـد :

فما كان يدور بخلـدي أن يحظـى الجزءَ الـذي نشرتـه من البـحث الخاص بالشاعـر ابـن هتيمـل بكـل ذلك الاهتمام، ولم يكـن في حسبـاني أن أجـد من القراء الأفاضل ذلك التشجيع .

فلقـد صدر ضمـــن منشورات نادي جازان الأدبي كتـــاب (محاضرات نادي جازان الأدبي لعـام ١٣٩٨هـ) وكان الكتـــاب يضم محاضرات لبـعض كبـار الأدبـاء والمفكريـن بالمملكـة، أمثال الشاعـر الناقـد الكبير محمــد حسن عواد، والعلامـة الأديب اللغـوي المؤرخ عبـد القـدوس الأنصاري، والدكتــور مدني عبـد القـادر علاقي، والشاعــر الأديب حسن بن علي القــاضي .. حينها أشفـق عليَّ خاصة الأصدقــاء من حشر بحثـي المتـــواضع إلى جانب هؤلاء الفطاحل ، وظننـت لكثرة ما أحاطوني به من شفقـة أن نصيب بحثي سيكـون الإهمال .

ولكـن البـاحث عن التـراث ربما وجـد بعض بغيتــه في ذلك البـــحث الصغير المتـواضع، أو هكـذا خُيِّل إليَّ بعـد استقـراء الرسائـل التـي تلقيتها من بعض القـراء ممن أعـرف ومـن لا أعـرف ولعـــل أجلَّهـــا تأثيراً في نفسي تلك الرسائل التي تطالبني بالتـوسع في دراسة شعـر هذا الشاعـر الفـذ والبـحث عن ديوانـه ومحاولـة إعـادة نشره كامـلاً ؛ فمـن حق القـراء أن يطَّلعـوا على شعـــره كاملاً غير منقوص ولا مبتور، وهـذه أمنيـة أرجـو من العلي القديـر أن يوفقنـي

لتحقيقها في مقبل الأيام .. ومن بين تلك الرسائل رسالة تلقيتها من رئيس نادي جازان الأدبي الأسبق الأستاذ محمد أحمد العقيلي يهنئني على ما ورد من ثناء مستطاب على محاضرتي من مدير إدارة الأندية الأدبية برعاية الشباب .

هذا إلى جانب التشجيع الشخصي من الأصدقاء المقربين والإلحاح منهم على توسيع الدراسة وتوضيح صورة هذا الشاعر وشعره، ومحاولة نشر بعض شعره الذي حُرِمَ منه محبو الشعر ومتذوقو الأدب ؛ ولعل مصدر هذا الاهتمام وذلك التشجيع الذي حظي به هذا البحث المتواضع يرجع إلى كونه يرصد حياة شاعر عظيم من شعراء الأمة العربية في القرن السابع الهجري الذين قَدّمَتْهم بلدةُ ضمد بالمخلاف السليماني في منطقة جازان ضمن جهابذة الفكر والأدب خلال تاريخها الطويل !!

وأمام هذا الإلحاح المتواصل عدْتُ إلى مسودات البحث بشيء من الأناة والتروّي فَهذّبْتُ ما يحتاج إلى تهذيب ، وأضفت بعض إضافات وجدتها ضرورية — كما خُيِّل إلي — ولعلها من أسس البحث، كما وجدت أن أجمل شعر الشاعر لم ينشره العقيلي ضمن ما اختاره من شعره في طبعته الأولى والثانية ومما لم يتسنَّ لي تدوينه ضمن البحث المنشور في كتاب (محاضرات نادي جازان الأدبي لعام ١٣٩٨ هـ) . فحرصت — وقد أعدت النظر في هذه الدراسة — أن أتحف القاريء المتابع بقصائد أخرى من شعر ابن هتيمل الذي استبعد العقيلي بعضه إما خوفاً من إثارة نعرات قبلية متوهمة ، وإما تحاشياً للمبالغة التي لا يسلم منها شاعر قديم أو حديث ، ومع ذلك ظلت كتب الأدب حفية بمبالغاتهم على مر الأجيال .

وحين أعدتُ النظر وجدتُ فصولا في مسودة البحث لم أكتبها في مبيضة البحث المنشور بهدف الاختصار وعدم الإطالة مع الإشارة إليها في

ثنايا البحث فاخترت منها فصولا جديدة مثل :

(الشيب في شعر ابن هتيمل، الطبيعة في شعر ابن هتيمل، نجد في شعر ابن هتيمل .... الخ) كما توسعت في بعض الفصول .. وأصبحت الدراسة في ثوبها الجديد تشتمل على مدخل وأربعة أبواب وخاتمة ، خُصِّصَ الباب الأول للحديث عن الشاعر : ولادته، ووفاته، وعصره، وصلاته بأمراء عصره وشعرائه وإثبات انتمائه للمخلاف السليماني، وثقافته ، وقبيلته ..

وتحدث البحث في الباب الثاني عن شعره ، فأشار إلى أماكن نسخ الديوان المخطوطة، ووصف النسختين اللتين اعتمدهما أثناء اختيار نماذج هذا البحث ، مشيرا إلى عدد القصائد في كل منهما وعدد الأبيات كما تحدث عن الجزء المطبوع الذي اختاره الأستاذ العقيلي من شعر ابن هتيمل واصفاً طريقة تحقيقه وعدد القصائد التي اختارها ، وعدد الأبيات ، وعرَّج على شعر ابن هتيمل فتحدث عن منهجه الشعري وبعض خصائص وأغراض شعره مفيداً في معظم النماذج من شعر ابن هتيمل المخطوط حرصاً على إمتاع القاريء .. كما تناول البحث بعض الجوانب التي زخر بها شعره كالألفاظ والصور الشعبية ، وأثر البيئة ، ونَجْد، والشيب، والشكوى والتشاؤم، والحكم والأمثال في شعر ابن هتيمل . وخُصِّص الباب الثالث للحديث عن مكانة الشاعر بين شعراء عصره ـ وبخاصة في الجزيرة العربية ـ أمثال ابن المقرب وابن منير، وابن سحبان الضمدي .

وفي الباب الرابع كانت الاستراحة إلى نماذج من شعره تمثل أغراضه الشعرية التي نظم فيها ، وقد وقع الاختيار على نماذج من شعره المخطوط الذي لم ينشر بعد، لإمتاع القاريء بشيء جديد من شعره بذل الباحث في الشرح والتعليق على هذا الشعر المختار ما استطاعه من جهد وتعب معترفا بقصور هذه الدراسة عن تحقيق ما كان يطمح إليه ، طامعاً في فسحة من

العمـــر ليتمكـــن من تحقيـــق الديـــوان كامـــلاً بإذن الله تعـــالى .

وبعـــد :

فإنني أضع هذه الدراسة بين يدي القارىء بثوبها الجديد آملاً أن يجد فيها المتعة والفائدة طامعاً في كرمه بأن يسدد كل خلـــل يراه ، والله يتـــولى توفيقنا جميعاً فهو حسبنا ونعم الوكيل .

حجاب بن يحيى بن موسى الحازمي

ضمـــد في : ١٤١٠/١٢/٣هـ

مقدمة الدراسة الأولى

التي نشرت ضمن كتاب (محاضرات نادي جازان الأدبي لعام ١٣٩٨هـ)[١]

في تاريخ الفكر العربي لحظات إشراق وتوهج يصحو فيها فكر الأمة فيقدم للإنسانية عطاء ثرياً يصور تلك اليقظة وذلك التوهج، وبين طيات التاريخ العربي أمثلة رائعة لذلك الاشراق والتوهج الذي أنار الفكر الإنساني حقبة من الزمن ولازال تراثه يشير إلى أن تلك الفترة كانت دفقاً من النور أضاء الطريق الذي يربط بين الماضي والحاضر .

ولقد وعينا في دراستنا الأدبية أن عصور الانحطاط الأدبية تبدأ منذ أن طغت الصناعة اللفظية بتأثير مدرسة البديع التي أصلها القاضي الفاضل في القرن السادس للهجرة ، فاعتنى الشعراء والكتاب ببهارج الزينة اللفظية، وأهملوا الجوانب الهامة التي تكسب الأدب بصورة عامة خلوده وتفوقه، ووعينا كذلك أن تلك العصور امتدت إلى أن ظهرت بواكير النهضة الأدبية الحديثة على أيدي البناة من رواد النهضة الأدبية المعاصرة أمثال البارودي وشوقي وخليل مطران والرصافي في الشعر ، والمنفلوطي والرافعي، ورفاعة الطهطاوي، وطه حسين، والعقاد، والمازني، في النثر . غير أن هناك استثناءات لفترات توهج وإشراق في أقاليم متفرقة من عالمنا العربي تخللت تلك الاغفاءة فأشاعت فيها الحياة ، ومن بين تلك الأقاليم : الإقليم الواقع في الجزء الجنوبي الغربي بالجزيرة العربية المعروف قديما بالمخلاف السليماني نسبة إلى سليمان بن طرف [٢] الحكمي وحالياً باسم منطقة جازان ، فلقد تألقت

---

(١) انظر كتاب: محاضرات نادي جازان الأدبي لعام ١٣٩٨هـ ص٩ وما بعدها .

(٢) انظر الورقة «٥» من مخطوطة الديباج الخسرواني للحسن بن أحمد عاكش .

فيه لآلىء الفكر فأضاءت ثنيات التاريخ إبّان حلكته الشديدة فأشرقت في هذا الأقليم شموس حضارات وأنوار فكر أضاءت بعض منعطفات تاريخ أمتنا العربية أثناء إغفاءته التي كان يعاني منها في الأقاليم الأخرى ، ولعل بداية إشراق تلك الشموس تأتي مع إطلالة القرن السابع الهجري الذي يعد بحق العصر الزاهي للغة والأدب في المخلاف السليماني بخاصة وفي المنطقة العربية الممتدة من مكة المكرمة إلى مضيق باب المندب وما جاوره بعامة ، وتعاقبت العصور الأدبية ـ إن جاز هذا التعبير ـ بُعيد القرن السابع فلم تخل حقبة من ميلاد شاعر يرقق المشاعر ويغني للحياة أو مفكر يهذب الوجدان ويسمو بالعواطف .

وفي مستهل القرن السابع وهى الفترة التي اصطلح على تسميتها «بداية عصور الانحطاط» قدمت ضَمَدْ شاعرين عظيمين من شعراء الأمة العربية حملا رسالة الأدب وقدّما للغتهما ثروة أدبية وفكرية كان لها من الدويّ والإعجاب ما جعل أصحاب المصنفات في عصرهما والعصور التي تلته يفردون عنهما الدراسات المتتابعة ، فكانا بحق من خيرة شعراء القرن السابع للهجرة لا في ضَمَدْ والمِخْلَافِ السُّلَيْمَانِيِّ وحدهما بل وفي سائر أنحاء الوطن العربي ، ولئن كنت قد حصرت النبوغ في شاعرين فقط من شعراء القرن السابع في ضَمَدْ هما : القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي وأبو عامر منصور ابن سحبان الضمدي بسبب شهرتهما وتحدث المصنفات عنهما فمن يدري لعل الأيام تكشف لنا عن شعراء آخرين عاصروا الشاعرين أو أتوا بعدهما فأسهموا في إثراء المكتبة العربية في تلك الحقبة من تاريخ أمتنا . ولقد استمرت ضمد بفضل من الله حتى وقتنا هذا مركز إشعاع في منطقة المخلاف السليماني، تنجب للفكر رجالاً أفذاذاً، وتغذي اللغة والأدب بأبلغ القول من سامي الشعر وعالي البيان ؛ ففي القرنين الثاني عشر والثالث

عشر [1] مثلا كانت مدينة ضَمَدْ محجَّةً للعلم ومنهلاً لرواده ، وكان بها من العلماء الأجلاء والأدباء والشعراء خلال هذين القرنين ما جعل الحسن بن أحمد عاكش يؤكد في مؤلّفه الموسوم بالديباج الخسرواني ما قاله أحمد بن أبي الرجال عن الحركة العلمية والأدبية في ضمد خلال القرن العاشر وما قبله في كتابه (مطلع البدور) من: أنه مما اشتهر على الألسن أن ضمد لا تخلو من عالم محقق أو أديب بليغ ــ فقال عاكش بعد سرد هذه العبارة : « والمشاهد اليوم ــ أي في القرن الثالث عشر ــ أن قضاة المخلاف والمعلمين جلهم من أهالي ضمد »[2] ولست في مقام الحديث عن الحركة العلمية والأدبية في ضمد ولكن لأنها بلدة شاعرنا القاسم بن علي بن هتيمل المعني بهذه الدراسة أحببت أن أشير بإيجاز شديد إلى هذه الناحية ، وأحيل راغبي الاستزادة إلى (نيل الوطر) و (نيل الحسنيين) لمحمد محمد زباره وهما مخطوطان وإلى (مطلع البدور ومجمع البحور) لأحمد بن أبي الرجال ، مخطوط، وإلى (الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني) و (عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر) و (حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدّهر) للعلامة الحسن بن أحمد عاكش مخطوطات، وإلى (العقيق اليماني في وفيات المخلاف السليماني) للعلامة عبد الله بن علي النعمان الضمدي وهو مخطوط، وإلى (البدر الطالع في تراجم من بعد القرن السابع) للعلامة محمد ابن علي الشوكاني ، مطبوع، وإلى (الجواهر اللطاف في أنساب أشراف

---

(١) لم تعرف حركة العلم والأدب في ضمد ركوداً خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر فقد برز خلال تلك القرون فطاحل العلماء وفحول الشعراء أمثال العلامة المعروف محمد بن علي بن عمر الضمدي وابن قنبر وأحمد بن عبد الله الضمدي والحسن بن أحمد عاكش .. وغيرهم ..

(٢) الديباج الخسرواني لعاكش مخطوط . ورقة ٨٢ .

صبيـاء والمخلاف) مخطـوط لمحمـد حيـدر القبـي .. ففـي هذه الكـتب وغيرهـا من كتب تاريخ المنطقة وما جاورهـا ذكـر وإشادة بمكانـة مدينـة ضمـد العلميـة والأدبية تدلنا على أن نبوغ ابن هتيمل وأمثاله أمر تقتضيه الأحـوال .

مدخـــل

استمرت صحبتي بابن هتيمل الضمدي شاعر القرن السابع في المخلاف السليماني بخاصة، والجزيرة العربية بعامة ... استمرت علاقتي بهذا الشاعر منذ ما يقارب ثلث قرن من الزمان ولازالت الأيام تزيد صحبتي بالشاعر ابن هتيمل قوة ، وتكسبها متانة ، وتمنحها مزيداً من الصفاء والنقاء ...

فمنذ صدور جزء من شعره بعنوان «ديوان القاسم بن علي بن هتيمل» من اختيار [1] الأستاذ محمد أحمد العقيلي عام ١٣٨١هـ ، وحرصي على التنقيب عن شعر ابن هتيمل لا يتوقف واهتمامي بتسقط أخباره يسبق جل اهتماماتي الأدبية البسيطة، ورغبتي في معرفة المزيد عنه تتجدَّد، وشغفي بالحصول على مزيد من شعره المهمل لا يقف عند حد، ولعل هذا الحرص وذلك الاهتمام بشعر ابن هتيمل يرجعان إلى عدد من العوامل، أعرف بعضها فأندفع إليه، ويعرفني بعضها فيمعن في التخفي . ولابد أن أبادر إلى القول : فأقرر بأن ضمدية الشاعر وكونه ينتسب إلى مسقط رأسي ليست إحدى هذه العوامل ؛ لأن مكانة شاعر كابن هتيمل تتجاوز حدود الإقليمية الضيقة وتجعله يحوز على اهتمام جل متذوقي الشعر، وعشاق الأدب، ولربما كانت إشارتي إلى بعض هذه العوامل تساعد المتأمل في جهدي المتواضع على رسم صورة ولو مصغرة عن هذا الشاعر العملاق ، الذي لم ينل شعره ما يستحق من الدراسة والاهتمام، وأرجو مخلصاً أن يحقق هذا الجهد المتواضع شيئاً من هذا .

---

(١) انظر الأعلام للزركلي ج٥ ص ١٧٨

قد يكون من أهم العوامل : اعتراف الأستاذ العقيلي في مقدمته التي صدَّر بها مشكوراً ما نشره من شعر ابن هتيمل .. وأنه ــ أي العقيلي ــ قد اختار [١] بعض شعر الشاعر وحذف كل ما يمت إلى عصبية .. إلخ .

لعل هذا الاعتراف قد كان من أهم العوامل التي دفعتني للتعلق بابن هتيمل وشعره، مما ضاعف اهتمامي بالبحث عن شعر الشاعر المخطوط ودراسته قدر المستطاع، فكان لي شرف أول لقاء مع هذا الشاعر في عام ١٣٩٧هـ من خلال دراسة أدبية كتبتها عن ابن هتيمل وشعره حاولت فيها التعرف على عصر الشاعر، وأسرته، وبيئته، وثقافته، وأبرز خصائص شعره ، وأهم أغراضه الشعرية .. الخ . ولحسن حظي فقد ألقيتُ تلك الدراسة على هيئة محاضرة أدبية حضرها بعض المهتمين بالفكر والأدب وكان من بينهم الأستاذ العقيلي ــ ناشر بعض شعر الشاعر ــ باعتباره رئيس نادي جازان الأدبي الذي تُلْقىٰ فيه المحاضرة آنذاك، فتكرَّم وحاورني وحاورته في بعض القضايا التي أثارتها الدراسة ،وفي نهاية المحاضرة قررَّ النادي برئاسة الأستاذ العقيلي نفسه طبع تلك المحاضرة مما شجعني على المضيِّ في التنقيب عن شعر ابن هتيمل المخطوط، وبرغم ما بذلت من جهود متواضعة فلم أظفر آنذاك إلا بقصيدة واحدة في كتاب مطلع البدور لابن أبي الرجال هي النونية [٢] التي رثى بها الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين .. وإلاَّ ستة أبيات وجدتها ضمن مختارات أدبية للعلامة الحسن بن أحمد عاكش، وقد

---

(١) يقرر هذه الحقيقة في ص ٣١ من الدراسة التي صدَّر بها نشر ما اختار من الديوان ، وأخيراً أَعَادَ طباعة الجزء الذي اختاره تحت مسمى (مختارات من ديوان ابن هتيمل) وذلك في عام ١٤١٠هـ .

(٢) هذه القصيدة ينفرد بها «مطلع البدور ومجمع البحور» فلا وجود لها فى مخطوطتيّ معهد المخطوطات العربية بالقاهرة او مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز بجدة المصورتين لدى الباحث

اعتبرت حصولي على تلك القصيدة والأبيات الستة التي تبين لي فيما بعد أنها جزء من قصيدة نشرت ضمن المختارات اعتبرت ذلك فتحاً عظيماً ضاعف من إصراري على المضيّ في توسيع تلك الدراسة قدر المستطاع . وحصل بعدها أن عثرت على مختارات من قصيدة تعد من عيون شعر ابن هتيمل، نشرها شاعر اليمن وأديبه أحمد محمد الشامي في كتابه الواسع الانتشار : (قصة الأدب في اليمن) ومطلعها :

قل يانسيم لأهل الضال والسمر   ما صدَّ سامركم عن ذلك السمر

ولكن ذلك التقطع في نفس الشاعر الناتج عن عملية الاختيار جعلني أستمر في الإلحاح على البحث، ثم قدر لي أن حصلت على نسخة من كتاب : (العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية) [1] للجزرجي الذي أورد فيه عدداً من قصائد الشاعر ابن هيتمل بعضها منشور ضمن مختارات العقيلي، ولكنها توضح مقدار ما أصاب تلك القصائد من جراء الحذف والبتر والتشويه باسم الاختيار مما يفقد القصيدة ترابطها .. والنفس الشعري تواصله .. والصور الخيالية تدفقها ،،

ثم أفضل علي الدكتور أحمد حافظ الحكمي [2] فأهداني عشر قصائد مصورة عن مخطوطة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة وكانت تلك القصيدة التي اختار بعضها الشامي إحدى تلك الروائع ، وحين قرأتها كاملة زادت حيرتي واستغرابي من عدم نشر العقيلي لها ولمثيلاتها برغم ما فيها من طلاوة وعذوبة وظللت أبحث طويلاً في سبب

---

(١) الجزء الثاني تكرم به الأستاذ الباحث حسن إبراهيم الفقيه أحد علماء القنفذة وعميد الكلية المتوسطة .

(٢) من أنجال العلامة الشيخ / حافظ أحمد الحكمي صاحب المؤلفات الشهيرة رحمه الله ويعمل عميداً للكلية العربية التابعة لجامعة الإمام بالرياض صدرت له بعض الدراسات والبحوث ولديه بعض الأعمال المخطوطة .

حرمانها من النشر، فليس بها ما (يمت إلى عصبية) [1] كما يبرر العقيلي للحذف والبتر . ولم أجد بها ما يحول دون نشره لها سوى أن بها حشداً كبيراً من الألفاظ التي تضطر صاحب الاختيارات إلى الرجوع لبعض معاجم اللغة مما قد لا يتسع له وقته !! .. وليس ذلك بسبب غرابتها الشديدة .. ولكن لقرب ابن هتيمل من منابع اللغة وتمكنه منها .. وبُعْدنا نحن عن الاغتراف من معين اللغة الثر .. والركون إلى الراحة الذهنية بارتياد الأساليب البسيطة . والألفاظ المستهلكة !! إن لم يكن ذلك هو السبب فما هو الدافع لحرمان القاريء من هذه الرائعة التي يقول في مطلعها :

قل يانسيم لأهل الضال والسمر ما صدَّ سامركم عن ذلك السمر
واشرح حديث الغضا والنازلين به وإن بخلت بشرح الكل فاختصر

وقد يكون هو السبب عينه في عدم نشره لما سأقدمه من قصائد تفوق كثيراً في روعتها ما اختاره من شعر الشاعر في موضوعها لولا اشتمالها على ثروة لغوية تعوز الدارس إلى كتب اللغة . وإذا كنت قد استشعرت الاعتزاز وأنا أقدم فيما مضى ــ قصيدة [2] واحدة وستة أبيات دليلاً على وجود شعر كثير لابن هتيمل لم ينشر فإنه ليسعدني اليوم أن أقدم بين يدي القاريء قصائد أخرى لم تنشر حرمنا الأستاذ العقيلي من الاستمتاع بما فيها من صور وأخيلة جميلة ومعان مبتكرة باتراً إياها من جسد الديوان المثلم !! وأعد القاريء بالاستمرار في التنقيب عن شعر ابن هتيمل المتبقي ما وسعني الجهد . وأشهد أن هذه القصائد ــ كما سيراها المتذوق ــ تمثل ثقافة الشاعر اللغوية والتاريخية وتؤكد تمكنه من فنه وأصالته فيه . فحتى الشعر الذي قاله في صباه يؤكد فحولته وقوته . استمع إليه يخاطب محبوبه في بعض تلك البدايات :

---

(١) مقدمة المختارات .

(٢) انظر كتاب (محاضرات نادي جازان الأدبي لعام ١٣٩٨هـ ص ٧٢) .

ما كان ضرَّكَ والأوقـاتُ مُسعفـةٌ   أن تجعل السَّمَرَ المُستَعْذَبَ الطفَلَا[1]

أو كقوله في صباه أيضاً يخاطب المحبوبة :

بخلتِ بماعون الكلام على امـرئٍ   وحَلَلْتِ قتل الصيد وهو حرامُ[2]
ومازلتِ حتى شابَ وهو مُمـوَّهٌ   شباباً، وحتَّى شاخَ وهـو غُلَامُ

هذه بعض البدايات فكيف به وقد صلب عوده ؟؟ لقد أتى بالروائع فخلب الألباب حتى تناقلت شعره الأجيال . ولا يفوتني وأنا أقدم هذه القصائد أن أؤكد أنها اشتملت إلى جانب الثروة اللغوية على صور أدبية جميلة ومعانٍ مبتكرة .. ولا أجد عليّ غضاضة إذا اعترفت ــ وأنا قليل البضاعة ذو العملة الرديئة ــ بأن بعض ألفاظ هذه القصائد قد استوقفتني أياماً أنقب في مظان كتب اللغة عن مدلولاتها .. وأحياناً في بعض كتب التاريخ من أمثال قوله في وصف أحوال الزمان وأنه يأتي على كل شيء فلا يدوم به ملك جبار ولا صالح مختار :

أَرْدَىٰ كلـيبَ وحـاجبَ بنَ زُرارَة   فضْعـاً ودَمَّـنَ وايـلاً وتميمـاَ
وسَطَـا على لَخْـمٍ وآل مُحـرِّقِ   فتخـرَّم النعمـانَ واليَحْمُومَـا

فكليب .. وحاجب بن زرارة .. وآل محرق .. ولخم .. وتميم .. ووائل .. والنعمان. هذه كلها أعلام على أبطال أو قبائل أو ملوك !! ولكن ما هو اليحموم ؟

لقد وجدت من معانيها الفرس أو الناقة الشديدة السواد [3]!! ولكن هل هذا هو المعنى الذي أراده الشاعر ؟؟ لقد عطف على أسماء الأعلام فلابد أن يكون علماً ! وهكذا طال بي البحث حتى وجدت أن اليحموم : اسم فرس

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) أنظر لسان العرب لابن منظور ج١٥ ص٤٧ .

للنعمان بن المنذر وهكذا فالدهر قد أتى على النعمان بن المنذر وأتى على فرسه الشهيرة باليحموم .

وهذا مثل فقط وإلا فهناك ألفاظ كثيرة استوقفتني وقتاً طويلاً كقوله يصف نياقه التي أقلته إلى بلد الممدوح على عادة شعراء عصره وسابقيه :

قِلاصٌ أبوهنَّ الجديل وشَدْقَمٌ وأخوالُها منها غُزيرٌ وداعرُ

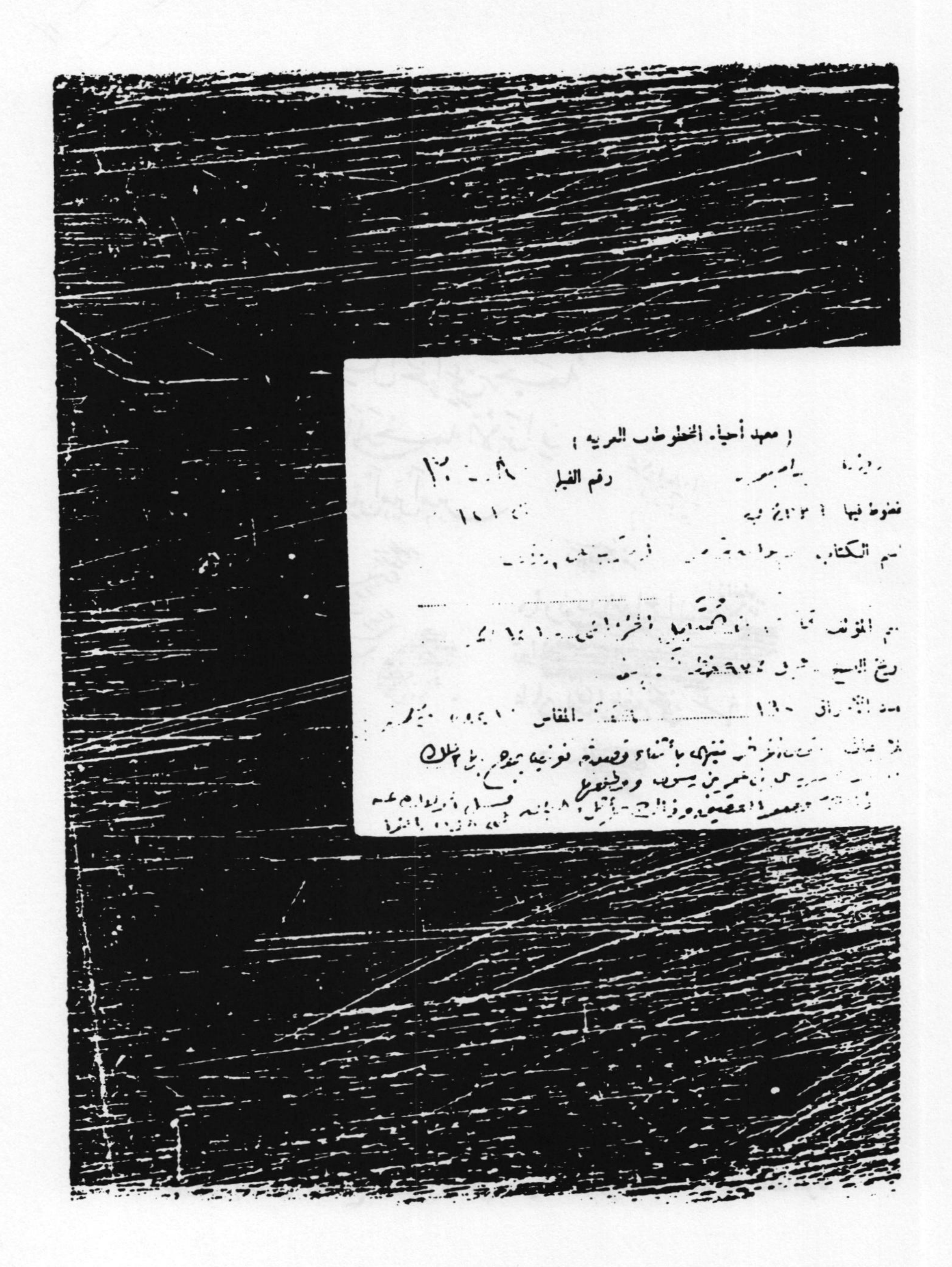
فالجديل وشدقم وغزير وداعر : أسماء إبل مشهورة لعرب مشهورين ولكن ذلك لا يُعرَفُ إلا بعد مشقة وعناء وبحث في المعاجم .

وقد يقول قائل : وما فائدة هذا العناء؟! ولكن الجواب يسبق هذا السؤال البليد بأنه لا فائدة من إعادة كتابة شعر الشاعر مالم نوضح مدلوله ونشرح غامضه ونهيىء السبيل لفهمه وإلا بقى العمل مجرد نقل لا يدخل تحت أي مسمَّىٰ . ولن أتواضع إذا أسميت بعض ما قمت به مجرد تعليق فهو لا يتجاوز الاقتراب فقط من هذه القمة .. وبرغم ما بذلته من جهد متواضع .. وما أنوي بذله ــ إن شاء الله ــ فإنني لازلت أؤكد بأن ابن هُتَيْمِل مغبونٌ في شعره مغبون .. ولازال شعره بحاجة ماسة إلى مزيد من الجهد وإلى مزيد من الدراسة فإنَّ به كنوزا وكنوزا .. وبعد .. فبين يدي القاريء جهد المقل أسميته (مغالطة) دراسة أدبية حشدت فيها بعض الفصول التي لم تستوف حقها من العمق وذيلتها باختيار خمس وعشرين قصيدة جديدة ليست هي كل ما بقي من شعر الشاعر المخطوط .. ولكنها بعض من فيضه الزاخر آثرت أن أقتصر عليها نزولا عند رغبة أحد الإخوة الباحثين الذي رغب أن يكون له إسهام أكاديمي في تحقيق ودراسة شعر ابن هتيمل العذب لذلك كان وقوفي عند هذه التخوم تاركا بقية شعره منهلاً عذباً يعب منه الناهلون .. ولن أتردد في العودة بإذن الله إلى ديوان ابن هتَيْمِل المخطوط لأُكمل المشوار الذي بدأته متى تأكدت من عدول باحثنا الأكاديمي عن تحقيقه .

أما القصائد التي عرضتها في هذه الدراسة سواء ما كان في ثناياها أو الخمس والعشرون قصيدة المختارة فقد حاولت شرح غريبها وتقريب بعض معانيها ما وسعني الجهد وهي كما سيرى القاريء تمثل الأغراض الشعرية المتعددة كالمدح والغزل .. والرثاء والعتاب .. الخ وقد عُدْتُ في تحقيقها ــ إن جاز لي هذا التعبير ــ إلى مخطوطتين إحداهما مخطوطة (معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة) ورمزت إليها بالحرف : (م) والثانية مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز بجدة ورمزت إليها بالحرف (ج) واعتبرت الأولى أصلاً لتقدم تاريخ نسخها الذي يرجع إلى عام ١٠٦٧هـ مع عدم ذكر تاريخ نسخ المخطوطة الثانية ونقصها .

وأرجو مخلصاً أن تمكنني الأيام أو تمكن سواي من استكمال دراسة بقية شعر ابن هتيمل ونشره محققاً تحقيقاً علمياً ، حتى يضم إلى ما نشر حتى الآن ، فلعل ذلك يكمل صورة الشاعر الذي طوَّف شعره في الآفاق .. ولن يطول الانتظار ــ بإذن الله ــ في عصر الاتصال وتبادل المعلومات وانتشار المعارف، لن يطول الانتظار كثيراً .

(صور من مخطوطات ديوان ابن هتيمل)



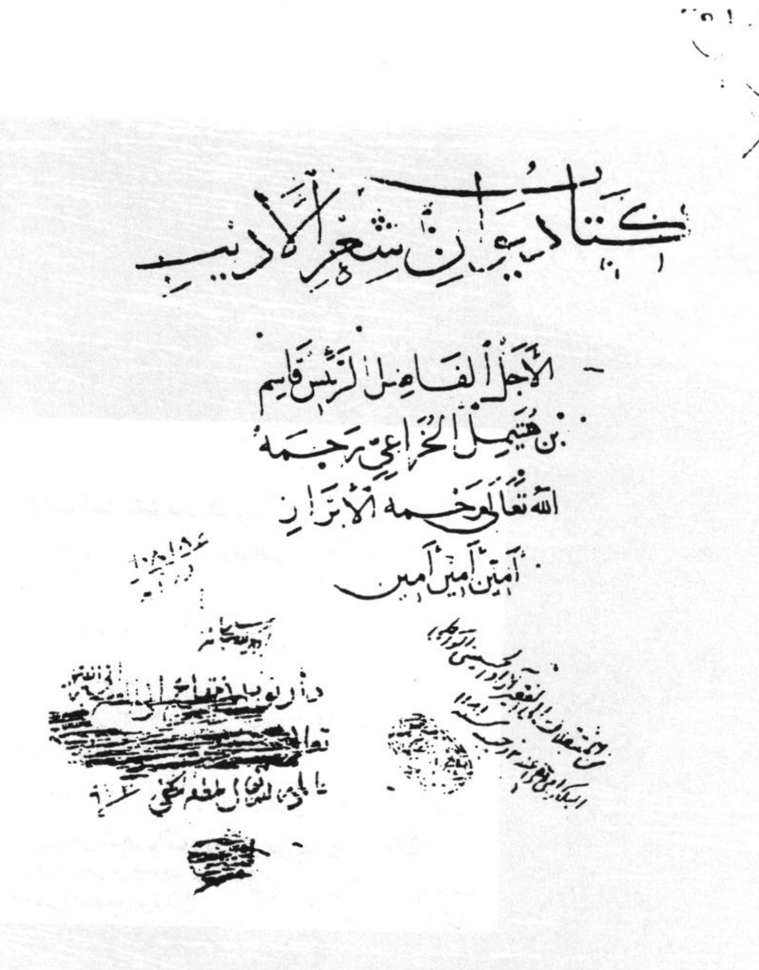
(معهد أحياء المخطوطات العربية)

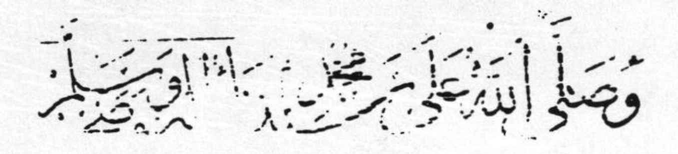
رقم الفيلم

اسم الكتاب

اسم المؤلف

المقاس





غلاف إحدى النسخ المصورة عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة

هذا ديوان القاسم من هذيل

شاعر المخلاف السليماني الذي يقول فيه

أهل الشعر:

أما قصائد قاسم بن هذيل

فهذا قولنا أحلى من الصهباء

هو شاعر في عصره فطن أولاد

كتبه ابن محمد بن سعيد

[illegible]

[illegible]

هذه النسخة مصورة عن جامعة الملك عبد العزيز وعليها بعض أختام مكتبة الجامعة وبعض كتابات الشيخ العلامة حمد الجاسر

الصفحة الأولى من إحدى النسخ الخطية الفريدة وهي مصورة عن نسخة دمار باليمن وتبدأ بالقصيدة البائية وليست بالهمزية ولكنها تنفرد بالمقدمة النثرية التي وضعها الشاعر لديوانه .. كما أنها لا تلتزم بترتيب القصائد حسب الحروف الأبجدية مثل بقية النسخ .. وهي غير كاملة .

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] وقال يمدح ابا بكر ابن [illegible] حاجب [illegible] ويمدح [illegible] بني عبيد [illegible] الله عنهم

لا تعالج من الصبابة داء ... فهو داء أعيا الطبيب دواء

علمته [illegible] تلقا ... غير لثم الشفاه منها شفاء

فتمنيت أن ترا ودقت ... غير لثم حيل العارفين والآراء

إن تلك العيون بالحدق النجل ... سواء والطعنة النجلاء

ما أخذ الحب رقية إن تنفع ... لو كان حية صماء

الموت عز ولولا الشهوة ... لم يخدم الرجال النساء

تحتجب من لذة [illegible] للنفس ... ومن خيفة الأسود الظباء

كن [illegible] ... وكانت هباتها أفياء

[illegible] على الحب ... ويستشفي السليم [illegible]

دائي في [illegible] ... إن قطعت ليلي بكاء

من [illegible] من [illegible] العهد ... إن أحسنت في [illegible] الوصال

[illegible] النائل [illegible] الثريا ... و[illegible] الجوزاء

[illegible] الرملة الوعسا ... بالرشى بأفواه ملساء

أو ند الحسن والملاحة خديه ... فيها جادرا ونارا وماء

[illegible] العيس [illegible] أن تعذبت ... ولا تدخر لليل عشاء

ما ذا ما الهموم [illegible] ما لو جناء ... والليل والنجا البيداء

[illegible] وصاحب البزازة والعز ... باكرامك العتق [illegible]

كم وكم [illegible] في رؤية العين ... سواء شخصا وليسا سواء

[illegible] في صورة الخلق ... وليست نفوسها [illegible]

[illegible] ابن مليم وعلي [illegible] ... هذا أفضل ذاك سواء

هذه هي الصفحة الأولى من الصورة المأخوذة عن نسخة جامعة الملك عبد العزيز ..

والنسخة كبقية النسخ مرتبة حسب الحروف الأبجدية وهي غير كاملة .

نضرة الله في البرية لا نذكر   به ... ولا حواء

حرمتني الايام ان ارام الضيم   فيملنت نخوة واباء

وتجافيت عن محل زيارات الذنب   يمشي الي فيه الضراء

يا ابا بكر لست اجزيك عن   فعلك الا محبة وثناء

كلما اسودت الخطوب تحولت   فخرقتنا بيد ابيضاء

نت سبقا نلو مدحت بما يمدح   اهل السماح كان هجاء

وتعبت للصديق وللضد   فكنت السراء والضراء

خلق كالنسيم هب الا الردى   وجود يخجل الانواء

وعلو تمشي السما له ارضا   ويضحي عنده السماء سماء

انت حلو المذاق اذا ارسلت   رعيك رعزعا ورخاء

اشم يا بني عبيدة كالاجبال حلما   وكالشموس ضياء

تردت الردا فما الا الموت   اذا قابل اللواء اللواء

كل مستقبل اذا هو لم يقتل غلاما   عاف الحياة حياء

ذهب الكرام من كلهم   كانوا حروفا وكنتم اسماء

سر تك العقول حتى تميزت   فينا بنجدة وسخاء

وخلال سرين من عرفيك   فالمسك اشبه الاشياء

قافية الباء المرحلة قال يمدح الامام المعظم المسبد

المكرم احمد بن الحسين ... بن شرف الدين

تعرض لاولي الركب اما عرضا لركب   وقل جزوا بالشعب ما تم

ومن الشامات اللواتي تزينت   علية اعاليها واسفلها رطب

وقف ريثما تقرا السلام على اللوى   منزلا وقف لي منك وقرب

فما مذهبي لوم الرفيق وانما   الوم للوم الصحب ان لام ...

وعز علينا ان نرانا انقضا   لنا ومشابهنا بيد ...

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين

(٥)

الصفحة الأولى من إحدى النسخ الخطية المأخوذة عن مخطوطة صنعاء وهي من مصورات معهد المخطوطات بالقاهرة وهي مرتبة على الحروف الأبجدية مثل بقية الصور .. ونسختها كاملة كما سيتضح من صورة الصفحة الأخيرة .

آخر صفحة من الديوان كما في نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة المأخوذة عن مكتبة صنعاء .

الباب الأول

الشاعر وقبيلته

القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي

عصره .. قبيلته .. مولده .. وفاته .. ثقافته

وإثبات انتمائه للمخلاف السليماني

بعض أحوال عصر ابن هتيمل

أكثر القرائن الواردة في شعر ابن هتيمل تؤكد أنه قد ولد في أوائل القرن السابع الهجري المليء بالأحداث وإذا كان ابن هتيمل الضمدي قد ولد في بداية القرن السابع الهجري وعاشه بكامله فلا شك أنه قد أدرك ما تبقى من خلافة بني العباس الاسمية التي بدأ ضعفها في القرن الخامس الهجري حين استعان خلفاؤها بعد الفرس بالترك السلاجقة [1] فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، فقد كان استيلاء الأتراك على زمام الأمور إيذاناً ببداية الانحدار حيث تمزق جسد البلاد الإسلامية إلى دويلات وإمارات وإقطاعيات ، وأصبح خلفاء بني العباس في القرن الخامس والسادس والنصف الأول من القرن السابع لا يملكون من أمر الدولة شيئاً وإن تمتعوا باحترام معنوي ضعيف [2]في بعض الحواضر الإسلامية، أجل فقد ابتليت الأمة الإسلامية خلال هذه القرون بما أصاب دويلات السلاجقة التي كان من نتائج تمزقها وضعفها إيقاظ الفتن الصليبية واجترار أحقادها لغزو أطراف الشام والاستيلاء على كثير من مدنه [3] ومن أهمها مدينة القدس حيث استمروا في السيطرة عليها قرابة مائة عام حتى قيض الله لها صلاح الدين الأيوبي فاستعادها وأجلى

---

(١) العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي لمحمد بن سالم العوفي . ص٢٠٥ وتنظر في الصفحات ١٩ــ٢٢ من كتاب مطالعات في الشعر المملوكي للدكتور بكري شيخ أمين .

(٢) تاريخ الأمة العربية لمحمد طلس ج٤ ص ١٢١، وانظر ض (و) من مقدمة (البداية والنهاية) تحقيق د/ أحمد أبو ملحم وآخرين .

(٣) العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العبّاسية في العصر السلجوقي ص ١٤٩ .

الصليبيين عنها بعد أن هزم [1] جموعهم، وابتليت الأمة الإسلامية بهجمات المغول الشرسة التي كان آخرها وأفظعها اقتحام هولاكو لبغداد وتخريبها وإحراق وإغراق كتبها وقتل (المستعصم) آخر خلفاء بني العباس بها وذلك [2] سنة ٦٥٦هـ وكان القرن السادس والسابع قد شهد اضطرابا في الحالة العامة في عاصمة الخلافة العباسية الآيلة إلى الدمار في جُل حواضر العالم الإسلامي بما في ذلك مكة والمدينة اللتان شهدتا صراعاً بين الفاطميين والعباسيين من جهة والأيوبيين والرسوليين من جهة أخرىٰ وبين الحسنيين والحسينيين بل بين الحسينيين أنفسهم حتى لقد بلغ بهم الأمر إلى تنازع الأخ مع أخيه والابن مع أبيه ولربما حصل لبعضهم أن أقصى عن السلطة وعاد إليها مرات ومرات كما وقع لراجح بن قتادة [3]، وكانت الجزيرة العربية من الناحية الفكرية تغط خلال هذين القرنين في سبات عميق عدا مكة والمدينة[4] اللتين كانتا ملتقى أفئدة الناس، وعدا بعض المدن في جنوبي الجزيرة العربية حيث كانت بها بعض اليقظة الفكرية برغم ما مني به هذا الجزء من تأخر على السلطة واختلافات مذهبية وصراعات قبلية هنا وهناك .

وكانت إمارة المخلاف السليماني ــ موطن ابن هتيمل ــ واقعة تحت طائل هذه الصراعات فقد حكمها سليمان بن طرف الحكمي وذووه خلال القرن الرابع الهجري ، وكان يُنْسَب إليه المخلاف السليماني ــ وفي أواخر

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٧ وتنظر ص ٢٢ من كتاب مطالعات في الشعر المملوكي .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ج٢ ص ١٠ وانظر ص (ج) من مقدمة (البداية والنهاية) .

(٣) أنظر الصفحات ٤٩ ــ ٥٨ من كتاب بلاد الحجاز للعصر الأيوبي لعائشة عبد الله بامقارشي .

(٤) شعرعلي بن المقرب دراسة فنية د. أحمد موسى الخطيب ص ١٤ .

القرن الرابع استولى عليه الأشراف [1] وأثناء حكم الأيوبيين استمر الأشراف في إمـارة المخلاف السليمـاني ، وحين يحصل اعتـداء من أئمـة اليمن الأعلى كان الأشراف يستنجدون بالأيوبيين؛ فقد نكَّل عبد النبي بن علي بن مهدي [2] بأمراء المخلاف السليماني وقامت بينه وبين الشريف غانم بن يحيـى أمير المخلاف السليماني حروب طويلة قُتل فيها الشريف غانم بن يحيى قتله ابـن مهدي بعد أن اكتسح عاصمة النجاحين (زبيد) فاستنجد من بقي منهم بصلاح الدين الأيـوبي في مصر فأنجدهـم بجيش قاده توران شاه وحين وصل توران شاه إلى صبياء انضم إليه أشراف المخلاف السليماني فقصد زبيد عاصمة ابـن مهدي فأخذها عنوة وقضى على دولة ابن مهدي وأمر بقتله ثم استمر زحفه حتـى استـولى على اليمن بأسره وأعـاد للأشراف السليمانـيين [3] إمـارتهم (المخلاف السليمـاني) .. وحين انتهى حكم الأيوبيين وخلفهـم آل رسول في اليمن ظل المخلاف السليمـاني في حالات من التقلبات فمـرة أميره القـاسم بن علي الذروي ممدوح ابن هتيمل الـذي لا يلبث أن يتعرض لسخط الرسوليين وحـربهم واستيلائهـم على بلاده وتـارة يتـوزع المخلاف السليمـاني إلى إقطاعيات فالغوانم في جازان ــ وآل ذروة في صبياء والقاسميون في ضمـد،

(١) الديباج الخسرواني في ذكر أعلام المخلاف السليماني ــ مخطوط ــ للحسن بن أحمد عاكش الورقة (٥) .

(٢) دولة بني مهدي قامت على أنقاض دولة بني نجاح ومؤسس دولة بني مهدي هو: علي بن مهدي ولد في سواحل زبيد باليمن وكان أحد عمال دولة بني نجاح، قال عنه صاحب كتاب اليمن شماله وجنوبه : (نشأ متمسكاً بالعزلة والصلاح وحج ولقي حجاج العراق وعلماءها ووعاظها وتضلع في معارفهم .. كان فصيحاً غزير المعلومات) من كتاب اليمن شماله وجنوبه لمحمود كامل . ص ١٧٤ وأنظـر ص ١٥٥ ج١ من كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي .

(٣) بتصرف عن كتاب المقتطف من تاريخ اليمن للقاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي ص ١٢٧ ــ ١٢٨ .

وآل هظام في خلب ... إلخ .

والجميع محل أطماع الأئمة في الجبال ، أو الرسوليين في اليمن الأسفل، إلى جانب الفتن والغارات التي كانت تنشب بين القبائل بعضها مع بعض [١] هذه بعض الأحوال السائدة بالمخلاف السليماني في أخريات القرن السادس ومعظم سنوات القرن السابع ، وفي هذا المحيط الصاخب ولد ابن هتيمل وعاش فكان صورة لعصره المتقلب ولمحيطه المضطرب؛ فهو يمدح القاسم بن علي الذروي الذي هزم عُمَّال المظفر وأجلاهم عن بيش وحين جمعوا فلولهم وأعادوا الكرة على بيش فاستولوا عليها ما كان من ابن هتيمل إلا أن مدح المظفر الرسولي فكان بهذا صورة للاضطراب والتقلب وكان شعره مرآة تعكس تلك الأحوال فأصبح كل ممدوح يَفْضُلُ بقية الأمراء أو الملوك ، استمع إليه يمدح بني يعقوب أمراء حاي :

إن الملوك بَنُو يعقوبَ قاطبةً قطعا وكلُّ ملوكٍ غيرَهَمْ سُوَقُ [٢]

وآل ذروة اصحاب الفضل وبقية الملوكِ بل سائر الأنام فضول :

وأنْتُمْ منَ الحَيَّينِ ياآل ذروَةٍ أُولُو الفَضْلِ قطعاً والأنامُ فُضُولُ [٣]

والمظفر الرسولي يفضل سائر ملوك الدنيا فقد وزنهم الشاعر فلم يجد وزنا سوى لممدوحه المظفر:

ولقد وَزَنْتُ بكَ المُلوكَ فلمْ أَجدْ مِلِكاً أَراهُ سِواكَ في الميزان [٤]

ويبالغ في مدحه فيجعله سيد السادات بل ملك الملوك :

---

(١) بتصرف عن مقدمة: (مختارات من ديوان ابن هتيمل دراسة وتحليل) محمد أحمد العقيلي ص ١٢ ــ ١٣ .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٨١ .

(٣) مخطوطة الديوان وستأتي ترجمة ممدوحه المظفر الرسولي إن شاء الله .

(٤) المصدر نفسه .

مِلكُ المُلُوك وسيّـــد السادَاتِ مِنْ مُضرٍ ومـنْ قحطـانها ابنـــة هُود [1]

وقتادة بن راجح شريف مكة لا يعدل به في جوده الثقلين :

فلا تَعـــــدِلْ بِهِ الثَّقَلَيْـــــن جُوداً فلـيسَ البحرُ يُعـدَلُ بالمَـزَادَةْ [2]

والشريـف سلطـان القـاسمي صاحب ضمــد ليس له نِدٌّ ولا مُضَاهٍ في الثقلين :

لعمـــرُكَ لوْ نَشدْتَ الخلْـــقَ نِدًّا لعَمْــرُكَ ما وفَــىٰ الثقــلَانِ نِدًّا [3]

وشاعرنـا كعصره المتقلّب راضٍ عن هذا في يومـه ساخـط عليه غدا أو راض عن سواه أسير صنائعه يسبغ عليه من النعوت ما يوهم القـاريء بأنـه يهين من سواه مما سبب له بعض المواقف في حياته [4] .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر موقفه مع المظفر الرسولي في مطلع البـدور بسبب مدحه لأمراء حلي الـذي قال فيه :

إن الملوك بنو يعقوب قاطبة قطعـاً وكل ملـوك غيرهـم سوق

قبيلة الشاعر

برغم كثرة المصادر التي تحدثت عن الشاعر : القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي وعن شعره وشاعريته الحقة إلا أنها ظلت جميعها ضنينة علينا بتفاصيل حياته «نشأته .. ولادته .. وفاته .. أسرته .. قبيلته» عدا مجرد ذكر لقبيلته يأتي ذيلا لاسمه في بعض المصادر كما أتى على الصفحات الأولى من بعض مخطوطات الديوان، غير أن شاعرنا قد كان بثاقب فكره، وصادق حدسه يصغى إلى الأجيال، ويفطن للحيف الذي يمنى به أمثاله من أساطين الشعر وأعلامه ؛ فبدد حيرتنا ، ووضع أمامنا حزمة من الضوء الساطع في أبيات متفرقة تؤكد انتماءه لقبيلة خزاعة العربية الأصيلة ومنها قوله :

إني ورثتُ الشعـرَ عن ضِلّيلـه [1] ... وعـن الوليد[2] وعـن أَبي تَمّامِـهِ

فإذَا اعتـزيتُ لدعبِلٍ[3]، وكُثَيِّـرٍ[4] ... أصْغَـىَ إلـيّ، فَقُدْتُـهُ بِزِمَامِـهِ

ومنها قوله :

---

(١) يقصد الشاعر الجاهلي المعروف امرأ القيس .

(٢) والوليد : هو الشاعر العباسي المعروف البحتري : أبو عبادة الوليد بن عبيد ولد بمنبج سنة ٢٠٤ وتوفى بها سنة ٢٨٤هـ .

(٣) اعتزيت : انتسبت إليه . يقال إن فلاناً ليعزي إلى الخير . انظر (أساس البلاغة ص٣٠١ مادة : عزو) ودعبل : هو الشاعر المعروف : دعبل بن علي الخزاعي : وقيل دعبل لقبه : ولد بالكوفة سنة ١٤٨هـ وتوفى سنة ٢٣٥هـ وقيل سنة ٢٤٦هـ . وهو أحد الشعراء المشهورين من قبيلة خزاعة صليبة لاولاء كما يقول شوقي ضيف ومن بيت شعر فأبوه شاعر وعمه شاعر وأخواه : علي ورزين كذلك ـــ وولداه: الحسين وعلي .. وابن عمه كل هؤلاء شعراء، كانت تربطه بمسلم بن الوليد صداقة ومودة ـــ ظهرت آثارها في عناية دعبل بالجزالة ونصاعة القول وترصيع شعره بالمحسنات البديعية نُسب إلى شعراء الشيعة وكان شاعراً هجاءً .

(٤) كثيّر : هو الشاعر الغزل المعروف بكثيّر عزة وهو كثير بن عبد الرحمن ينتمي إلى خزاعة قيل أصلاً وقيل ولاءً .

لستُ بالمُقـــرِفِ أُدلي نَسَبِـــي بامرِيءِ القـيسِ وجـدِّي دعبِـلُ

فعوضتنا هذه الأبيات ومثيلاتها عن شح المصادر وأغنتنا عن كزازة معلوماتها وفتحت لنا نافذة نطل منها على ماضي قبيلة عربية عريقة هي قبيلة خزاعة التي تنتمي في أصولها إلى قبيلة الأزد إحدى كبريات قبائل كهلان العربية وقد كان مقر سكنى هذه القبيلة أرض مأرب، وبعد انهيار سد مأرب نزح أفرادها فتفرقوا في بقاع الأرض، وكان الدافع لهم هو انتجاع أرض أخرى بدلاً من مأرب التي انهار سدها ، وأجدبت أرضها، فنزح فرع منهم إلى تهامة، ونزح فرع منهم إلى عمان، ونزح قوم منهم إلى بارق وألمع وراسب وسموا أزد شنوءة، وكان الذين هبطوا إلى تهامة قد سموا أزد الجيش، وكانوا أثناء إقبالهم من اليمن قد نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان وأقبل بنو عمرو بن عامر فانخزعوا عنهم [1] فسموا :

خزاعة : وهم : ولد ربيعة، وهما لحيى، وأفصى، أولاد حارثة [2] بن عمرو بن عامر ، وينسبهم بعض المؤرخين إلى عمرو بن ربيعة بن حارثة حيث يعتبرونه أبا خزاعة كلها ومنه تفرقت بطونهم [3] . وزعم قوم أن أبا خزاعة هو كعب ابن عمرو بن لحيي بن قمعة [4] . قال ابن الكلبي في سبب التسمية : (لما تفرقت الأزد من اليمن نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان وأقبل بنو عمرو ابن لحى فانخزعوا عن قومهم فنزلوا مكة وأقبل بنو أسلم ومالك وملكان بن

---

(١) دراسات في أنساب قبائل اليمن لأحمد شرف الدين ص ٤٤ ــ ٤٥ ط٣ .

(٢) التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ص ٢٤١ تأليف محمد بن أحمد الأشعري تحقيق سعد ظلام نشر نادي أبها الأدبي .

(٣) نسب قريش لأبي عبد الله المصعب الزبيري . تحقيق : أ. ليفي بروفينسال ص ٢٧٩ ط. دار المعارف بمصر .

(٤) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب لأبي الفوز محمد أمين البغدادي ص ٢٩٧ . ط دار الكتب العلمية بيروت .

أفصى بن حارثة فانخزعوا عن قومهم أيضا فسمي الجميع خزاعة)[1] ..

وقد كانت مواطنهم مكة ومر الظهران وما بينهما ، وكانوا حلفاء لقريش وكان لخزاعة ولاية البيت الحرام بعد جرهم ولم تزل بيدهم إلى أن باعها أبو غبشان من قصي بن كلاب حتى قالت العرب : أخسر من صفقة أبي غبشان[2] ويقال لخزاعة حلفاء الرسول ﷺ اشتركوا معه في كتاب القضية عام الحديبية وحين أعان مشركو قريش حلفاءهم بني بكر ونقضوا بذلك العهد كان ذلك سبباً في فتح مكة ، (وقد اعطى رسول الله ﷺ لخزاعة منزلة لم يعطها أحداً من الناس، وذلك بأن جعلهم مهاجرين وهم بأرضهم وكتب لهم كتاباً بذلك)[3] يضاف إلى هذا الفضل أن أم وهب بن عبد مناف جد النبي عليه السلام خزاعية واسمها قيلة بنت أبي قيلة[4]، كما أن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها خزاعية أيضاً، كما أن بعض أكابر الصحابة رضوان الله عليهم ينتسبون إلى خزاعة أمثال الحارث بن أسد، وعامر بن حصين[5] ومن خزاعة أيضاً بعض مشاهير الشعراء : أمثال كثيّر بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة والشاعر : دعبل بن علي الخزاعي[6] وغيرهم، ولا غرابة أن يوجد فرع من خزاعة في تهامة مادامت قبائل الأزد قد تغرقت في أنحاء المعمورة ، وانخزعت من بينهم خزاعة فتفرقت فروعها هي

---

(١) المصدر والصفحة نفسهما .

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٦ .

(٣) التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ص ٢٤١ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٦٠ وانظر ص ٣٢٣ من نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ط١ دار الكتب العلمية ببيروت .

(٥) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ص ٢٩٨ .

(٦) جمهرة انساب العرب لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي ص ٢٣٨ ط دار الكتب العلمية .

الأخرى، ولا غرابة في وجودهم إلى جانب قبائل عك والجدرة [1] الأزديتين المستقرتين في تهامة ، فلقد شهدت تهامة أسرا عربية انتقلت اليها من أواسط الجزيرة العربية وأقاصيها فاستقرت بها كما شهدت استقرار بعض الأسر الهاشمية التي نزحت من مكة وما جاورها ومن ثم فوجود فرع من خزاعة أسرة الشاعر ابن هتيمل في تهامة ليس بالأمر المستغرب مادامت فروع الأزد قد تفرقت في الآفاق حتى قال شاعرهم :

حلَّتِ الأُزدُ بعدَ مَأْرِبِهَا الغَوْ رَ فأرضَ الحجازِ فالسَّرواتِ [2]

ولا شك في أن فرعا من خزاعة قد استوطنوا المخلاف السليماني ومنهم قبيلة الشاعر التي كان موطنها ضمد .

قال العلامة أحمد بن حسن عاكش [3] نقلا عن جده الحسن بن أحمد عاكش علامة القرن الثالث عشر : (ضمد : واد باليمن تسكنه خزاعة) [4]

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج١ ص ٢٠٢ .

(٢) دراسات في انساب قبائل اليمن ص ٤٥ .

(٣) أحمد بن حسن بن محمد عاكش ولد بمدينة ضمد سنة ١٣٢٨هـ كان أحد علماء القرن الرابع عشر البارزين وكانت له حلقة تعليمية في منزله وفي مسجد العقيلي بضمد وكان يفيض على طلابه علماً وعطاءً ومعرفة. حافظ على الثروة العلمية التي ورثها عن أسرته العلمية العريقة أسرة آل عاكش له نشاط اجتماعي مشهور وله بعض المشاركات الشعرية المتميز وإلى جانب اشتغاله بالتعليم فقد عمل بالقضاء وله رسالة بعنوان : (منحة الصَّمَد في الميسور من حديث ضَمَدْ) توفي بمدينة ضمد سنة ١٣٨٨هـ .

(٤) يطلق الجغرافيون القدامى كلمة «يمن» على كل ما وقع جنوب مكة المكرمة حتى كانوا يقسمون قبيلة هذيل فيقولون هذيل الشام وهذيل اليمن وعن مدينة ضمد انظر كتاب من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي تحقيق الدكتور عبد الله محمد أبو داهش طبع مطابع الجنوب بأبها ١٤٠٧هـ. وانظر مخطوطة: منحة الصمد في الميسور عن حديث ضمد للعلامه أحمد بن حسن عاكش. نسخة مصورة لدى =

وبهذا يتأكد لنا أن خزاعة قبيلة الشاعر كانت تسكن ضمد بالمخلاف السليماني وإن انقرضت من المنطقة في عصرنا الحاضر كما انقرضت قبائل أخرى بأسباب الحروب أو المجاعات أو الهجرات فسبحان من لا يزول ولا يحول .

الباحث.. وانظر كتابنا «نبذة تاريخية عن التعليم فى تهامة وعسير» وانظر فى المعجم الجغرافى للشيخ محمد أحمد العقيلى.

الشـــاعر

هو الفقيه العالم الشاعر المفلق [1] :

(القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي الضمدي المخلافي)

هكـذا ورد اسم شاعرنـا في معظـم المصادر وإن اختـصر بعضهـا بعض الألقـاب أو زاد أو نقص .. ففـي الصفحـة الأولى من مخطوطـة ديــوان ابــن هتيمـل المصورة عن مخطوطـة معهـد المخطوطـات العربيـة بالقاهـرة التـي كتبت في سنـة ١٠٦٧هـ ورد اسمه هكـذا : الأديب شرف الديّـــن قاسم بن علي بن هتيمـل الخزاعـي المخلافي[2] وفي كتـاب العقــود اللؤلؤيـــة جاء اسمه هكـــذا : (القاسم بن علي بن هتيمل) [3] واختصر اسمه عمر رضا كحالـة : فقـال : (أبـو القـاسم بن علي بن هتيمـل المخلافي) [4] ، أمـا صاحب (الأعـــلام) فقـــد أورد اسمه على النحو الآتي : (القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي) [5] .

وجـاء اسمه في مصادر الفكـر الإسلامـي والعـربي في اليمن قريبـاً من هذا وكـذلك في مطلـع البـدور ومجمـع البحـور لابـن أبي الرجـال أمـا البَـرَدُّوني في

---

(١) تاريخ اليمن الفكـري فى العـصر العبــاسي لأحمد محمـــد الشامــي ص٤٨ نقـــلاً عن مخطوط :«المستطاب» للمؤرخ يحيى بن الحسين.

(٢) صفحـة داخلية تشبه الغـلاف وقـد كتب عليها بخط غير واضح بعض أسماء مالكـــي المخطوطـة .. ودونت عليها أبيات ذكـر فيها اسم الإمـام الـذى تم النسخ بعنايتـــه فى القرن الحادى عشر وهـو عبـد القـادر ابـن النـاصر ابـن الإمـام والمخطوطـة مصورة عن مخطوطـة اليمن توجـد بمعهـد المخطوطـات العربيـة بالقاهـرة برقـم٣٠٤٩ وهـــذا رقـــم الميكروفيلم..وصورتها لدى الباحث.

(٣) العقود اللؤلؤية فى أخبار الدولـة الرسوليـة لعلي بن حسن الخزرجي ج١ ص٢٨٠ ط١ دار إحياء التراث العربى ببيروت عام ١٣٣٢هـ

(٤) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج٨ ص ١٠٩ .

(٥) الأعلام .. لخير الدين الزركلي ج٥ ص ١٧٨ .

كتابه : (رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه) ومثله أحمد الشامي في كتابه : (قصة الأدب في اليمن) فقد اكتفى كل منهما بذكر اسمه واسم جده هكذا : «القاسم بن هتيمل» [1] .. ولربما كان الشاعر ابن هتيمل هو الشاعر الأكثر غبنا من بين شعراء العربية الكبار الذين ملأوا سمع الدنيا وبصرها ومع ذلك فقد ظلت تفاصيل حياتهم مجهولة للباحثين من عشاق الفن الرفيع، فلقد ترجم له عدد كبير من المؤرخين وأصحاب كتب التراجم وجميعهم اتفقوا على قوة شاعريته كما اتفقوا على الاقتضاب والاختصار حينما أرادوا الحديث عن حياته الخاصة :

(ولادته.. نشأته .. وفاته .. أو أسرته .. عصره .. صلاته بأعلام عصره .. إلخ) . نعم اتفقوا جميعهم على إغفال هذه الجوانب برغم أهميتها الكبيرة ..

فهذا المؤرخ العلامة : علي بن الحسن الخزرجي المتوفي سنة ٨١٢هـ يترجم له مغفلا هذه الجوانب فيقول : (القاسم بن علي بن هتيمل .. شاعر المخلاف السليماني رحمه الله كان فصيحاً حسَن الشعر مداحا له في السلطان المظفر عدة قصائد من المشهورات) [2] .

والخزرجي كما ترى أقرب إلى عصر الشاعر ومع ذلك أدار ظهره عن بحث هذه الجوانب وجاء بعده العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال المولود سنة ١٠٢٩هـ والمتوفي سنة ١٠٩٢هـ فترجم لابن هتيمل ترجمة

---

(١) انظر في كتاب البردوني : (رحلة في الشعر اليمني) ص ٤١ وانظر في ص ٣٥٣ من كتاب الشامي (قصة الأدب في اليمن) الطبعة الثانية عام ١٤٠٥هـ ، جدة.

(٢) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ج١ ص ٢٨٠ ط١ مطبعة الهلال عام ١٣٣٢هـ لعلي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ انظر ترجمة الخزرجي في ملحق البدر الطالع للإمام الشوكاني ج٢ ص١٦٠ .

فضفاضة أسبغ عليه فيها من النعوت دون إشارة إلى تاريخ الولادة، أو مكانها أو نشأة الشاعر أو أسرته أو أي جانب من جوانب حياته، حيث جاءت ترجمته على النحو الآتي : (البليغ الذي يُعَدُّ من البلغاءِ بالخنصر، والسابق الذي يطول على الكل ولا يقصر تصبو له المعاني إذا دعاها ...) إلى أن يقول : (روي أنه لما وصل ديوانه إلى مكة اتفق أدباؤها على تفضيله وقال قائلهم : قد جاء من اليمن ديوان يغني عن كل هذه الدواوين، وقد أورد من شعره العماد الأصفهاني الكاتب ونسبه إلى غيره ...) [1] ثم استمر في الإفاضة إلى أن أشار لبعض خصائص شعر ابن هتيمل ، كما أشار إلى أن ابن هتيمل قد عُمِّر طويلا .. لكنه لم يوضح مقدار عمره ولا زمانه .

واستمر في إشادته بشاعرية ابن هتيمل إلى أن ذكر بعض المواقف المحرجة التي سببها له شعره . [2]

وحين نصل إلى القرن الثالث عشر نجد العلامة الحسن بن أحمد عاكش الضمدي [3] يحدد مكان إقامته ولكنه لا يذكر زمان ولادته، ولا

---

(١) هذا وهم من ابن أبي الرجال نبَّه عليه العلامة أحمد محمد الشامي في كتابه تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ج٤ ص٥٨ وأوضح أن العماد الأصفهاني مات قبل ولادة القاسم بن علي بن هتيمل كما أوضح ان ابن أبي الرجال لم يُسنِد الكلام إلى مصدر ووضح أن الأبيات المنسوبة إليه غير موجودة في الديوان الخاص بابن هتيمل فقد تكون لشاعر سبق ابن هتيمل فعارضها .

(٢) مطلع البدور ومجمع البحور نسخة غير مرقمة الصفحات توجد لدى محمد بن علي الحازمي المحاضر بكلية اللغة العربية في أبها ـ وتوجد من المخطوطة نسخة أخرى لدى محمد أحمد العقيلي بجازان وستأتي ترجمة المؤلف إن شاء الله .

(٣) الحسن بن أحمد عاكش الضمدي أحد علماء القرن الثالث عشر البارزين في مختلف الفنون ولد عام ١٢٢١ وتوفى عام ١٢٩٠هـ ترجم له غير واحد انظر ترجمة مختصرة في كتابنا (نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير) .

مكانها ولا يذكر شيئاً عن أسرة الشاعر أو عن حياته ؛ حيث يقول في معرض حديثه عن موقع ضمد : (ضمد القديم كان بموضع مختارة التي بنى بها الوزير الحسن بن خالد الحازمي قلعته وهو الذي سماها بهذا الاسم وزالت إليه أراضيها وكان فيما سلف يسمى نجران وبه كان الأديب ابن هُتَيْمِلْ وغيره من أولئك العلماء الأعلام)[1] . قلت وقد أكد ذلك ابن هتيمل في شعره حين قال متبرِّماً من قومه :

أَيُقْبَحُ فيَّ في نَجْرانَ منْ لا ... يَحِلُّ عليه عند البيْعِ فِلْسُ ؟

وحين قال :

ياأحمد بن عليّ دعوة مُخْلص ... نَاداك من ضَمد فكُنتَ مُجِيبَاً [2]

أغنيتَني وكَفيتَني في بلدةٍ ... كُنْتُ الغريبَ بها ولستُ غَريبا

وعن عاكش نقل القُبيّ صاحب كتاب (الجواهر اللطاف) [3] المتوفي في منتصف القرن الرابع عشر وأضاف إلى ما نقله فقال عند ذكر نجران : (وعلى ذكر نجران فلم يزل يُشكِلُ عليَّ هذا الاسم لا ندراسه من جهاتنا فلم أزل أسأل عنه من ظعن فلم أقف على علم ولا خبر حتى طالعت تواريخ جملة فاستفدت من تاريخ شيخ الإسلام العلامة الحسن بن أحمد عاكش، ذكر نجران القديم المقبور فيه الشاعر البليغ القاسم بن هتيمل الضمدي والشاعر

---

(١) (الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني) ـ مخطوط للعلامة الحسن بن أحمد عاكش الورقة ٨٢ .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٧٣ و ص ١٦٢ ، وأحمد بن علي في البيتين الآخرين هو أمير حلي، أحمد بن علي العقيلي الحرامي .

(٣) صاحب الجواهر اللطاف : هو العلامة محمد حيدر القبي أحد علماء المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن الرابع عشر توفى سنة ١٣٥٠هـ .

الأديب سحبان الشهيد ـ ربما يقصد الشاعر منصور بن سحبان [1] .. فإذا هو (مختارة) [2] المسمى في الزمان والمكان وقد توجهت إلى هذه المدينة المندرسة بنفسي ـ والكلام لصاحب الجواهر اللطاف ـ في نزاع بين الأشراف بني الأمير، والحوازمة في أوقاف الحسن بن خالد الحازمي، وشاهدت تلك الأطلال البالية) [3] وأشار في موضع آخر من كتابه الجواهر اللطاف إلى اسمه ونسبه كاملا فقال (العلامة القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي الضمدي) [4] وإذا فقد أضاف العلامة محمد حيدر القبي مكان وفاة الشاعر فقط ولكنه لم يشبع نهمنا فيحدثنا عن مكان ولادته وزمانها ولا عن أسرته ... إلخ شأن سابقيه ، وحين نصل إلى العصر الحديث نجد الدكتور شوقي ضيف لا يضيف جديداً إلى نسبه ولا يقدم لنا شيئاً عن نشأته، وحين يتحدث عن المولد والوفاة يقرر عدم معرفة سنة ميلاده ويعود إلى التخمينات في سنة وفاته . [5] أما خير الدين الزركلي فيقول : (القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي شاعر المخلاف السليماني في عصره وكان كثير التنقل بين

---

(١) منصور بن سحبان الضمدي شاعر معاصر لابن هتيمل وواحد من شعراء ضمد ترجم له الفاسي في العقد الثمين وأورد له عشرة نماذج من شعره وذكر بأنه مات قتيلا وأشار إليه الخزرجي في العقود اللؤلؤية انظر ج٢ ص٣٨ وانظر ورقه ٢١ من الجواهر اللطاف للقتبي مخطوط .

(٢) مختارة : اسم أرض زراعية من أراضي حسن بن خالد الحازمي لازالت تعرف بهذا الاسم حتى أيامنا هذه وتقع شرق مدينة ضمد بالقرب من آثار الحصن الذي بناه الوزير الحازمي المذكور.

(٣) الجواهر اللطاف في أنساب أشراف صبياء والمخلاف مخطوط للعلامة محمد حيدر القبّي الورقه ٣٩ توجد صورة منها لدى الباحث والقبي أحد علماء المخلاف السليماني في القرن الرابع عشر توفى سنة ١٣٥٠هـ تقريبا .

(٤) المصدر نفسه الورقة ٢٤ والورقة ٩٠ .

(٥) تأريخ الأدب العربي ـ عصر الدول والامارات لشوقي ضيف ص ١١٤ .

اليمن والحجاز مدح المظفر الرسولي ورجال دولته وأحمد بن الحسين القاسمي وبعض أشراف مكة وأمراء المخلاف السليماني عاش ما يقرب من مائة عام ومات فقيراً ، له ديوان مخطوط موجود في معهد المخطوطات، اختار معاصرنا الأديب محمد أحمد عيسى العقيلي قرابة مائة وخمسين صفحة منه وصدَّرها بمحاولة لمعرفة حياة الشاعر وسماها : ديوان القاسم [1] بن علي بن هتيمل الخزاعي الضمدي المخلافي) [2] . وهكذا أدلج بنا خير الدين الزركلي دون إشباع نهمنا .. ومثله فعل عبد الله الحبشي في ترجمته حين أغفل تلك الجوانب فقال : (القاسم بن علي بن هتيمل من ناحية المخلاف السليماني مدح ملوك عصره عاصر الملك المظفر ومدحه) [3] . وكذلك فعل عمر رضا كحالة حين أشار إليه إشارة عابرة لا تخلو من تصحيف ؛ حيث قال : (أبو القاسم بن علي بن هتيمل المخلافي «٢٨٥» له ديوان شعر) [4] . فأنت تراه قد جعله أبا القاسم وهو قاسم ، وجعل له تأريخا لا ندري هل يريده لولادته ؟ أم لغيرها أم لشيء آخر لم يسمّه ؟! . وحين نصل إلى الأستاذ محمد أحمد العقيلي الذي يعتبر صاحب الفضل ــ بعد الله ــ في إخراج بعض شعر ابن هتيمل منذ ثلث قرن ؛ حين نطالع المقدمة التي صدر بها ما اختاره من شعر ابن هتيمل نجده يعترف بقصور مراجعه عن إشباع نهمه ونهم قارئه المهتم بمكان ولادة الشاعر وزمانها ومكان وفاته وزمانها .. وكذا الحديث عن حياته ونشأته وأسرته .. « فحتى مخطوطة الشيخ عبد الله بن

---

(١) قلت : قد أعاد طباعة هذه المائة والخمسين في عام ١٤١٠هـ وسماها مختارات بدلا من إطلاق اسم ديوان ولم يضف اليها أي جديد اللهم إلا فهرسا للأعلام دون تراجم لهم في المتن ولا في الهامش .. إلا من ندر .

(٢) الأعلام ج٥ ص ١٧٨ .

(٣) مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن لعبد الله محمد الحبشي ص ٣٢٠ ط مركز الدراسات اليمنية بصنعاء .

(٤) معجم المؤلفين ج٨ ص ١٠٩ .

عقيل التي اعتمد عليها الأستاذ العقيلي اقتصرت على ذكر نسب ابن هتيمل على غلافها [١] ومثلها مخطوطة معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية [٢] حيث تشيران إلى خزاعيته ومع ذلك وجدناه يلجأ إلى شعر ابن هتيمل يستنتج بعض الاستنتاجات الجيدة وإن لم يتوسع فيها فقد عاد إلى قول ابن هتيمل الآتي ليستنتج منه انتساب ابن هتيمل إلى قبيلة خزاعة :

لست بالمقرف أدلي نسبي بامرىء القيس وجدِّي دعبل [٣]

وكان بإمكانه الإشارة إلى أن كتب التراجم تشير جلها إلى خزاعيته، كما تؤكد ذلك أغلفة النسخ الخطية لديوانه والتي تثبت خزاعيته أيضاً . كما استنتج تارخ ولادته التقريبي وأنه في مطلع القرن السابع أخذا من قول ابن هتيمل يمدح أحمد بن الحسين المتوفى في الخمسينات من القرن السابع :

أتخبُّ منك الأربعون بكرِّها فَوْتاً وتطلبُ خلةً من زينبا

كما استنتج من عدم مديحه للأمراء والملوك الذين عاشوا في القرن الثامن أن الشاعر ابن هتيمل قد توفي في أواخر القرن السابع [٤] ..

---

(١) بتصرفٍ عن مقدمة الاستاذ العقيلي التي صدَّر بها ما اختاره من شعر ابن هتيمل انظر ص٦ ط١ .

(٢) الملاحظ أن ناسخ مخطوطة معهد المخطوطات العربية قد وضع أمام اسم ابن هتيمل عام ٦٥٦ وهذا ليس عام ولادته ولا عام وفاته .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٨٣ ط١ والمقرف : بفتح الراء في لهجة أهل المنطقة تعني : الذي لا يحسن استعمال الأشياء ، وبكسر الراء في بعض قواميس اللغة : الهجين وفي كتاب جواهر الألفاظ : المقرف : من أمه عربية وأبوه أعجمي ودعبل : ستأتي ترجمته .

(٤) قلت ولقد كان آخر ممدوحيه حسب ما وصلنا من شعره: شريف مكة أبو نمي الأول المتوفي سنة ٧٠١ انظر ج١ ص٤٧٠ من كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي . واسمه محمد بن أبي سعد كما يقول ابن هتيمل في قصيدته وكما

واستنتاجات الشيخ العقيلي برغم عدم الدقة فيها إلا أنها تعطي الدارس فرصة للتأمل الواعي عبر شعر ابن هتيمل عن بعض مراحل حياته .

أما أحمد محمد الشامي : فقد جازف في كتابه تأريخ اليمن الفكري فذكر ـ اجتهاداً ـ سنة ولادته وحددها بعد استنتاجات شبيهة باستنتاجات الشيخ العقيلي واستقراء لشعره الذي أشار فيه إلى مجاوزة الأربعين فحدَّدَ سنةَ الولادة بسنة (٦٠٦هـ) كما حدد سنة وفاته بسنة (٦٩٦ أو ٦٩٧) وذلك استقراء لمديحه للأشْرَفْ بن المظفر الرسولي المتوفي سنة ٦٩٦ . (١) .

قلت وربما كانت عبارة المؤرخ العقيلي أقرب إلى الصواب من تحديدات الشامي الدقيقة دون مستند وثائقي، فإذا كان الشامي قد جزم بأن آخر ممدوحيه هو الملك الأشرف بن المظفر الرسولي المتوفي سنة ٦٩٦ فإننا نجد في ديوان ابن هتيمل شعراً مدح فيه أمير مكة محمد بن أبي سعد المعروف بأبي نمي والمتوفي سنة ٧٠١هـ . فهل نجزم بوفاته فنُحدِّدها بتأريخ وفاة ممدوحه هذا ؛ إن فعلنا ذلك فلربما نجد لابن هتيمل شعرا خارج الديوان يمدح أو يرثي فيه أحد أعلام أو أمراء القرن الثامن وحينئذ فتحديد سنة الوفاة أو الولادة دون مستند وثائقي يبقى محل نظر !! وربما كان الدكتور شوقي ضيف أبعد نجعة حين قال عن ميلاد ابن هتيمل :
(والمظنون أنه ولد في العقد الثاني أو الثالث من القرن السابع) (٢)

ورد اسمه في تأريخ مكة للسباعي ص ٢٥٦ يقول ابن هتيمل :

يهنى بني حسنٍ ما سرّ سيّدَهُم ... محمد بن أبي سعدٍ ويهنيه
ولَمَّ شملَهُمُ عزماً فسادتُهُم ... أنصارُهُ ومواليهم مواليهِ

(١) بتصرف عن كتاب تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ج٤ ص ٦٠ ـ ٦٤ وانظر ج٣ من المصدر نفسه ص٢٥٢ .

(٢) تأريخ الأدب العربي (عصر الدول والامارات) ص ١١٤ لشوقي ضيف .

وذلك لأن شعره الذي استقرأ بعضه كل من الشيخ العقيلي والشيخ الشامي يوحي بأن ميلاد ابن هتيمل قد كان في مطلع العقد الأول من القرن السابع .

وبعد : فقد كنت سأكتفي بما ذكره العقيلي وما نقلناه عن أصحاب كتب الأدب وكتب التراجم وما سيجده القارىء في شعر ابن هتيمل عن حياته وشعره لولا ما أثير من لغط حول انتماء ابن هتيمل إلى ضمد والمخلاف السليماني ؛ لذلك سأحاول في الأسطر القليلة القادمة أن أُفنِّد شبهة المدعين وأثبت ضمدية الشاعر ابن هتيمل ومخلافيته بما لا يدع مجالا لمدع أو تلفيقا لملفق .. وأوَّل براهيني شعر ابن هتيمل نفسه :

فلا شك أن دارس شعره سيجد فيه ملامح بيئة المخلاف واضحة كل الوضوح فالأثل والأراك ، والسرح، والبشام، والشيح، والحوذان، وغيرها من نباتات وأشجار منطقة جازان المعروفة قديما (بالمخلاف السليماني) كلُّ ذلك يُرصِّع جيد قصائده كما أن الألفاظ والصور الشعبية التي يعجُّ بها ديوانه تؤكد ضمديته بصورة خاصة ومخلافيته بصورة أخص إلى جانب توسُّعه في ذكر أسماء مدن المخلاف السليماني وقراه مما لا يدع مجالا للشك في مخلافيته ؛ كذكره لقرىٰ : البديع [١] والحسيني [٢] ..

---

(١) البديع : إحدى قرىٰ وادي جازان ولازالت عامرة تعرف بهذا الاسم بل إنها أصبحت تكون مع بلدة القرفي مدينة عصرية تتوفر بها أهم الخدمات في عهدنا السعودي الزاهر وقد وردت في قول ابن هتيمل كثيراً كقوله :

أراني ونِضْوي إنْ ثَنَا الأَثْلُ مُعْرِضاً … يَحِنُّ لمأْثُول البَدِيْع ويَشْهَقُ

وقوله : أعندكما عن العَلَمَيْنِ عِلمُ … وعن خِيَمَ البَدِيْعِ أهُنَّ هُنَّا

وقوله : وعلى يَمَانِيِّ البديع وسَفْحِه … خِيَمٌ سقَاهُنَّ الهَوَىٰ وسقَاهُ

(٢) الحسيني : قرية معروفة تقع شرق بلدة صلهبة الواقعة شرق مدينة صبياء وتبعد عنها مسافة قريبة لا تتجاوز الميلين . وقد وهم العقيلي فذكر في كتابه المعجم الجغرافي =

والـوَاسِطْ[1] .. والعَمِيْـــم [2] والجُرُوب [3]، وضَمَد [4] ، وبَيْش [5]،

أن اسم الحسيني يطلق على قبيلة معروفة وليس الأمر كذلك؛ فالحسيني قرية بها عدد من القبائل وقد ورد ذكر قرية الحسيني في شعر ابن هتيمل كثيراً من ذلك قوله :

حرامٌ علىٰ أَيْكِ الحُسَيْنِّي لاهَفَتْ ... ذَوَائِبُـهُ تِيْهـاً وغـنَّتْ حَمائمُـهْ

وقوله أيضاً: إنَّ من دِمْنَةِ الجُرُوب إلىٰ أَيْـ ... ـكِ الحُسَيني إلىٰ شَآميّ دَارِهْ

فتيـةً يُطْعِمُـون ناشِئَـةَ اللَّيْـ ... ـلِ ويستغفرُون في أسْحَاره

(١) الوَاسِط : قرية تقع على عدوة وادي ضمد الجنوبيـة ولازالت تعـرف بهذا الاسم وتشترك مع المحلة في تكوين بلـدة كبيرة من قرى وادي ضمـد وقـد وردت كثيراً في شعر ابن هتيمل ومن ذلك قوله :

ما أنصفتك الصحب ليلَةَ وَاسِطٍ ... رَقَـدوا وطَـرفُكَ ساهـرٌ لم يرْقُـدِ

(٢) العَمِيم : قرية من قري ضمد المندثرة . وقـد نقـل العقيلي في كتابه المعجم الجغرافي ص ٣٠١ عن علامـة ضمـد في القـرن الرابـع عشر الشيـخ أحمد بن حسن عاكش أن موقعها يعـرف في وقتـه باسم الزبـارة الحمـراء وأنها تقـع بين بلـدة خضيرة ومدينـة ضمـد . قلت وقـد امتـد في عصرنـا الحاضر إليها العمـران كحي من أحيـاء مدينـة ضمد . وقد وردت في شعر ابن هتيمل كثيراً كقوله :

أهـل شيـح العـميم يميس تيها ... ذوائبـه وهـل سقـى الغمـام

(٣) الجُرُوب : إحدى القرىٰ التابعـة لبلـدة الحسينـي المذكـورة معهـا في قول ابـن هتيمـل السابق :

إنَّ من دِمْنَةِ الجُرُوبِ إلىٰ أَيْكِ الحُسَيني إلىٰ شآمي دَاره

(٤) ضَمَـد : مدينـة تاريخيـة عرفت بالعلـم والعلمـاء قديما وحديثـاً وتقـع على عدوة وادي ضمد الشمالية انظر أخبارها في صفة جزيـرة العـرب للهمـداني وعقـود الـدر لعـاكش والحيـاة الفكـريـة لأبي داهش وغيرهـا ، سميت باسم الـوادي وتتبعهـا قرى كثيرة وقـد وردت في شعر ابن هتيمل كثيراً من ذلك قوله :

ياأحمدُ بن عليّ دعـوةَ مُخْـلِصٍ ... ناداكَ من ضَمَـد فكـنْتَ مُجيبَـا

(٥) بَيْش : اسم يطلق على واد عظيم من أهـم الوديـان في منطقـة جازان يقـوم على ضفافـه عدد كبير من القـرى والمدن من أهمهـا مدينـة بيش وكانت تعـرف قديما باسم أم

والدَّرْب[1]، والريَّان [2] .....) الخ .

إلى جانب ذكره لبعض الأماكن والجبال والوديان المشهورة في المخلاف السليماني مثل : حبلي [3] عَكْوَةْ ، والمشقَّرْ [4] ووادي غوَّانْ [5]

الخشب وقد ذكر بيش في شعر ابن هتيمل كقوله مخاطبا ممدوحه .

ولا تَشْتَغِلْ عن مُلْكِ بيشٍ وخَرْجِهِ ... بقطعةِ حيَّانٍ وقِطْعةِ طَرْطَرِ

(١) الدَّرْب : اسم تشترك فيه عدة مسميات ومنها بلدة الدرب المعروفة حاليا بدرب بني شعبة . ولعل الشاعر كان يشير إلى درب النجا الواقعة في وادي جازان الأعلى والمندثرة وكانت بها قلاع كثيرة وكانت عاصمة القطبين وقد وردت في شعر ابن هتيمل ومن ذلك قوله :

فأدجَ من بُروج الدَّرْبِ يَهْوِي ... إلىٰ السَّلَبَيْنِ من أهلٍ ومالِ

(٢) الرَّيَّانُ : قرية من قرى وادي جازان لازالت تعرف بهذا الاسم حتى أيامنا هذه وقد تطور عمرانها في عهدنا السعودي المزدهر وتوفرت بها بعض الخدمات المهمة وأصبحت تضاهي بعض المدن . قال عنها ابن هتيمل :

ياذاكر الرَّيَّانِ كرّرْ ذكرَهُ ... عندي فَبي ظمأ إلىٰ الرَّيَّانِ

وقال عنها أيضاً :

حدِّثاني بالله ما فعل الرَّمْـ ... ـلُ العقيقي بعدنا والبانُ

واللِّوى هل هو اللِّوى وهل الـ ... ـرَّيانُ بعدنا هو الريانُ

(٣) جبلي عكوة : هما جبلان صغيران يقعان شمال شرق مدينة صبياء على بعد بضعة اميال وقد وردت فى قول ابن هتيمل :

إذَا ذُكرَتْ في سفح عَكْوَةَ خيمةٌ ... شَأَىٰ البرقَ سبقاً مَعْجُهَا ووَجِيفُهَا

(٤) المشقَّر : جبل أو اسم موضع في جهة بَلْغَازِي على ضِفَاف وادي ضَمَد أو من مصاب الوادي وقد وردت في قول ابن هتيمل :

أرِحْنِي فَمَا صدْري برُكْنِ عِمَايةٍ ... فأسلو ولا قَلْبي صَفَاةُ المشَقَّرِ

(٥) غوَّانْ : وَادٍ يتفرَّع من وادي قُرَىٰ وكلاهما رافدان من روافد وادي بَيْش وتقع على ضفتيه عدد من القُرَى من أهمها : بلدة المحَلَّة المعروفة بمَحَلَّة بَيْش وقد ورد ذكرها في شعر ابن هتيمل كقوله :

وهمْ اعدَموا أرض السِّحانِ فلتة ... إلى أن خَلا غوَّانُها وغَريفُها

ووادي بِلَاج [1] .. ووادي خُلَب [2] .. وغيرهـــــــــــــــا .. إلى جانب براهين أخرى سأسردها في الفصل الخاص بـ (صلات الشاعر بأمراء وشعراء عصره وإثبات انتمائه للمخلاف السليماني) فكثيراً ما نجد في شعره إشارات إلى أحداث تأريخية ومواقع ومعارك تأريخية وهي مواقع ومعارك أهمل ذكر تفاصيلها المؤرخون للدول والإمارات التي حكمت أصقاع الجزيرة العربية في القرن السابع الهجري ولاسيما في الحجاز والمخلاف السليماني وتهامة اليمن [3] وإلى جانب هذه البراهين فقد لاحظنا أن جميع من ترجموا له قد أكدوا انتماءه للمخلاف السليماني بما فيهم مؤرخو الأدب اليمني أمثال : أحمد بن أبي الرجال في القرن الحادي عشر [4] وقبله الخزرجي في القرن الثامن وأوائل التاسع وكذلك يحيى بن الحسين وباخرمة [5] وسواهم .. **أما الجبرتي فقد أطلق على منطقة المخلاف السليماني وما حولها مسمى (يمن الحجاز) (٦)**

---

(١) بِلَاج : وادٍ صغير يقع جنوب وادي ضمد بالقرب منه :
قال عنه ابن هتميل :

كنتُ أَرْوي من مائِـهِ الزَّاخِـرِ العـذ ب فمــنْ لي بِحسْوَةٍ منْ بِلَاجِ

(٢) وادي خُلَب : وادٍ خصيب يقع بين مدينة صامطة ومدينة أحد المسارحة وعلى ضفافه قرى كثيرة ويَسْقِي أراضي زراعية خصبة ويقع بالقرب منه مصنع اسمنت الجنوب قال عنه ابن هتيمل :

متَـىٰ مَا شَارَفَتْ خُلَبـاً أَنَـاخَتْ بأَخْصَبِ ساحـةٍ ماءً ومَرْعَـىٰ

(٣) بتصرف عن كتاب تاريخ اليمن الفكري فى العصر العباسي لأحمد محمد الشامي ج٤ ص٥١؛ وأنت تلاحظ ان المؤرخ الشامي قد سمىٰ المخلاف السليماني باسمه دون تبعية وسمىٰ تهامة اليمن باسمها الخاص بها !!

(٤) المصدر نفسه ص٥٨.

(٥) المصدر نفسه ص٤٨ــ٤٩.

(٦) المصدر تاريخ عجائب الآثار للتراجم والأخبار جـ٣ ص ٥٩٧و ٦٠٠ و ٦٠٣

ثقافتـه

يختلف مفهوم الثقافة بين أمة وأمة .. كما يختلف مدلولها بين عصر وعصر وربما تعاظم أمر الاختلاف بين مجتمع ومجتمع متعاصرين .. ومما لاشك فيه أن مفهوم الثقافة في عصر وبيئة الشاعر ابن هتيمل يختلف اختلافا كليا عن مفهومه في عصرنا وإن التقيا في أهميتها وتأثيرها وشدة الحاجة اليها في تكوين شخصية الشاعر ورسم ملامحه ..

فأما عن ثقافة الشاعر فإذا كان البحث عن نشأة الشاعر وبداية تكوينه الفكري والعلمي قد أعيى الأستاذ العقيلي وهو صاحب المخطوطات النادرة وربما أعيى قبله صاحب مطلع البدور [1] فكيف لمثلي ممن لم تتهيأ لهم فرصة اقتناء أكبر قدر ممكن من المخطوطات التي تتحدث عن تراث المنطقة الفكري والأدبي أن يجدوا ما يشفي الغليل ؟ إذاً فلا مناص لنا من استقصاء شعر شاعرنا، فعليه نعول في دراسة حياته وفيه ما يعوضنا عما بخلت به علينا كتب التراث (فما هي الحصيلة الثقافية التي حازها شاعرنا ؟) .

وحين نقول الحصيلة الثقافية ، فإننا نقصد بثقافة الشاعر المتعارف عليه آنذاك : إلمامه بالشريعة الإسلامية واللغة العربية إلى جانب معرفته بالتاريخ الإسلامي وإحاطته بأيام العرب في الجاهلية والإسلام ، وقبل ذلك كله وبعد ذلك كله إحاطته بأحداث عصره وصلاته الأدبية بأمراء وأدباء وشعراء ومثقفي عصره .

وهذا كله نجد له دويا في شعر شاعرنا يؤكد لنا أن لابن هتيمل شعرا

---

(١) هذا تعليل لعدم ذكر صاحب مطلع البدور شيئا عن حياته الخاصة مع عنايته بشعره وصلاته بممدوحيه فقط.

أكثر بكثير مما نشر وربما تكون لشاعرنا دراسات ورسائل ومؤلفات نثرية [1]تكمل جوانب شخصيته [2] ولكنها ربما لازالت تنام في أرفف المكتبات العالمية، كجل تراث أمتنا العربية إن لم تكن قد أتت عليها أيدي الإهمال فاندثرت واندرست ضمن مادرس من تراث أمتنا العربية والإسلامية وسوف تتكون لديكم بعد استعراض النماذج التالية فكرة ــ ولو مبسطة ــ عن ثقافة شاعرنا الواسعة ؛ وفي النموذج الآتي يمدح صاحب [3] حلي فيأتي على عصور أدبية مختلفة حين يستعرض الشريط التالي :

إن رُشتَني فزهيرُ رَاشَ جناحَهُ ... هِرمٌ وريشُ جناحِهِ مُتَفاقِدُ [4]

والخالدُ بنُ يزيد فاضَلَهُ أبو ... تمام فاحتملَ المَشقَّةَ خالدُ

والبحتريُّ أنالَهُ ابنَا صاعدٍ ... مالا يكفيِّه الحساب فصاعدُ

---

(١) وجدت لابن هتيمل شعرا فى مطلع البدور كما أتحفني الأستاذ محمد ناصرالحازمي بقصيدة نقلها عن مختارات عاكش وقد كتبت عليها هذه العبارة : «وللعلامة الأديب القاسم بن علي بن هتيمل..» وتعتبر هذه القصيدة تحفة فنية رائعة ومن شعره فى مطلع البدور غير المطبوع قصيدة فى رثاء الإمام المهدي. وبعضها غير موجود بأي من صورتي مخطوطات الديوان اللتين عولنا عليهما في هذه الدراسة ــ بعد الله ــ.

(٢) وهاهو ذا الأستاذ العقيلي يتحفنا مشكورا برسالة نثرية وشعرية رد بها ابن هتيمل على معاصره محمد بن حِمْيَر الذي سبقت الاشارة الى رسالته ورسالة ابن هتيمل النثرية تؤكد علو كعبه فى النثر أيضاً حيث يقول فيها ابن هتيمل: (وردت ورود العافية على السقيم والثروة على اليتيم والغنى على الفقير والإطلاق على الأسير.....) ورسالة ابن حمير إلى ابن هتيمل تؤكد مخلافية ابن هتيمل وتدحض كل ادعاء يخالف ذلك.

(٣) أمير حلي آنذاك هو أحمد بن علي الكناني الحرامي العقيلي وقد سبقت الإشارة إليه.

(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٦٩.

وعمـــارةُ الحدقُّــــي قامَ بحالـــــهِ في مصرَ من ولـد الحسين العـــاضِدُ

ولقـــد علـــمتَ براشدِ بنِ مظفـــرٍ ما كان يصنَـعُ لابــنِ حِمْيــرَ رَاشِدُ

فنـراه قد أتى على عصور أدبيـة مختلفـة من جاهليـة إلى إسلاميـة فأمويـــة فعباسيـة فأيوبيـة ورسوليـة معـاصرة له .. ذاكـراً علاقـة شعـراء تلك الــعصور بأحداث أمتهم وعلاقاتهم بأمراء تلك الأيام .

وفي شعره تلميح بأيام العرب مما يؤكـد ما قلنـاه عن إلمامـه بتـاريخ الأمـة العربية والإسلامية . ولعلنا ندرك حذقه التام بأيام العـرب في الجاهليـة والإسلام حين ننصت إليه وهو يمدح القاسم بن علي الذروي [1] مشيداً ببعض أيامه :

---

(١) القاسم بن علي الذروي ممدوح الشاعـر ابـن هتيمـل هو :القـاسم بن علي بن محمـد بن غانم بن ذروة ـأحـد أمـراء المخلاف السليمـاني في القـرن السابـع الهجـري البارزيــن وقبيلته الذروات حكـمت وادي صبيـا والمخلاف ومـاجـاوره وأتى بعدهـم الخواجيـون. وقد كانت له مواقـف من عمـال الدولـة الرسوليـة التي حكـمت اليمن بعـد الأيوبيين والتي كانت تحاول بسط نفوذهـا على منطقـة المخلاف السليمـاني بل تتعداهـا أحيانــاً إلىٰ مكة المكرمة وقد نشبت بينه وبين الرسوليين عدة معارك سجل بعضها ابن هتيمل في شعـره كمعركـة بيش التي انـتصر فيها الـذروي وواصل زحفـه حتـى استولى على حرض مما اضطرهـم إلى تجييش الجيـوش التــى انتهت بأسره في سجــن تعــز حيث تعنت فيـه الحاكم الرسولي على الـذروي وشفعائـــه حتـــى قال الــذروي قصيدتــه المشهورة ذات المطلع :

من لصَبٍّ هاجَــــهُ نَشْرُ الصَّبَـــــا لم يَزِدْهُ البَيْــــنُ إلا نَصَبَـــــا

تنظر التــرجمة في ورقـــة ٦ من مخطوطـــة الديبـــاج الخسرواني .. وورقـــة ٢٤ من مخطوطـة الجواهـر اللطـاف والجزء الثـالث من مخطوطـة مطلـع البـدور ومجمع البحـور وتنظر ص ٤ من مقدمة الأستاذ العقيلي للجزء المطبوع من ديوان ابـن هتيمـل، وتنظـر الصفحات ٨٥ ــ ٨٨ من كتاب (تاريخ الفكر في العصر العباسي) لأحمد الشامي.

كان يوم الجروب أشنـــع من كِسْـ ـرَةِ كسرى والفـرس[1] في ذي قاره

كما ندركه في قوله الذي خاطب فيه الذروي أيضاً :

حرضا حزتــه وأوقــدت بالـــرا حة بعـــــــد المعين .. خزازا

وفي قوله أيضاً :

وحامتْ على الأحساب بكرٌ وتغـلبٌ إلى أنْ تفانَتْ صيدُ بكـرٍ وتغـلبِ [2]

كما نلمس ذلك في مثل قوله أيضاً :

ولـو طُلــبَتْ بحكــمِ الحربِ عادتْ بحربٍ دونهَـــا حربُ الْفِجَـــارِ [3]

وفي قوله أيضاً :

فالجهـلُ أهـلَكَ قومَ موسىٰ إذْ دعَـــواْ بالجهـلِ عجـلَ السامــريِّ إلٰهَـــا[4]

وفي قوله :

مضى زهيـــرٌ ومولــىٰ رقّـــه هَرِمٌ إنِّـــي وأنْتَ علـــيٌّ والطِّرِمَّـــاح [5]

فهو كما رأينا يشير إلى أحداث ومعارك وأيام وغزوات لا يقتصر فيها على عصر معين وإنما تشمل عصور الجاهليـــة والإسلام .. وحتـــى الخيـــول العربية التي وقعت بسببها الأيام والحروب الطاحنة يذكرها شاعرنا ويسجل بعض ملامح تلك الخيول الشهيرة وذلك حين يصف حصان ممدوحه :

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ٦١ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٤ .

(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ٨٨ .

(٥) مخطوطة الديوان ورقة بدون ترقيم .

(٦) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٣٧ .

فيـه شكــلٌ من الوَجِيـهِ ومــن لاَ　　حِقَ في خَطْـرِهِ وفي خَطَّــارِه [1]

ويستعرض أحيانا أسماء المشهور منها في مثل قوله :

فمـــا الشَّـــادقُ والزائـــــ　　ـدُ والـــداحسُ والأعْـــوَجْ [2]

أما عن إلمام شاعرنا بالتاريخ الإسلامي فقد اخترنا بعض النماذج التي تؤكد هذه الحقيقة أبلغ تأكيد من ذلك قوله مادحا رسولنا الكريم محمداً ﷺ :

أسْرىٰ به اللَّـــهُ إسراءً و كلَّمَـــهُ　　مِنْ قَاب قَوسينِ أوْ أَدنىٰ بإصْرارَ [3]

وأمَّ مَنْ أمَّ من صفِّ الملائكـةِ الـ　　ـأبـرارِ فاعْـجَبْ على برٍّ وأبْـرار

عَزَّتْ به العربُ العربـاءُ إذْ نُصِرَتْ　　على جموع لِكسْرىٰ يومَ ذي قَارِ

ويـوم بدر أمدَّتـــهُ ملائكـــةٌ　　في جحفلٍ كبياضِ الصبــحِ جرَّار

وفي البُراقَ وفي ظلِّ الغَمامةِ والــ　　ـمعـراجِ نصُّ أحـاديثٍ وأخبَـارِ

ويقول مواسياً أحد ممدوحيه :

أمـا تتـأسَّىٰ في حنيـنٍ وخيبـرٍ　　وأُحْدٍ بأصحاب النبِّي وبالنبـي [4]

وكقوله أيضاً مخاطباً أحد ممدوحيه، الـذي كان قد كرمـه وفخَّـم مقداره : [5]

جُعـلتُ فداكَ إذْ فَخَّـمْتَ قدري　　على أهـل الرِّيـاسة والفَخَامـــة

فقـد ولَّـىٰ النبـيُّ على قريشٍ　　وأمـــرّ دونَ سادتهم أسامَـــة

---

(١) المصدر نفسه ص ٦١ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ والوجبه والرحق .. والشادق والزائد وداحس والأعوج اسماء خيول عربية مشهورة .

(٣) المصدر السباق ص ٦٣ .

(٤) المصدر السابق ص ١٦٣ .

(٥) المصدر السابق ص ١٥٧ ، وأسامة بن زيد في البيت الثاني رضي الله عنـه أحـد الشباب الذين أعدهم الإسلام للقيادة الناجحة .

ويقول في بعض مدائحه واصفا بعض معارك ممدوحه: [١]

هي كالفجار الصعب أو كحُنين أو كالشعِّب .. أو ذي قارِ

فهو كما رأينا يشير إلى أحداث إسلامية وإلى بعض غزوات الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم مما يؤكد اطلاع شاعرنا الواسع على ماضي أمته وحاضرها .

وهو أحيانا لا يكتفي بالإشارة التاريخية بل نجده يعرج على القصص القرآني من أمثال قوله :

غير بدْعٍ أنْ أخلَدَتْ فرقُ الكفـــــر إلى زُخْرفِ الحياة اغترَارًا [٢]

قومُ موسىٰ من بعده اتَّخذوا العجـــل إلهاً واستعجلوهُ خُواراً

وأصمُّـــــوا الآذانَ عن نهي هرون وضلتْ عن دين عيسىٰ النصارىٰ

ودعـــا نوح قومَ نوحٍ جهــــاراً (فأصرُّوا واستكبرُوا استكبارًا) [٣]

وبِمَـــا أسرفَـــوا فلـــن يَذَرَ اللَّـــهُ عَلـــىٰ الأرض منهُـــمُ ديّـــارًا

وكقوله واصفا جيش أحد ممدوحيه :

وتحسب ذا القرنينِ صبَّ عليهِمُ طِلَا الرُّومِ أو دَاود قَدَّرَ في السرَّدِ [٤]

---

(١) المصدر نفسه ص ٦١ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ والوجبه والرحق .. والشادق والزائد وداحس والأعوج اسماء خيول عربية مشهورة .

(٣) المصدر السباق ص ٦٣ .

(٤) المصدر السابق ص ١٦٣ .

(٥) المصدر السابق ص ١٥٧ ، وأسامة بن زيد في البيت الثاني رضي الله عنه أحد الشباب الذين أعدهم الإسلام للقيادة الناجحة .

وكقوله :

ولــو قُمْتَ تأمُرُهُــمْ بالصلاةِ وقاموا إليها لقامُوا كُسالَــى[1]

ولـو خَرجُـوا فيكُــمُ للقتـالِ لما زادَكُــمْ ذاكَ إلاَّ خَبَــالَا

وكقوله :

أَحْيَـا التبابـعَ والأذواء فاشتملتْ بالعدلِ دولةُ قحطانٍ على مُضَرِ[2]

وَجَالَ في الأرض حتَّى قالَ ساكنُهَا هذا خليفةُ ذي القرنينِ والخضرِ

وكقوله مشيراً إلى قصة بلقيس مع نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا أزكى الصلاة وأتم التسليم :

فَبلقيسُ لم تؤمنْ بآياتِ ربِّهـا ولا أَسلَمَتْ لولا سليمانُ والصرحُ[3]

ولعلنا نشرف من بعد على المستوى الثقافي الـذي بلغـه في علوم الشريعة واللغة العربية حين نسمعه يشير إلى علمين من أعلام الشريعة واللغة هما الإمام أبو حنيفة إمام الفقه المشهور والعلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام اللغة المشهور ، لعلنـا نشرف على مستوى ثقافة شاعرنا حين نسمعه يقول :

فرأينـا أبـا حنيفــة في الحُجَّـــ ــة والدين والخليل احتجاجاً[4]

وفي قوله مشيراً إلى الحديث الشريف : (مطلُ الغَنيِّ ظُلْم) :

---

(١) يشير في البيت الأول إلى قوله تعالى : ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ سورة النساء آية رقم ١٤٢ .
ويشير في البيت التالي إلى قوله تعالى : ﴿لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا﴾ سورة التوبة آية ٤٧ .

(٢) مخطوطة الديوان دون ترقيم للصفحات .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٣٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١٠٩ .

أنتَ مَلِيءٌ فكيف تَمْطلُني | ما أشبه العسرَ منكَ باليسرِ [1]

وكقوله :

وقلْ هلْ كانَ ذاكَ القلبُ بيعاً | بأغلىٰ نظرةٍ أمْ كان رَهْنَا [2]

بل ربما أدركنا إلمامه بأيام العرب وبأعلام العرب في مثل قوله :

وليسَ أغْلَىٰ ولا أسمىٰ وأشْرَفَ مِنْ | جارِ السّمَوْ ألِ إلاَّ جارُ سلطانِ [3]

ما الأسود بن قنان؟ أو معاويةٌ | وما المعلَّىٰ؟ وما حصنٌ وما هاني؟

وما حمامُ وهمَّامُ بن مُرَّةَ؟؟أو | جَسَّاسُ وائل؟ أوذُهْلُ بن شَيبان؟

وفي مثل قوله أيضاً :

لا تَكْرهي ليَ سعياً أستفيدُ به | زيادةً وكمالاً بعد نُقصان [4]

فإنَّ إتْيَانَ نارِ الطورِ أظهرَ بُرْ | هَانَ النبوَّةِ في مُوسىٰ بن عمرانِ

وصار مُسْتَعْدياً سيف بنَ ذي يَزَنٍ | فَرَدَّ كسرىٰ عليه ملكَ غَمْدانِ

وابن المهلَّب أبْلَىٰ في تطلُّبه | حتى استقامَ أميرا في خُراسان

وشَارفَتْ فارسٌ ملكَ الخلائقَ بالـ | فضلِ بن يحيى وبالفتح بن خاقانِ

وفي قوله مادحاً :

مُذْقامَ ما فخرَتْ بحَاتِمَ طَيِّءٌ | كرما ولا شَرُفَتْ بحاجبَ خِنْدَفُ [5]

---

(١) مخطوطة الديوان، نسخة مصورة عن نسخة معهد المخطوطات العربية .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدرنفسه . وأوس بن حجر وقيس بن عاصم وقس بن ساعدة وهرم بن سنان — وعنترة بن شداد والأحنف بن قيس أعلام عربية مشهورة ومثلهم حاتم الطائي وحاجب بن زرارة في البيت الأول .

مَنْ أوسُ؟ من قيسٌ؟ ومن قسٌّ ومن   هرِمُ الجواد؟ وعنترٌ والأحنفُ؟؟

وفي قوله :

ولولَا جُودُ كفك للبَرايا   لقامَ عليهِمُ عامُ الرَّمادَةْ[1]

وندرك إلمام شاعرنا بمفردات اللغة العربية وقواعدها حين نسمعه يشبه فعل ممدوحه في الأعداء وتأثيره فيهم بفعل أداة الجزم حين تدخل على الفعل المضارع وذلك في قوله :

أمضَيْتَ فِعْلكَ في البُغَاةِ ولم يكُنْ   فِعْلاً فتجزمَهُ الحروفُ مُضارِعاً[2]

كما نلمس إحاطته بقواعد اللغة العربية في مثل قوله مادحا :

إنْ طَاوَلُوكَ لغايةٍ بَعُدَتْ   عَنْهُمْ فليسَ الفعلُ كالإسم[3]

أو أُحْدَثُوا فِعْلاً برأيهمُ   مُستَقْبَلاً فابداؤُهُ بالجَزْمِ

وحتى علم الفرائض نجد شاعرنا يشير إلى أحد أبوابه فيقول :

فلا تُطمع السادات فيمَا ورثتَهُ   فكمْ طَمع في الإرثِ أسقَطَهُ الحجْبُ[4]

بل إننا نجد شاعرنا لا يغفل علم الكلام فيأتي ببعض مصطلحاته حيث نسمعه يقول :

عوضت من خير قومي شر أعْوَاضِ   ومن قروم أبي بكر بأخفاضِ

ومن جواهر قومي بالجواهر في   في علم الكلام وأجسام بأعراض [5]

وعسى أن يكون في هذا القدر من النماذج التي ترسم صورة لسعة أفق شاعرنا وثقافته الواسعة ما يكفينا عناء البحث في مصادر الأدب لفترة ران على

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٢٦ .

(٢) مخطوطة الديوان .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٣٢ .

(٤) مخطوطة الديوان .

جل تراثها الإهمال فحرمنا بسببه ثروة لا نستطيع تعويضها إلا في أمثال شعر ابن هتيمل الذي يعتبر بحق سجلا حافلا نجد فيه ملامح من حياته الخاصة والعامة كما نجد فيه تسجيلا حياً لأحداث عصره المحلية ربما يعوضنا عن بعض الحرمان .

إثبات انتمائه للمخلاف السليماني

غير كثير على شاعر كبير كابن هتيمل أن يطوِّف في الآفاق ناثراً درره هنا وهناك باحثاً عن المجد والشهرة والمال فقد كانت لابن هتيمل علائق وُدٍّ موصولة بأمراء عصره في نصف الجزيرة العربية ؛ كأمراء مكة، وأمراء حلي، وأمراء المخلاف السليماني، وأمراء ظفار، وكان يمدح أولئك الأمراء وأقاربهم وولاتهم وعمالهم .. ولعل من وهموا فنسبوه إلى غير المخلاف السليماني قد وقعوا في هذا الوهم بسبب صلات الشاعر المتينة بالرسوليين الذين حكموا اليمن بعد الأيوبيين وربما بسبب صلاته بأئمة جبال اليمن أمثال أحمد بن الحسين [1] صاحب ذيبين وفاتهم أن ابن هتيمل شاعر جوال يتكسب بشعره ويسعى إلى عواصم الإمارات بحثاً عن الشهرة والمجد والمال فلقد اتصل بأمراء اليمنيين وأمراء ظفار وأمراء حلى وأمراء مكة، وأمراء المخلاف السليماني وكانت له مع كل واحد منهم علائق مودة موصولة ، وله في كل واحد منهم قصائد مديح مشهورة ، وفي ديوانه تأكيد هذه الحقيقة .

وإذا ما أنعمنا النظر فإننا سوف نجد في شعر ابن هتيمل تسجيلا لبعض الأحداث التي عاصرها في المخلاف السليماني مما يمد الدارس بوثائق

---

(١) أحمد بن الحسين بن القاسم بن عبد الله بن القاسم . كان أعلم أهل زمانه أجمع على إمامته أهل مذهبه ، اشتهر بصاحب ذيبين وهو أحد أئمة اليمن الأعلى قال عنه الخزرجي في العقود اللؤلؤية ج١ ص١٢٥ إنه من أمثل أئمة الزيدية المتأخرين علماً وعملا وجوداً وكرماً قتل سنة ٦٥٦ ويقال: إنه قتل في اليوم الذي قتل فيه آخر خلفاء بني العباس (المستعصم) .. كان ابن الحسين صاحب شجاعة نادرة أعجب به ابن هتيمل ومدحه بغرر قصائده .. وحين قتل رثاه بجيد شعره .. انظر ترجمته في كتاب : بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام للقاضي العرشي ص ٤٨ .

تاريخية تؤكد أنه من أبناء منطقة جازان المعروفة سابقاً بالمخلاف السليماني والممتدة من شرجة حرض المندثرة الواقعة في حدود المملكة مع اليمن حالياً إلى بلدة حلي بن يعقوب شمالاً ومن البحر الأحمر غرباً إلى سفوح جبال عسير شرقاً، يقول ابن هتيمل مؤكداً مخلافيته بصورة عامة وضمديته بصورة أخص مخاطباً أمير حَلِي [1] :

يا أحمدَ بن علي دعوةَ مُخلصٍ ... ناداك من ضمد فكنت مجيبا
أَغْنيتَني وكَفَيْتَنِي في بَلْدة ... كنتُ الغريبَ بها ولستُ غريبَا

وينسبه المؤرخ اليمني أحمد بن أبي [2] الرجال صاحب كتاب مطلع البدور ومجمع البحور إلى بلدة ضمد فيقول : القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي [3] ثم يتحدث بعد ذلك عن بلدة الشاعر ضمد فيصف مكانتها العلمية بكلام تناقلته عنه كتب الأدب [4] . ويؤكد الشاعر اليمني الآنسي [5]

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٦٢ ط٢ وأحمد بن علي الذي يهتف به الشاعر هو أحمد بن علي العقيلي الحرامي أمير حلي وأحد زعماء قبيلة كنانة بحلي مدحه ابن هتيمل بغرر له واسرته الحراميون يتوراثون إمارة حلي منذ مطلع القرن الخامس الهجري حين استولى على مدينة حلي رجل من بني حرام كما يقول الفاسي ـ العقد الثمين ج٤ .

(٢) أحمد بن أبي الرجال : هو أحمد بن صالح بن أبي الرجال مؤلف كتاب مطلع البدور ومجمع البحور ولد سنة ١٠٢٩هـ وقيل سنة ١٠٠٧ ببلاد الشرف في اليمن وتوفى سنة ١٠٩٢ له نظم ونثر جيد ذكر بعض شعره في تراجم بعض شيوخه ومعاصريه أثناء ترجمته لهم في كتابه المشار إليه انظر ج١ ص ٥٩ ـ ٦١ من البدر الطالع للشوكاني .

(٣) مطلع البدور ومجمع البحور نسخة خطية غير مرقمة الصفحات .

(٤) تناقلت عنه كتب الأدب قوله :(مما اشتهر على الألسن أن ضمد لا تخلو من أديب بليغ أو عالم محقق) مطلع البدور مخطوط .

(٥) عبد الرحمن بن يحيى الأنسي الصنعاني ولد سنة ١١٦٨ بصنعاء وتوفى سنة

الذي مدح أمير المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر الشريف حمود أبا مسمار يؤكد في قصيدته على مخلافية ابن هتيمل حيث يقول واصفاً روعة قصيدته :

تضاهي قديما رقة ابن هتيمل　　على شرفا المخلاف منه برود [1]

وينقل الأستاذ العقيلي في تعليقه على ما اختار من شعر ابن هتيمل ما ذكره عاكش في كتابه الذهب المسبوك فيقول :(ضمد القديم : بموضع قرية مختارة التي بنى فيها الوزير الحسن بن خالد الحازمي قلعته وهو الذي أسماها بهذا الاسم وكان فيما مضى يسمى نجران وبه كان الشاعر المشهور القاسم ابن هتيمل وغيره من العلماء) [2].

= ١٢٥٠هـ ولي القضاء في عدد من بلدان جهات اليمن شاعر مجيد له مطارحات مع علماء وشعراء وقته ومنهم العلامة محمد بن علي الشوكاني انظر ج١ ص٣٤٠ — ٣٥٢ من البدر الطالع للشوكاني .

(١) هكذا ورد هذا البيت في مقدمة الجزء المطبوع من الديوان ص ٩ ط٢ وقد وجدته في نيل الوطر لزبارة على النحو الآتي وذلك ضمن قصيدة الأديب العلامة عبد الرحمن الآنسي في مدح الشريف حمود بن محمد الحسني أمير المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن الثالث عشر التي يقول في مطلعها :

لعمرك ماالليث الذي هوّلوا به　　ولكنما الليث المصور حمود

وقد جاء البيت المشار إليه في نيل الوطر على النحو الاتي :

يعفى قديما رقة ابن هتيمل　　إلى شرفا المخلاف منه جديد

انظر ص ٤١١ ج١ من نيل الوطر لمحمد زبارة ط المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٨هـ .

(٢) الجزء المطبوع من ديوان ابن هتيمل اختيار وتعليق محمد أحمد العقيلي ص ١٧٣ وتنظر مخطوطة الديباج الخسرواني للحسن بن أحمد عاكش ورقة ٨٢.

وهاهو معاصر ابن هتيمل شاعر اليمن في القرن السابع محمد بن حمير المولود بوادي سهام في تهامة اليمن يوجه لابن هتيمل رسالة نثرية وشعرية يثبت فيها اختلاف موطنيهما بل تؤكد الرسالة يمنية ابن حمير وشآمية ابن هتيمل ومخلافيته وضمديته حيث يقول ابن حمير في مقطوعاته الشعرية الثلاث الممزوجة برسالته النثرية التي وجهها لمعاصره ابن هتيمل :[1]

إنْ سَعَتْ بيننا صُرُوفُ الليالي   أو تَنَاءَتْ منَّا ومنكَ الخِيامُ
أو رمَىٰ البينُ سَهْمَهُ فَحَوَتْني   يَمَنٌ واحْتَوتْكَ عنّي شآمُ
فودادي ذَاكَ الودادُ، وَوَجْدي   ذلك الوجد، والغرامُ الغرامُ

إلى أن يقول :

ضَمَدٌ مذْ حَلَلْتَ فيه عليهِ   حرجٌ أن يحلَّ فيه الملامُ
فَسقَتْ بلدةٌ حوتْكَ الغَوَادِي   ولكَ العزُّ دائماً والدوامُ

ويقول في المقطوعة الثانية :

ولمَّا حَوتْكَ الشامُ عنّي وأيْمنَتْ   بلادي وهذا الدهرُ أجور حاكمِ[2]

ويقول في المقطوعة الثالثة :

فإنَّما الجَهلُ غَطَّىٰ كلَّ مثلبةٍ   وشاعرُ الشامِ يَرْعَىٰ شاعرَ اليمنِ[3]

وفي هذه المقطوعات الثلاث كما رأينا يقرر ابن حمير أنه يمني حوته بلاده اليمن وأن ابن هتيمل شآمي حوته بلاده ضمد بالمخلاف السليماني — كما في المقطوعة الأولى .. وابن حمير أيمنت به بلاده اليمن في حين

(١) بتصرف عن كتاب التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للأستاذ محمد أحمد العقيلي مخطوط الورقات ١٤١ ــ ١٤٥. انظر ص ٥٣ ــ ٥٨ من كتاب تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي .

(٢) المصدر السابق الورقة ١٤٢ .

(٣) المصدر السابق ورقة ١٤٤ .

احتوت الشام ابنها البار ابن هتيمل الضمدي كما يفهم من البيت الذي اخترناه من المقطوعة الثانية، وشاعر الشام ابن هتيمل يرعى ابن حمير شاعر اليمن كما في البيت الأخير.. وإذا فليس بعد شهادة ابن حمير اليمني هذه ـ وهو المعاصر لابن هتيمل ـ أي مجال لادعاءات المدعين كيف لا وقد شهد شاهد من أهل اليمن المعاصرين للشاعر !!

كما أننا نجد علاَّمة اليمن ومؤرخها في القرن الثالث عشر الإمام محمد بن علي الشوكاني يؤكد ما قرره ابن حمير من شآمية المنطقة التي احتضنت ابن هتيمل فيذكر أحداثاً وقعت في عصره بالمخلاف السليماني ـ تلك المنطقة الممتدة من بلدة الشرجة المندثرة الواقعة جنوب بلدة الموسم إلى بلدة حلي في الشمال، فيسمي الشوكاني هذه المنطقة تارة باسمها التأريخي (المخلاف السليماني) وتارة يطلق عليها اسم الأراضي العريشية [1] نسبة إلى عاصمتها الإدارية في ذلك العصر حيث كان الشريف حمود أبو مسمار الحاكم من قبل آل سعود آنذاك يتخذ مدينة أبو عريش عاصمة لحكمه . وهذا صاحب كتاب (نيل المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام) القاضي حسين بن أحمد العريشي اليمني يقول في ص ١٠٩ وهو يصف وصول السيد أحمد بن ادريس في القرن الثالث عشر إلى مكة المكرمة والتفاف طلاب العلم حوله : (ثم وصل السيد أحمد بن إدريس إلى الحجاز واشتهر هنالك بالعلم والفضل وعكف عليه جمع من الطلبة من جهات شتى فمنهم من تهامة شمالي اليمن ومنهم من أبي عريش وآخرون من صبيا وكثيرون من عسير) [2] .. فنجد العرشي قد أوضح تهامة اليمن الواقعة شمالي اليمن ولم يجعل منها كما رأينا أبو عريش ولا صبيا ولا ادعى سواهما، مثله

---

(١) انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني ج٢ ص ٢٩٧ .

(٢) نيل المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام :

مثل الشوكاني [١] والواسعي [٢] وجلّ مؤرخي اليمن البعيدين عن الهوىٰ .

بل إننا نجد مؤرخ اليمن في القرن الثامن وأوائل القرن التاسع العلامة علي بن الحسن الخزرجي المتوفي ٨١٢ [٣] يذكر ابن هتيمل في كتابه في مواضع متعددة ويصرح بأنه شاعر المخلاف السليماني حيث يقول عنه : (القاسم بن علي بن هتيمل شاعر المخلاف السليماني رحمه الله وكان فصيحاً حسن الشعر مداحاً) [٤] .

ومن هذه المصادر وسواها استقى الدكتور شوقي ضيف معلوماته عن الشاعر حين قرر قوله : (القاسم بن علي بن هتيمل هو من نجران بوادي ضَمَد في المخلاف السليماني وبها نشأ) [٥] .

وإذاً فلا مجال لادعاء يمنية ابن هتيمل إلا إذا كان ذلك من قبيل قول شاعرهم الذي بالغ في مدح الملك الأشرف أحد ملوك الدولة الرسولية في اليمن وقد احتفل بتطهير أبنائه وحشد لذلك حفلا حافلا فقال الخزرجي مبالغاً كعادة الشعراء :

هبَّ النسيـمُ معنبـرَ النَّفَحـاتِ ... وشدا الحمامُ بأطْيبِ النغمَـاتِ [٦]

وتَضَوَّعَ اليمَـنُ الخصيبُ بأَسْرِهِ ... بالطِّيب من عَدَنٍ إلىٰ عَرَفَـاتِ

= تأليف القاضي حسين بن أحمد العرشي حققه وذيله عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة العلامة انستاس الكرملي ص ١٠٩ .

(١) تنظر الصفحات ٢٩٧ وما بعدها من كتاب البدر الطالع ج٢ للشوكاني .

(٢) انظر ص ١٢٥ من كتاب العلامة اليمنى عبد الواسع الواسعي المسمى (تاريخ اليمن أو فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن).

(٣) انظر ملحق البدر الطالع للعلامة محمد محمد زبارة ص ١٦١ .

(٤) العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية للخزرجي ج١ ص٢٨٠.

(٥) عصر الدول والإمارات للدكتور شوقي ضيف ص٢١٤

(٦) العقود اللؤلؤية ج١ ص٢٣٦

وإلا إذا كان ذلك من باب إطلاق الاتجاه ؛ على أن الجهة الواقعة شمال مكة المكرمة تسمى شاما والجهة الواقعة جنوبها تسمى يمنا أخذاً من قولهم : (هذيل الشام وهذيل اليمن وهما حول مكة !!) وهذه وتلك ادعاءات يعوزها الدليل الواقعي المستمد من عرصات التاريخ .. وعلى أية حال فابن هتيمل الضمدي المخلافي شاعر الأمة العربية .. ولكن الواقع التاريخي يؤكد بأن ضمد بالمخلاف السليماني (منطقة جازان) هي التي أنجبته كما أنجبت كثيرين من أمثاله على مرّ الأيام . وربما (قطعت جهيزة قول كل خطيب) ؛ فها هو ابن هتيمل يؤكد انتماءه للمخلاف السليماني بنفسه حيث يقول :

إنْ ضاقَ بي وطني المِخْلَافُ واهتضمَتْ أَهلُوْهُ حقي ففي الآفاق متَّسَعُ[1]

وبعد : فمن هو ابن هتيمل هذا ؟ وما هي ثقافته ؟ وما أغراض شعره وما هو منهجه الشعري ؟ وما هي الصورة التي يمكن أن نكونها عن حياته وعصره ؟

كل هذه التساؤلات لا نجد لها جوابا شافياً إلا في ثنايا شعره المطبوع أو المخطوط، ولا شيء يجيبنا عنها سواه .. بعد أن أجفلت كتب التاريخ الأدبي وكتب التراجم عن ذكر شيء يبدد ظنون السؤال اللاهث .

---

(١) عن صورة مخطوطة ديوان ابن هتيمل المأخوذة عن مخطوطة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية رقم الميكروفيلم ٣٠٤٩ والمخطوطة غير مرقمة الصفحات والبيتان من قصيدة مدح بها الأمير وهاس صاحب باغتة ومطلعها:

قف بالخيام صدور العيس يانسع على مصيف بمغناها ومتسع

الباب الثاني

شعر ابن هتيمل

١ـ وصف النسخة المصورة عن نسخة معهد المخطوطات العربية ، أحد مصادر هذه الدراسة ـ تاريخ النسخ ـ نوع الخط ـ عدد أسطر كل صفحة ـ عدد القصائد .. عدد الأبيات .

٢ـ وصف النسخة المصورة عن نسخة جامعة الملك عبد العزيز ـ نوع الخط ـ عدد أسطر كل صفحة ـ عدد قصائدها ـ عدد أبياتها ـ الفارق العددي بين أبياتها وأبيات نسخة معهد المخطوطات العربية .

٣ـ الجزء المطبوع من الديوان ، طريقة محققه .. عدد قصائده .

٤ـ نظرات في شعر ابن هتيمل :

أ) منهج ابن هتيمل الشعري .

ب) الصورة في شعره .

ج) أغراض شعره .

د) الألفاظ والصور الشعبية في شعره .

هـ) أثر البيئة في شعره .

و) «نجد» في شعر اب هتيمل .

ز) الشيب في شعره .

ح) الشكوى والتشاؤم في شعره .

ط) الحِكَم والأمثال في شعره .

وصف النسختين الخطيتين اللتين اعتمدناهما في الدراسة واختيار النماذج

لديوان ابن هتيمل نسخ مخطوطة متفرقة إحداها لدى الشيخ عبد الله ابن عقيل [1] في الرياض وأخرى بالهند وثالثة باليمن ورابعة بالمكتبة الوطنية بسلطنة عمان وخاسة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة[2] وقد تهيأ للباحث الحصول على صورة نسختين منها، هما : مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز بجدة التي تحمل الرقم ١٩٥ ومختومة بختم مكتبة الجامعة وهذه المخطوطة صورها لنا مشكوراً الأستاذ علي محمد أبو زيد الحازمي [3] . ونسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة المصورة عن مخطوطة صنعاء باليمن . ورقم الميكروفيلم في معهد المخطوطات ٣٠٤٩ وهذه النسخة تم

---

(١) الشيخ عبد الله بن عقيل : أحد علماء نجد المعاصرين وأحد القضاة المشهورين آخر الأعمال التي شغلها حتى عام ١٤٠٥هـ منصب سكرتير مجلس القضاء الأعلى بالرياض له اهتمام بجمع المخطوطات والكتب التراثية ولديه مكتبة عامرة بشتى فنون العلم والمعرفة وفقه الله .

(٢) وهناك نسخة سادسة حصل عليها الباحث مؤخراً وهي مأخوذة عن مكتبة : عبد الله محمد الوريث بذمار باليمن وأولها : (قال العبد المقر بذنبه الراجي رحمة ربه القاسم بن علي بن هتيمل عفا الله عنه : سألني بعض السادة أن أجمع شيئاً مما سمح به الخاطر فأقدمت على ما يقدم عليه العاقل . وآخرها مبتور ينتهي بقصيدة رثاء في ولده سلطان) .

(٣) علي محمد أبو زيد الحازمي : أحد علماء مدينة ضمد بجيزان المعاصرين يعمل مدرساً بالمعهد العلمي بضَمَد أصدر بعض الرسائل والبحوث المحققة أهمها : رسالة الجهر بالبسملة والإسرار في الصلاة الجهرية للعلامة الوزير الحسن بن خالد الحازمي ورسالة بعنوان المسائل التي الاختلاف فيها من الاختلاف المباح للبهكلي وقد صدرتا عن نادي جازان الأدبي .. ولديه أعمال محققة أخرى مخطوطة .

الحصول عليها عن طريق الجهد الشخصي للباحث حيث صورت بعناية في القاهرة . وفي الأسطر التالية سنحاول وصف هاتين النسختين :

١ ـ وصف نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة :

تاريخ النسخ ١٠٦٧هـ وخطها نسخي حسن كتبت بصنعاء، ورتبت صفحاتها وأسطرها ترتيباً رائعاً من غير ترقيم للصفحات .

وعدد الأوراق ٢١٢ ورقة كل ورقة بها صفحتان كل صفحة بها عشرون بيتا خلت صفحاتها من الترقيم وكتب على غلافها :

(هذه نسخة كاملة للديوان ويتلوه ما وجد خارجاً) . ثم تلا ذلك وصف موجز للمخطوطة وعدد الأوراق ومكان النسخ أتت بعد ذلك صفحة عنوان داخلية تسبق الصفحة الأولى وتحمل العنوان الآتي ـ المكتوب بالخط الأبيض في باطن الأسود :

«ديوان الأديب النجيب شرف الدين قاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي اليمني[1] المخلافي كافأه الله بالحُسْنَى» .

وصُدِّر بنظم يدل على أن الكاتب قد نسخه بعناية الإمام عبد القادر[2] ابن الناصر بن الإمام يقول من هذا النظم :

حرَّرْتُه رِقاً لمولىً غدا تحريرُ رِقِّي من عطيّاتِه

---

(١) لن تُستغرَبْ نسبته إلى اليمن فالناسخ يمني والمنسوخة بعنايته أحد أئمة اليمن وكان يطلق على الجهات الواقعة جنوب مكة (يمن) والجهات الواقعة شمالها (شام) .. وشاعر كابن هتيمل يرغب احتواءه !!

(٢) عبد القادر بن الناصر بن الإمام : المتوكل على الله ولد بكوكبان باليمن ونشأ به وأخذ عن علماء عصره تولّى إمارة كوكبان ومات بها سنة ١٠٩٨ انظر ملحق البدر الطالع صفحة ١٢٤ .

تلك نهايـــاتُ حيَـــا كفِّـــه في البَــذْلِ تروْي عنْ بدَايَاتِـــه

نَجْـلُ حسامِ الديـــن عاداتُـــهُ في الجودِ وَالعَلْيَـــا كَعَادآتِـــهِ

إلى آخرها . ثم ذَيَّل تلك الأبيات باسم الإمام الذي نُسِخَ الديوان بعنايته حيث سماه بـ : «عبد القادر بن الناصر بن الإمام» . وبدأ الديوان بقوله :

قال يمدح أبا بكر بن عمر العبدي صاحب الزيدية ويمدح قومه :

لا تُعالـــجْ منَ الصَّبَابـــةِ دَاءً فهـــو داءٌ أَعْيَـــا الطبـــيبَ دواءَ

وقد رتب القصائد حسب حروف الهجاء حيث بدأ بقصيدة قافيتها الهمزة وحين انتهى من حرف الهمزة قال في هامش القصائد المنتهية بروي الباء : (قافية الباء) وهكذا حتى انتهى إلى قافية (الياء) حيث كانت آخر قصيدة في الديوان : قصيدة يمدح بها الشريف محمد بن أبي سعد بن أبي نُميّ صاحب مكة مطلعها الغزلي :

يقـولُ مُتلِفُـه في الـحُبّ وادِيـهِ وليس من عَزْمِـه واديـهِ واديـهِ

وآخر بيت فيها :

والمُدهِشُ المُدهِشُ السحَّابُ حين بَدَا في رقْمِ راقِمِه أوْ وشْيِ واشِيهِ

وجاء بعد هذا البيت قول الناسخ :

(تَمَّ الديوان بكرم الله وفضله

يتلـو ذلك ما وجـد خارجـا عن الديـوان من شعـره فمن حرف الهمزة قوله يمدح الصاحب بهاء الدين محمد بن أسعد الحميري وزير الملك المظفر .... إلخ) .

عدد قصائد الديوان : ٢٨٢ قصيدة ومقطوعة .

عدد قصائد المديح فيها :

٢٢٤ قصيدة ، وعدد أبياتها بما فيها المقدمات الغزلية والطللية وحتى الخمريات، والوصف، والحنين ، والشكوى ٥٩٧١ بيتاً تقريباً .

عدد قصائد ومقطوعات الغزل :

٢٥ قصيدة، وعدد أبياتها ٥٦١ بيتا إلى جانب ما يقارب ستمائة بيت (٦٠٠) جاءت على هيئة التشبيب كمقدمات لقصائد المديح .

عدد قصائد ومقطوعات الاستعطاف والعتاب والشكوى :

(١٠) عشر قصائد، وعدد أبياتها (١٠٩) بيتاً إضافة إلى بعض أبيات ترد في ثنايا مدحه قد تتجاوز هذا العدد .

عدد قصائد الرثاء :

(٢٤) قصيدة ، وعدد أبياتها (٦٩٢) بيتاً .

وحين نأتي إل عدد أبيات ديوان ابن هتيمل نجدها : سبعة الآف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين بيتا (٧٩٣٣) .

ولقصائد المديح منها الجزء الأوفر، حيث نجد أن عدد أبيات قصائد المديح كاملة (٥٩٧١) بيتا، بيد أن هذا العدد ينقص حوالى (٢٣١٥) بيتا إذا ما اقتطعنا من قصائد المديح مقدماتها الغزلية، والطللية ، والخمريات إلى جانب أبيات الحكمة والأبيات التي تمثل الشكوى من بني زمانه والأبيات التي يرد فيها الاعتداد بنفسه أو بشعره أو التغني بطبيعة بلاده أو وصف نياقه والمهامه التي تقطعها إلى بلدان ممدوحيه ... إلخ .

٢ ــ وصف النسخة المصورة عن نسخة جامعة الملك عبد العزيز بجدة :

تحمل الرقم ١٩٥ ولم يبين ما إذا كان رقم المخطوطة أم رقم الميكروفيلم !!

وعدد أوراقها ٢٤٣ بكل ورقة صفحتان وهذه المخطوطة كتبت بثلاثة خطوط متفاوتة أحدها خط نسخي معتاد والآخران متقاربان في المستوى . عدد أسطر كل صفحة متفاوت من ١٥ إلى ١٦ وهو الأكثر ومن ١٨ إلى ٢٥ وهو الأقل والأخير رديء يرسم بعض الكلمات رسما فيخطيء في ذلك خطأ يذهب بالمعنى .

جاءت الصفحة الأولى تحمل هذا العنوان : (هذا ديوان القاسم بن هتيمل شاعر المخلاف السليماني الذي يقول فيه أحد الشعراء :

أمـا قصائـدُ قاسمِ بنِ هتيمـلِ ... فمذَاقُهَـا أحْلَـى من الصَّهْبَـاء

هو شَاعـرٌ في عصرِهِ فَطِـنٌ وَلَـ ... ـكِنَّ ابنَ حِمْيَرَ سَيِّد[1] الشعـرَاءِ

وكتب تحت هذين البيتين ما يلي : (وكتبه حمد الجاسر في مكة المشرفة ١٠ شوال ١٣٨٠هـ) وليست هناك أية معلومات عن مصدر المخطوط ولا سنة الكتابة ولا اسم الكاتب كعادة الخطاطين . وجاءت الصفحة الأولى تحمل أول قصيدة في الديوان وهي أولى القصائد التي ينتهي رويها بحرف الهمزة وبدأت بقوله : قال يمدح أبا بكر بن محمد العبدي صاحب الزيدية ويمدح قومه بني عبيدة عفا الله عنهم :

---

(١) والشطر الثاني ورد في العقود اللؤلؤية هكذا : (ولكن ابن حمير أشعر الشعراء انظر ج١ ص ١١١ .

لا تُعالـــــجْ من الصَّبَابَـــــــةِ دَاءً   فهْـــوَ دَاءٌ أعْيَـــا الطبـــيبَ دواءَ

وآخر بيت في القصيدة هو قول الشاعر :

وخِـــلَالٌ سَرِيْـــنَ مِنْ عُمَـــرٍ فيكَ   فألـــبسْنَكَ السَّنـــآءَ السَّنـــآءَ

وقد جاءت قصائد هذه المخطوطة مرتبة حسب الحروف الهجائية ـ مثل النسخة المأخوذة عن معهد المخطوطات العربية وكانت آخر قصيدة في مخطوطة معهد المخطوطات العربية على حرف الياء وهي القصيدة التي مدح بها ابن هتيمل شريف مكة (أبا نُمَيّ) محمد بن أبي سعد حيث يقـول في مطلعها :

يقـــولُ مُتْلِفُـــهُ في الـــحُبِّ وَادِيـــهِ   ولـيسَ مِنْ عَزْمِـــهِ وَادِيـــهِ وَادِيـــهِ

وآخر بيت فيها :

والمُدْهِشُ المدهشُ السَّحَّابُ حينَ بَدَا   في رَقْمِ رَاقِمِه أووَشْى وَاشِيهِ

ثم قال الخطاط بعد هذا البيت : (تَمَّ الديوان الفريد يتلو ذلك ما وجد خارجا عن الديوان من شعر ابن هتيمل فمن حرف الهمزة قوله : في مدح الصاحب بهاء الدين محمد بن أسعد الحميري وزير الملك المظفر :

ذَاكَ سَلْـــعٌ وهـــذهِ تَيْمَـــاءُ   فابْكِ فيهَا إنْ كانَ يُغْنِي البُكَاءُ

ثم أتى بقصائد تنتهي بحرف البـاء ثم بحرف الـدال وآخـر قصيـدة مطلعها :

يَاهضْبَـةَ الحِلْـمِ بَلْ ياكَرْمَـةَ الجُـودِ   يَاقَـانِصَ الأُسْد بَلْ يَاصَائِـدَ الغِيْـدِ

أما مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز فكانت آخر قصيدة في التسلسل الهجائي الأول هي القصيدة التي مدح بها ابن هتيمل شمس الديـن علي بن يحيى صاحب جازان ومطلعها :

أَتَـــوا في لَوْمِـــهِ شَيْئـــاً فَرِيَّـــا   (فلمَّـــا استَيْـــأسُوا خَلَصُوا نَجِيَّـــا)

وآخر بيت :

فَتـىً لم تَلْـقَ في الثَّقَلَيْـنِ مِثْـلاً لَهُ في الصالحاتِ ولا كَنِيَّـا

وأهمل قصيدة (أبي نمي) التي ختمت بها النسخة المأخوذة عن معهد المخطوطات بالقاهرة كما أنها لم تشر إلى انتهاء الديوان وإلى سرد قصائد أخرى خارجة تترتب هجائياً من جديد كما حصل في نسخة معهد المخطوطات وإنما جاء بعد القصيدة اليائية التي مدح بها ابن هتيمل صاحب جازان : (أتوافى لومه شيئاً فريا) جاء بعدها بقصيدته الهمزية التي مدح بها وزير المظفر (محمد بن أبي سعد الحميري) : (ذاك سلع وهذه تيماء) دون إشارة تذكر وهناك قصائد لا وجود لها في هذه النسخة فمن حرف الباء حذفت قصيدتان الأولى مطلعها :

تَنْصُو الصِّبَا وتُريـدُ أيَّـامَ الصِّبَـا أتُـراكَ تَخْلُفُ في الصَّبَابـةِ أشْعَبَـا

والثانية مطلعها :

بَعِيْـدُ الـدَّارِ حِلَّتُـهُ قَرِيبُ وشاكٍ أصلُ عِلَّتِـهِ الطَّبِـيبُ

والقصيدتان نشرتا ضمن مختارات الأستاذ العقيلي وترتيبهما الثالثة والرابعة في مخطوطة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

ومن حرف الدال قصيدته في مدح القاسم بن علي الذروي ومطلعها :

أعنْدَكُمُ عِلْـمٌ عنِ العَلَـمِ الفَـرْدِ وهَل لَكُمَا عَهْدٌ بناكِثَـةِ العَهْـدِ

ومن حرف الراء قصيدته في مدح المهدي محمد بن القاسم ومطلعها :

أقَـلُّ فَضلِكَ شيْءٌ لَيْسَ يَنْـحَصِرُ وشَرْحُ مدْحِكَ يا مَهْديُّ مُنْحَصِرُ

ومن حرف (السين) قصيدته في مدح علي بن برطاس وزير المظفر، ومطلعها :

خُذْهَـا فَلَـيسَ بأخذِهَـا مِنْ باسٍ كالشَّمسْ تَطْلُعُ مِنْ خِبَـا شَمَّـاسِ

ومـن حرف (الـعين) قصيدتـه في مدح الإمـام أحمد بن الإمـــام المنصور أيضا التي مطلعها :

دَعْ جُفُـوني تَنْهَـلُّ وِتْـراً وشَفْعـاً   أَنَـا أبكـي دَمـاً إذَا غِضْتُ دَمْعـاً

وقصيدته في مدح الإمام أحمد بن المنصور أيضاً التي مطلعها :

أرىٰ كَبِـدِي لا تَستَطِيْرُ صُدوعُهَـا   وأَجْفَـانُ عينـي لَا تَفـيضُ دُمُوْعُهَـا

ومـن حرف (الـلام) قصيدتـــه في مدح الأمير وهـــاس بن سليمـــان ومطلعها :

وهَّـاسُ ياابْـنَ سُليمـانٍ بَقـيْتَ عَلىٰ   رَغْمِ الحَسُودِ وَلَا حَالَتْ بِكَ الحَـالُ

ومـن حرف (الهاء) قصيدتـه في مدح محمـد بن أبي سعـد المعـروف بأبي نمي ذات المطلع :

يَقُــولُ مُتْلِفُـــهُ في الـــحُبِّ وَادِيْـــهِ   ولـيسَ مِنْ عَزْمِـــهِ وَادِيْـــهِ وادِيْـــهِ

وقصيدتـه في مدح الشريـف على بن محمـد الخواجـــى صاحب صبيـــا والتي يقول في مطلعها :

لَوْ دَرَّجَ العَانِـــي بِلَابِـــلَ عُودِهِ   وَرخيـمَ نَغْمَتِـــه ورنَّـــة عُوْدِهِ

كما حفلت هذه النسخة بالكثير من الأخطـاء الإملائيـة التـي ربما تسببت في ذهـاب المعنـى المراد . وفي بعض القصائـد لوحـظ بعض النـقص ؛ فبعضهـا لا يوجد فيه سوى العدد اليسير من الأبيـات من أولها أو من آخرهـا ، وأحيانـا يحذف البيتـان أو الثلاثـة أو الأربعـة وأحيانـا الـعشرة كما في قصيدتـه (الداليـــة) ذات المطلع :

فَرَّطْتَ يَوْمَ سُوَيْقَـــةٍ يَا صَائِـــدُ   في الصَّيْدِ وَهْـو مُخَايِــلٌ وَمُكَايِــدُ

وربما وصل الحذف في بعض القصائـد إلى ثلاثين بيتـــا كما في القصيـــدة (الحائية) ومطلعها :

كَيفَ تُصغِي سَمْعاً لِلاَحِ وَلاَحى   هَلْ محا الحُبَّ مِنْ فُؤادِكَ مَاحِي

ومع كل هذا النقص إلا أن عدد أبيات هذه المخطوطة قد جاء مقارباً لعدد الأبيات في نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، فإذا كان عدد أبيات نسخة معهد المخطوطات قد بلغ سبعة الآف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين بيتا فإن عدد أبيات هذه المخطوطة المصورة عن جامعة الملك عبد العزيز بجدة قد بلغ سبعة آلاف وثلاثمائة وخمسة أبيات، ولأن هذه النسخة قد أخفت عنا تاريخ كتابتها ومكانها فإننا لا نعرف أي المخطوطتين اللتين بين يدينا أسبق ظهوراً مما يتيح للباحث المدقق مشروعية التساؤل اللاهث عن حال النسخ الأخرى وما إذا كا في بعضها إضافات أو قصائد لم تستوعبها مخطوطة معهد المخطوطات العربية !! سؤال لا نملك حق الإجابة عليه إلا بعد أن تتهيأ لنا فرصة الاطلاع على إحدى مخطوطات الديوان الأخرى !!

٣ ــ وصف الجزء المطبوع من الديوان :

في عام ١٣٨١ هـ أصدر الأستاذ/ محمد أحمد عيسى العقيلي مختارات من شعر ابن هتيمل اختار فيها ستا وتسعين قصيدة تضم ألفين ومائتين وسبعة وخمسين بيتا من بين قصائد الديوان المخطوط البالغ مجموعها مائتين وثمانياً وسبعين قصيدة ، تضم سبعة الآف ومائتين وسبعة وتسعين بيتا ، تشمل سائر الأغراض الشعرية المتداولة في عصره وعصور سابقيه وكان الأستاذ العقيلي قد تجاوز الواقع حين سمّى تلك المختارات : (ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل دراسة وتحليل) [١] فصدرت في مائة وتسعين صفحة من القطع المتوسط، ثم أعاد طباعة هذه المختارات في عام ١٤١٠هـ تحت مسمى : (مختارات من ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل دراسة وتحليل وتحقيق) [٢] أضاف إليها بعض الفهارس دون أن يضيف جديداً من شعر ابن هتيمل ودون أن يتوسع في شرح أو تعليق كان القاريء يتطلع إليهما وبخاصة بعد أن أضاف إلى عنوان المختارات كلمة (وتحقيق) !! ونلاحظ أن صاحب المختارات قد رضخ في الطبعة الثانية للملاحظات المتابعين الذين اعترضوا على تسمية الجزء المختار بديوان ، إلا أنه شفع اعترافه باعتذار عن التوسع في إضافة شيء من شعر ابن هتيمل وعلل ذلك بضخامة الديوان حيث حدد صفحاته بمائتين وثماني عشرة صفحة [٣]، والواقع أن عدد صفحات الديوان تزيد عن أربعمائة وأربع وعشرين صفحة من القطع دون المتوسط !! وليس مائتين وثماني عشرة صفحة كما يقول ؛ فنسخة معهد المخطوطات

---

(١) غلاف الجزء المطبوع من الديوان الصادر سنة ١٣٨١هـ ط١ .

(٢) غلاف الجزء المطبوع من الديوان للمرة الثانية الصادر عام ١٤١٠هـ ط٢ .

(٣) مقدمة الطبعة الثانية من مختارات العقيلي .

بالقاهرة تقع في مائتين واثنتى عشرة ورقة ، وفي كل ورقة صفحتان كل صفحة تضم عشرين بيتا ، وربما زاد هذا المقدار في النسخ الخطية الأخرى إلى عدد من الصفحات أكثر فهو في المخطوطة المصورة عن جامعة الملك عبد العزيز بجدة أربعمائة وست وثمانون صفحة وقد تزيد الصفحات في بعض المخطوطات الأخرى !!

ومع أنَّ صاحب المختارات قد اعتذر عن إضافة شيء جديد من شعر ابن هتيمل في هذه الطبعة فقد توقعنا أن يعيد إلى القصائد التي اختارها في الطبعة الأولى ما حذفه من أبياتها !! غير أنه لم يفعل واكتفى بمجرد التصوير عن الطبعة السابقة ولا شيء سواه، عدا بعض الفهارس التي لا تغني عن شعر الشاعر شيئا ، ولا عن توضيح غامض بعضه . وكنا قد شاركنا في توضيح الحيف الذي لحق بشعر ابن هتيمل ووصفنا اختيارات العقيلي التي سماها في الطبعة الأولى (ديوان :...) بأنها لا تمثل سوى بعض شعر ابن هتيمل الكثير [1] وكان خير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام قد سبقنا فوصف عمل الأستاذ العقيلي هذا بالاختيار فقال : (لابن هتيمل ديوان مخطوط بمعهد المخطوطات العربية اختار معاصرنا الأديب محمد أحمد عيسى العقيلي قرابة مائة وخمسين صفحة منه وصدرها بمحاولة لمعرفة حياة الشاعر وسماها : «ديوان القاسم بن على بن هتيمل» [2] . والأستاذ العقيلي كان يصر على تسمية تلك المختارات (ديوان) كما فعل في الطبعة الأولى، ويصر على تسمية عمله بـ: (دراسة وتحليل) ويضيف إلى ذلك في الطبعة الثانية كلمة : (وتحقيق) ... وكان الأستاذ العقيلي قد بين منهجيه الذي رسمه لنفسه متجاوزا أعراف المحققين فقال : (وتحقيق التراث إما أن يورد الأصل ويعلق

---

(١) انظر محاضرة للباحث بعنوان ابن هتيمل حياته من شعره نشرت ضمن كتاب محاضرات نادي جازان الأدبي لعام ١٣٩٨هـ ص ٦٩ .

(٢) الاعلام للزركلي ج٥ ، ص ١٧٨ .

عليه أو أن يختار ما يوائم روح العصر) [1] وهذا المنهج العجيب هو الذي اتبعه فيما سماه دراسة وتحليل لديوان ابن هتيمل وقد أشار إلى ذلك في مقدمة الطبعة الأولى حيث قال : (أخرج من دراستي الأولية للديوان بما يأتي :

١ ــ أن أختار من قصائده ما له دلالة تاريخية أو منحى يتعلق بالمجتمع العام أو الخاص الذي عاش فيه الشاعر ....

٢ ــ أن يحذف ما يمت إلى عصبية أو طائفية معينة أو مبالغة غير مستساغه [2] .

وقد فعل ؛ فاختار ستاً وتسعين قصيدة تشتمل على ألفين ومائتين وسبعة وخمسين بيتا من بين مائتين واثنتين وثمانين قصيدة تمثل سبعة آلاف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين بيتا .. وليس لنا على اختياره هذا أي اعتراض مادام قد اعترف مؤخراً بذلك، ولكننا نعاتبه على الحذف والبتر، الذي تعرضت له تلك القصائد تطبيقا لمنهجه الذي أشرنا إلى خطله آنفا فحرم النصوص تدفقها، وحرم الشاعرية تسلسلها وَتَقَطَّع بسببها نَفَسُ الشاعر، واهتزت صورة شعره واضطربت خيالاتها، ومعانيها ولنا أن نتساءل : أَيَّةَ عصبية يمكن أن يذكيها شعر ابن هتيمل الذي عاش في القرن السابع الهجري ؟!

وأسرته واحدة من الأسر التي انقرضت من المنطقة!! ومثلها كثير من الأسر التي عاصرها ابن هتيمل ؟

وأي نهج يبيح لصاحبه حق التصرف بنصوص أدبية أصبحت في حكم

---

(١) صحيفة المدينة عدد ٥٥٨٣ الصادرة بتاريخ ١٤٠٢/١٠/٢١هـ وانظر من ص ١٦٢ من كتابنا (أبجديات في النقد والأدب) ط١ سنة ١٤٠٥هـ الناشر نادي جازان الأدبي .

(٢) مقدمة الطبعة الأولى من الجزء المطبوع من ديوان ابن هتيمل ص ٤ .

التاريخ ؟

وأين تذهب الأمانة العلمية حين نقدم على البتر والحذف والتشويه ؟؟

نعود فنقرر أن عمل الشيخ العقيلي رغم مجانفته لمناهج التحقيق يعد في طبعته الأولى عملا رياديا أفضل فيه بالتعريف بشاعر كبير هو ابن هتيمل واختار من شعره ما يشير إلى شاعريته .. إلا أننا في الطبعة الثانية كنا ننتظر المزيد من شعر الشاعر بعد أن زالت الظروف التي اعتذر بها في الطبعة الأولى حيث قال : (فلي في عملي الرسمي والخاص من اشتغالي بإنهاء الجزء الثاني من كتاب المخلاف السليماني وجميع مواد الأجزاء الباقية ...)[1] .

وبعد أن أصبحت مخطوطات الديوان وافرة العدد .. وأصبح القاريء أكثر إدراكا لمناهج التحقيق وأهميتها في تجلية النصوص ولكن مع شديد الأسف فقد جاءت هذه الطبعة مخيبة للآمال، لا تضيف جديداً كان ينتظره القاريء المتابع ولا تعطي شعر ابن هتيل ما يستحقه من التوضيح والتنقيح .. وحتى لا يظل الكلام على عواهنه ، وحتى لا يظل كلامنا بدون دليل يؤكد ما ذهبنا إليه من أن الأستاذ العقيلي قد شوه معظم النصوص التي اختارها فيما سماه في الطبعة الأولى : ديوان ابن هتيمل وسماه في الطبعة الثانية : مختارات من ديوان ابن هتيمل .. حتى لا يظل كلامنا بدون دليل فإننا نسوق بين يدي القاريء نموذجا واحداً يتضح من خلاله كيف تصرف الأستاذ العقيلي بالحذف والبتر والتشويه في النصوص الشعرية دون مبرر كاف فقضى على التدفق الشعري وسبب قلق النصوص المختارة وحرمنا لذة الانسياب الشعري .

وقد وقع اختيارنا على قصيدة ابن هتيمل في مدح الأمير وهاس بن سليمان بن وهاس صاحب باغته ويشير فيها إلى واقعة حرض بينه وبين الغزى

(١) الجزء المطبوع من ديوان (المقدمة) .

عامل المظفر ومطلعها :

أَجيرانَ وادي الأَثْلِ مافَعَلَ الأثــلُ؟ وما عِلْمُكمُ بالرَّملِ هلْ سُقيَ الرمل؟[1]

والقصيدة بالصفحات ٦٩ ـــ ٧٠ من الطبعة الثانية .

فبعد أن يورد السبعة الأبيات الأولى يحذف بيتين هما :

من الخَفراتِ البـيض يقسم أنَّهـا بأجفانِهـا كُحْلٌ وليس بها كُحْــلُ

تَغَايَرَ نِصفَاهَا، فأرْهــفَ جدلَهَـا وأدمَجَ في خلخالها القضبُ والجذْلُ

وبعد البيت الثاني عشر حذف سبْعة أبيات قام ببترها من جسد النص دون مبرر هي :

أمير، جبين البـــدر فوق طِراقَـــه شراكٌ وخَدُّ الشَّمس في نَعْلِهِ نَعْــلُ

يُقَــرُّ لهُ بالــفضلِ غَيــرَ مدُافَــعٍ علــىٰ أنَّــهُ للَّــه ثُمَّ لَهُ الــفضلُ

إذَا هَمَّ لم يثْنِ الدُّجــىَ جِدَّ هَمِّــهِ وإن قالَ قولاً كادَ يسبِقُــهُ الفعــلُ

جمالٌ تمنَّــاه العــــذَارىٰ ولا ترىٰ إذا ما رأتــهُ ذاتُ بعــلٍ لها بعــلُ

ثُلاثُ بحقويــهِ الأمــورُ فتــنتهي إلى ملك أدنــىٰ عقوبتــهِ القَتْــلُ

تقــومُ له صِيــدُ الملــوك فَلا يَدٌ تُمَدُّ ولا تَخطُو إلى (أَرَبٍ)[2] رِجْلُ

قيامــاً لتقْبيــل الــرِّكابِ وكُمِّــه فذلُّهُـــمُ عزٌّ وعِزُّهُــــمُ ذُلُّ

كما غيرَّ الشطـر الثـاني من البيت الرابع عشر حسب المطبوع فهو في النسختين المخطوطتين المعتمدتين هكــذا : (هــي الفــرع من فرعِ النبــوةِ والأصل) غيرَّ (فرع) إلى (روح) وحذف بيتا واحدا بعد البيت الثالث عشر وهو قول الشاعر :

ومن كانَ من سِبْطَــيْ علــيّ وأحمدٍ فليس ولا إشكـال فيــه له شَكْــلُ

---

(١) مخطوطة الديوان . وانظر ص ٦٩ من مختارات العقيلي .

(٢) في نسخة (ج) : (قَدَمٍ) .

وحذف بعد البيت الرابع عشر أربعة أبيات وهي قوله :

أوارِثَ منصور بن أحمدَ والَّـــــذي ... لهُ الحصْلُ يومَ السبق إنْ حَصَلَ الحصْلُ

تَدَاركْتَ أهلَ البنيت منكَ برحمَــةٍ ... وهُمْ نَبَتُــوا منها كما يَنْــبُتُ البَقْــلُ

أَخَذْتَ بتَبْــل الطالــبين وضعفــه ... وَقَدُرك أعلىٰ أَنْ يُطَلَّ لهم تَبْــلُ[1]

ولـيس دمـاءُ النـاسِ كُفْـءَ دِمائكـمْ ... وهلْ يستوي في الطاعة الفرضُ والنَّفْلُ

وحذف بعد البيت السادس عشر بيتين هما قول الشاعر :

ونازلتَهُــم بالسيــف تحتَ غمَامــةٍ ... حماءتهُ وبْــلُ النِّبــالِ لَهَــا وبْــلُ

وأعجلْتَهمُ عنـد الصيــامِ وخَمْــرَة ... فَخَمرُهُمُ فيــه على مَهَــلٍ مَهْــلُ

وغيَّر حرف العطف في أول البيت السابع عشر فجعل الواو بدلا عن الفاء، وحذف بعده بيتا واحداً وهو قول الشاعر :

فوَاعجباً[2](للطفــل) ينــدبُ نَفْسَهُ ... خوارٌ، ولابــوقٌ لدَيْــه ولا طَبْــلُ

وحذف بعد البيت العشرين ثمانية أبيات هي قول الشاعر :

وآبُوا حُفَــاةً قد سَلَــبْتَ نِعالَهُــمْ ... ولا فَرَسٌ تحتَ المَجُوس ولابَغْــلُ

فظلُّوا سُكَارىٰ والصفـاحُ لراحِهِمْ ... مِزَاجاً وأطْرافُ الرمــاح لها نَغْــلُ

إذا ما صَحَواْ من سُكْرِهمُ دُرنَ بينهِمْ ... من الموت أقْدَاحٌ وإن نهلوا عَلُّوا

يدرون من خَمْر الحريق ودَارُهُــمْ ... تَأَجَّجُ وفي أرجائها الحطَبُ الجَزْلُ

كأنَّكَ لمَّــا جئتَهُــمْ وكأنَّهُــم ... وقد حجروا منكم سليمان والنَّمْلُ

نَصَرْتَ سليمـانَ العـريضةَ بعدمَــا ... مضتْ حججٌ عنهمْ ونصرُهُمُ خَذْلُ

وحُمِّلْتَ حقاً حِملهُــمْ فَحَملْتَــهُ ... بغارب عَوْدٍ كلُّ حِمْــلٍ لهُ حِمْــلُ

---

(١) تبل الطالبين : التبل الوتر والذحل والثأر .

(٢) في نسخة (ج) : «للطبل» .

وأخيرا حذف آخر بيت في النص وهو قول الشاعر :

وإنّي وإنْ أُعطَيتُموني لعالِمٌ   بأنَّ هنيَّ الرفْه[1] أحمد والحقلُ

وهذا نصٌ واحد صنع به كل هذا الصنيع ومزّق أوصاله وحرم القارىء المتذوق تدفقه وانهماره وجعل أوتاره مبحوحة وأنغامه متقطعة بفعل التقطيع المتعمد !!

(١) الرفه : شرْبُ كل يوم .

٤ ــ نظرات في شعر ابن هتيمل :

(أ) منهج ابن هتيمل الشعري

كان الاهتمام بالبديع والاعتناء بالبهارج اللفظية سائداً في عصر ابن هتيمل والعصر الذي سبقه وفي العصور التي تلته ؛ حيث أصَّلَ القاضي الفاضل مدرسة البديع في القرن السادس للهجرة وكان من فرسانها آنذاك (البهاء زهير) و (ابن سناء الملك) وهما معاصران لابن هتيمل واستمرت العناية بالبديع وربما الإسراف فيه قرونا عديدة إلى أن شعشعت أنوار نهضة الأدب الحديث في أوائل القرن الرابع عشر فكانت مدرسة البارودي في الشعر ومدرسة المنفلوطي في النثر ثورة على ذلك التخلف والجمود الذي استبد فيه الشكل بكل مقومات المضمون حتى لقد وصل الأمر ببعضهم إلى درجة التلاعب بالألفاظ لكن ابن هتيمل ــ برغم معاصرته لأصحاب مدرسة البديع ــ كان استثناء من هذا الضعف فقد تجافى عن صنعة البديع ولم تكن له به عناية تذكر وما وجدناه في شعره من ألوان البديع اتسم بالعفوية والسلاسة . وبَعُدَ كل البعد عن التكلف والتمحل الذي أغرم به سواه من أمثال قوله متغزلا وقد حشد فيه ألوان المقابلات :

أكرمته فأهانني ، وحفظته   فأضاعني ، وأطعته فعصاني [(١)]

أو قوله مقتبسا :

بلدٌ طيّبٌ وربٌّ غَفُورُ   وعطاءٌ سكْبٌ وريحٌ جَنُوب [(٢)]

---

(١) لا يخفى ما في هذا البيت من مقابلات اتسمت بالعفوية وعدم التكلف . تنظر في المطبوع ص ١٢٣ من الديوان .

(٢) المطبوع من الديوان ص ٣٥ والشاعر اقتبس من الآية : (بلدة طيبة ورب غفور) سورة سبأ آية ١٥ .

وكقوله مقتبسا أيضاً في قصيدة يخاطب بها نفسه :

فلا تَسْتَشْعِرِي أَبداً قُنوطاً ... فإنَّ الله غَفَّارَ الذُّنُوب[1]

وكقوله مقتبسا أيضاً :

أَتَوْا في لَوْمِهِ شيئاً فَرِيّاً ... فَلَمَّا استَيْأَسُوا خَلصُوا نَجِيّاً[2]

وقوله مادحا الذروات :

إنَّ من دِمْنَةِ الجُرُوب إلَىٰ أَيْـ ... ـكِ الحُسَيْنِي إلى شَآمِي دَارِهْ

سادةٌ يُطعمون ناشئَةَ اللَّيْـ ... ـلِ ويَستغفرون في أَسْحَارِهِ[3]

ولعله في اقتباسه التالي يدلِّل على استظهاره لكتاب الله الكريم حيث نجده يقتبس في الشطر الأول ويقتبس أيضا في الشطر الثاني فيقول :

ولا تَهِنُوا أو تَحزَنُوا مِنْ عدوِّكُم ... وإن مسَّكم قَرحٌ فقد مسَّهُمْ قَرْحُ[4]

وكقوله مقتبسا أيضا :

جنَّةُ العشَّاقِ في نَارِ الهَوىٰ ... حيثُ (لا يَبْغُونَ عنْهَا حِوَلَا)[5]

ولعلكم تستعذبون معي الجناس الآتي حتى وإن كان غير تام فهو في

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٨ والشاعر مقتبس آية ٥٣ من سورة الزمر وهي ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ..﴾ .

(٢) مخطوطة الديوان غير مرقمة الصفحات .. والشاعر اقتبسها من قوله تعالى : ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيّاً ...﴾ بداية الآية ٨٠ من سورة يوسف .

(٣) المطبوع من الديوان ص ٦٠ .

(٤) الآيتان في سورة آل عمران، ونص الأولى : ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ جزء من الآية ١٣٩. ونص الثانية : ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله﴾ جزء من آية ١٤٠ والبيت في ص ١٣٩ من الديوان .

(٥) الآية ١٠٨ من سورة الكهف ونصها: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ، خالدين فيها (لا يبغون عنها حولا)﴾ والبيت من مخطوطة الديوان المأخوذة عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

غاية العفوية :

فمـا زَالَ يَلْقَى رامِحـاً غَير رَامِـــحٍ   بِعَزْمَتِـه أوْ سائِفـاً غَيْـــرَ سَائِـــفِ[1]

وفي شعره ألوان أخرى من الـوان البديـع كالمقابـلات والطبـاق والتوريـة وازدواج المعني ورد الأعجاز على الصدور وسواها من بقيـة ألـوان البديـع لكنها في مجملهـا تأتي عفويـة بعيـدة عن التكلـف متجافيـة عن التمحـل الـذي فتـن بـه سواه .

إذاً فشعـر ابـن هتيمـل يمثـــل مدرسة مستقلـــة هي بمدرسة الشعـــر في القرنين الثالث والرابع قريبـة الشبـه وثيقـة الصلـة ؛ لأنها تتخـذ الشكـل وسيلة لتحقيـق المضمـون لا غايـة تحصر همهـا فيـه، وقـد لا نجافي الحقيقـة إذا اعتبرنـا شعر ابن هتيمل يمثل مدرسة مستقلة عن أولئك وهـؤلاء سيمـا وهـو يجمـع بين سهولة التعبير ووضوح الأفكار فهو السهل الممتنع ــ كما يقال .

---

(١) المطبوع من الديوان ص ٩٢ .

(ب) الصورة في شعر ابن هتيمل

تعتبر عناية شاعرنا بالصورة خصيصة من أبرز خصائصه الفنية في شعره ولقد منحته من القوة والوضوح والعمق ما يجعل قاريء شعره يشترك معه في استجلاء تلك الصور ويعيش معه لحظاتها، وربما ترك للقاريء فرصة استكمال الصورة على أي نمط أراده .

ويوجد في شعر ابن هتيمل نوعان من الصور :

النوع الأول :

ما يمكن تسميته بالصور البسيطة وهي تلك التي تتجلى في تشبيهاته البسيطة وفي استعاراته بما في ذلك إشاراته إلى أحداث التاريخ أو أحداث عصره ، وهي خصيصة من أبرز الخصائص التي تميز بها شعر ابن هتيمل .

النوع الثاني :

وهو ما يمكن أن نسميه بالصور المركبة وهي تلك الصور التي يرسم فيها مشهداً كاملاً أو مشهدين يجعل القاريء يتخيل شخوصها وأحداثها لأنها تضع أمامه شريطاً من الصور المتتابعة المشتملة على تفاصيل أجزاء ذلك المشهد فيوجزها تارة أو يطيل في تفصيلاتها تارة أخرى، وهو في حالتيه يضع الدليل القوي على أصالته وتفوقه ورسوخ قدمه حين يسير مسار الفحول مع شيء من التجديد والابداع، ففي صوره البسيطة مثلا نجده يحذو حذو القدماء في أصالة الإبداع وروعة التجديد كقوله مخاطبا ممدوحه المظفر (١)

(١) المظفر : هو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول تولى ملك اليمن بعد والده واستمر ملكه ستا وأربعين سنة كانت دولته أقرب إلى العدل والرحمة والرأفة وكان يجالس العلماء وكان مشتغلا بالعلم وله صلة بالشعراء ، مدحه =

الرسولي :

وأيُّ خصمٍ لكَ أو حاسدٍ كَناطِحِ الطَّـوْدِ برأسٍ زُجَـاجْ [١]

ومما جدد فيه وأبدع وسبق عصره بمئات السنين تشبيهه الـذي صور فيه حبيبته بالمُكيّف فهي في البرد تبعث لضجيعها الدفء والحرارة وهي في الصيف تلطف أجواء الوسائد والأعطاف بتلك النعومة والبرودة :

لذَّةٌ للضجيـــع في البَــرْد حرٌّ يتلظَّــى به وفي الحَـــرِّ بردُ[٢]

وربما حاول تقريب الصورة لذلك نسمعه يكرر هذا المعنى في قوله :

ففــي الوقَــدات كانــون إذا ما لهوتُ بها وفي الشتّــواتِ آبُ

ويحاول أن يجدد في تشبيهه التـالي رغـم أنـه مسبـوق من القدمـاء فيقول :

رِقَّةٌ للقضيبِ والحِقْـفِ والرُّمّـــانِ منها جيـد وردفٌ ونَهْـدُ [٣]

فهو قد أتى بالمشبهات بها أولا وأردفها بالمشبهات كما رأينا .

وقد يكون في الأبيات الآتية صورة للابداع حين يحدد زمنا لروعة العشق والافتنان بالمحبوب فيقول :

ليت الشباب يعـودُ لي ويعـودُ لي مَرَضي به وعيـادتي والعُـوَّدَا[٣]

رُعْيَا الصِّبا أيّـامَ كانَتْ صدْرُهَـا صَدْرُ الغُلام وكان خدّي أمْـرَدَا

= عدد منهم فأجازه . وكان من شعرائه: محمد بن حمير وسراج الدين أبو بكر بن دعاس والقاسم بن علي بن هتيمل . توفي سنة ٦٩٤هـ انظر ترجمته في كتاب العقود اللؤلؤية ج١ص٢٧٥—٢٨٤.

(١) المصدر نفسة ص١١٠.

(٢) المطبوع من الديوان.

(٣) المطبوع من الديوان ص١١٠.

إذْ لاعِـذَارَ ولاَ نُهـودَ ولم يَحِـنْ   لي أنْ أطُـرَّ ولاَلَهَـا أنْ تَنْهَـدَا[1]

وكقوله :

ومُرْهَفَـةِ المَوَشَّح بِنتُ عَشْرٍ   تُريكَ البَـدْرَ قلّـد بالنجُـومِ

ومُرْهَفَـةِ الموشَّح بنتُ عشرٍ   لهَـا صدْرُ الغُلام علىٰ الغلامَـة[2]

ويكرر افتتانه ببنت العشر فيقول :

ومُرْهَفَـةِ الموشَّح بنت عشرٍ   سقَاهَـا من مدامِ الحسنِ ساقِـيْ[3]

ويقول :

ومعصفـر الخديـن يسخَـرُ لحظُـهُ   مِنْ ذي الحجىٰ وهو ابنُ عشرٍ سنينِ[4]

ويقول :

فرَغْيـاً ثُمَّ رَعْيـاً ثمَّ رَعْيـاً   لأيّـام الشَّبيبـةِ والغَـرَامِ[5]

ولي خدُّ الغُلامـةِ بِنْتِ عَشْرٍ   وقَاتِلتِـي لها صَدْرُ الغُـلامِ

ويقول أيضاً :

إنَّمَـا العَيْش والهَـوىٰ قبلَ أن يَنْـ   ـجُمَ ثَدْيٌ أوْ أنْ يدبَّ عِذَارُ[6]

وكأنـه في البيت الأخير قد لخص مذهبه في الـعشق ورأيـه في أحلى أيامه .

ومن الصور الطريفة تصويره لولعه بالمحبوب بالهيئة الآتية :

---

(١) المصدر السابق ص١٤٩

(٢) لم يحن لي أن أطرّ: أى ينبت شاربي. يقال طرَّ الغلام أي نبت شاربه.

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص١٥٦.

(٤) مخطوطة الديوان .

(٥) تالمصدر نفسه .

(٦) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٥٤ .

أُحِبُّكُــمُ حُبَّ الجَبَــانِ لنــــفسِهِ وإنْ كانَ حظِّي عندَكُمْ غَيْرَ طَائِلِ[1]

وربما تكون في صورته التالية التي يصور فيه جيوش الشيب وقد غزت مفرقه بعض الروعة حيث يقول :

ورأَتْ مفْرِقِــيْ فأفْزَعَهَـا ليْـــلٌ تَمشَّىٰ في جَانِبَيْـهِ نَهَـارُ[2]

كما نجد في صورته الآتية احتفالية سبق بها عصره حين قال :

فَمَا خِيفتِي في القُرْبِ إلاَّ من النَّوىٰ ولا لَوْعتي في اليوم إلاَّ مِنَ الغَدِ[3]

أما صوره المركبة فينهج في رسمها منهجين : أحدهما تقليدي قديم متوارث، والثاني إبداعي تجديدي بالنسبة لعصره ، فمن النوع الأول تلك الصور التي تأثر فيها بشعراء الجاهلية وشعراء فجر الإسلام أمثال الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد [4] العبسي والشاعر المخضرم حميد بن ثور الهلالي [5] وغيرهما من الشعراء الذين كثر في شعرهم هذا التركيز ؛ ممن

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٥٤ .

(٣) مخطوطة الديوان .

(٤) عنترة بن شداد : شاعر جاهلي معروف من أصحاب المعلقات وقد كان من أصحاب الصور المركبة في شعره فهو في النص الآتي يصور ثغر حبيبته عبلة فيطيل في تفاصيل المشبه به حيث يقول :

وكأن شارة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم

أو روضة أنفا تضمن نبتها غيث قليل الدمع ليس بمعلم

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل قرارة كالدرهم

سحاً وتسكابا فكل عشية يجري عليها الماء لم يتصرم

فلا يصل إلى وصف ثغر محبوبته حتى يوغل بالقارىء في صور عدة .

(٥) حميد بن ثور الهلالي : شاعر مخضرم عاش شطراً من حياته في الجاهلية يروي د. أحمد عبد الواحد في كتابه : (حميد بن ثور دراسة فنية في شعر المخضرمين) أنه =

= أمضى خمسين سنة في الجاهلية، وقد أدرك حُنَيْناً مع قومه هوازن ثم عاش في الإسلام إلى سنة ٣٥هـ صنفه ابن سلام من فحول الشعراء .. ووصفه القدماء بأنه كان أحد الشعراء الفصحاء انظر ترجمته بتوسع في كتاب د. أحمد عبد الواحد.

وحميد بن ثور من الشعراء الذين كثر في شعرهم اتخاذ موصوف يناسب المشبه مع التركيز بحدة على الجانب المشبه به وتفصيل جزئياته التي يشاركه المشبه في كثير منها كقوله يشبه وجده بحبيبته بوجد امرأة يئست من الزواج ثم تزوجت وأنجبت ولدا فلما شب عن الطوق وتسلم مقاليد الأمور في قبيلته وأصبح رئيسها ... وفي إحدى المعارك مع أعدائهم فجعت بقتل ابنها فحزنت لفقده يصور ذلك كله أو ينقله إلينا في شكل قصصي فيقول :

فوجدي بجمل وجد شمطاء عالجت ... من العيش أزماناً على صرر القل

فعاشت معافاة بأنزه عيشة ... تَرَىٰ حسناً أن لاتموتَ من القُلِّ

قَضَىٰ ربُّها بعلاً لَهَا فتزوَّجتْ ... حليلاً وما كانت تُؤمل من بعل

وعدَّتْ شهُورَ الحمل حتَّىٰ إذا انقضَتْ ... فجاءت بخرق لادنيءٍ ولا وغْلِ

ولما شب الغلام تسلم قيادة القبيلة :

وقال لهم حمَّلتُمُونِي أمْرَكُمْ ... فلا تتركوني لاطراد ولا خذل

فبينَاهُ يحميهم ويعطف خلفهم ... يسيرُ بعورات الفوارس والرَّجْلِ

هَوىٰ ثائراً حرَّان يعلم أنه ... إذا ما تواريٰ القوم منقطعُ النَّبْلِ

فخرَّ وكرَّت خيله بَيْدَ لونِهِ ... ويثنُونَ خيراً في الأباعِدِ والأهلِ

ويعودون بخبر استشهاده فتذهل الأم المفجوعة وتصل بها الفجيعة إلى محاولة قتل نفسها :

فلما دَنَواْ للحيِّ أسْمَعَ هاتفٌ ... علىٰ غفلةِ النِّسْوانِ وهْيَ علىٰ رحلِ

فقامتْ إلى مُوسىٰ لتذبَحَ نَفْسَهَا ... وأعْجَلَهَا وشْكُ الرَّزِيَّةِ والثُّكلِ

هذه القصة الشعرية تشبه حالتيه، ففرحه بلقاء الحبيبة بعد تعطش يشبه فرح هذه المرأة في قصته الشعرية عند حصولها على مولود بعد يأس من الزواج، وحزن الشاعر على فراق الحبيبة يشبه حزن تلك المرأة على فقد ولدها . وابن

يصفون الشيء فيتخذون له موصوفا يناسبه ثم يلحون في وصف ذلك المشبه أو المشبه به إلحاحا طويلا لإيجاد العلاقة ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به وذلك كقوله في رثاء الفقيه علي بن حسين البجلي [1] :

وَمَا أُمُّ فَرْدٍ شذَّبَ الدّهرُ غُصنهَا ... بأَحْداثِهِ تَشْذيبَ إحدَىٰ الجرائدِ [2]

تعوِّذُهُ خوفَ الردَىٰ وتُعِدُّهُ ... علىٰ كل حالٍ عُدَّةً للشَّدائدِ

أُطَافَ بِهِ طيفُ المُنُونِ فعادَهَا ... من المَسِّ طيفٌ باختلافِ العوائدِ

بأَوْجَدَ مِنِّي ياعليُّ وإنْ هَمَتْ ... عليكَ شُئُونُ الشامتِ المُتَواجِدِ

فهو كما ترىٰ يشبه حزنه ووجده على المتوفَّىٰ بوجد امرأة انتظرت الزواج طويلا وبعد اليأس تزوجت فرزقت بمولود أخذت تعده للأيام وتنتظر فيه السند والمعين ــ بعد الله ــ أمام أهوال الحياة ومصاعبها وأخذت تعوذه بالتمائم خوفا عليه من الردىٰ ولكن القدر لا يرد فقد أتاه الموت في وقت حاجتها إليه فأصابها لفقده طيف من المس الذي ذهب بعقلها .

كل هذا الإلحاح على المشبه به كما نرى من أجل توضيح العلاقة ووجه الشبه لذلك نراه قد أخرج لنا صورتين من صورة واحدة .

وكقوله أيضاً يصف وجده وحزنه على فقيد المخلاف في عصره القاسم بن علي الذروي :

هتيمل بفعل شيئاً شبيها بهذا كما سنرى في النماذج المختارة .

(١) علي بن حسين البجلي : أحد فقهاء اليمن عرف بالكرم والمروءة، شقيق للمتصوف المشهور محمد بن حسين البجلي كان فقيها فاضلا ورعا تفقه به جماعة من أهل عصره كف بصره آخر عمره وكانت وفاته سنة ٦٧١هـ انظر العقود اللؤلؤية ج١ ص١٨٥.

(٢) المطبوع من الديوان ص٨٦.

وما مُرُّ جَحِنَّاتُ القلوبِ شَراسِفٌ ظَأَرْنَ على بادي الزَّمانَةِ شائِفِ[1]

رَوائمَ مايُصبِحْنَ غيرَ عواكِفِ عليهِ، ولا يُمْسينَ غيرَ عواكِفِ

إذَا شَارِفٌ حَنَّتْ من البِرْكِ[2] أرزَمَتْ حذاراً عليه شَارِفٌ بعدَ شَارِفِ

بَصُرْنَ به لم يبقَ غير إهابهِ وأَمْطَاقِهِ من طوقِهِ والشَراسِفِ

وقد عكَفَتْ من حَوْلِهِ مضْرَحِيَّةٌ محدَّبَةٌ آنافُهَا كالمخاطِفِ

فيرجعن من بُحٍّ كأنَّ حنيها تزجر رعدٍ في الْغَمَامَةِ قاصِفِ

بأَوْجَدَ منِّي يومَ راحَ ونَعْشُهُ طِوالُ الهَوَادِي سالِمَاتُ السوالِفِ

فهو قد ألح على المشبه به كل هذا الإلحاح وجسمه كل هذا التجسيم وذلك من أجل توضيح العلاقة ووجه الشبه بينه وبين المشبه.

ولعله كثير الشبه في إلحاحه هذا على المشبه به بإلحاح شاعر عربي عاش في العصر الأموي هو : الصمة بن عبد الله القشيري حيث شبه وجده بحبيبته «طيا» بعدة مشبهات بها حين قال :

ووجْدي بطيًّا وجْدُ هَيْمَاءَ خُلِّيَتْ عنِ المَاءِ كَانتْ مُنْذُ خمسينَ ضلَّتِ

إذا سَافَتِ الأَعْطَانَ أو شمَّتْ الثَّرىٰ رماهَا ولِيُّ الماءِ عنْهُ فولَّتِ

تَمَنَّتْ أَحَالِيبَ اللِّقَاحِ وخَيْمَةً بنجْدٍ فلمْ يقضَ لها ماتمنَّتِ

إذا ذكرتْ ماءَ النميرِ وطِيْبَهُ وبرْدَ الحصَا في أرض نجدٍ أرنَّتِ[3]

---

(١) المصدر نفسه ص٩٣ والمفردات ستشرح في مقام آخر وفصل آخر من الدراسة بإذن الله.

(٢) البِرْك : بكسر الباء وسكون الراء :بلدة ساحلية على شاطئ البحر الأحمر بين بلدتي القحمة والقنفذة وتتبع حالياً إمارة مكة وتبعد عنها حوالي خمسمائة وسبعين كيلا تقريباً إلى جهة الجنوب.

(٣) ديوان الصمة بن عبد الله القشيري جمع وتحقيق د. عبد العزيز الفيصل ص٤٢ ومطلع القصيدة: =

كما يشبه في إلحاحه على المشبه به أيضا متمم بن **نويرة** أخا مالك بن نويرة الذي شبه حزنه على أخيه مالك ووجده به بوجد **أظآر** ثلاث ؛ إحداها عاطفة علي غير ولدها والثانية محبة لرضيعها والثالثة عاطفة على حوارها وأخذ يلح على وصف حنينهن وترجيعهن وأنه يشجى الأعداد الكثيرة من الإبل كل ذلك من أجل أن يشرح مقدار الحالة المشتركة من الحزن والوجد بينه وبينها حيث يقول :[1]

وَمَا وَجْدُ أَظْآرٍ[2] ثَلاثٍ رَوَائِمٍ ... أَصْبَنَ مجرًا من حوارٍ ومصْرَعَا

يُذَكِّرْنَ ذَا البَثِّ الحزين ببثِّهِ ... إذَا حَنَّتِ الأُولَى سجَعْنَ لها مَعَا

إذَا شارِفٌ منْهنَّ قامَتْ فَرَجَّعتْ ... حَنِيْناً فأبْكى شَجْوهَا البُرْكَ أجْمَعَا

بأَوْجَدَ مِنِّي يومَ قَامَ بِمَالِكٍ ... مُنادٍ بصيرٍ بالفِرَاقِ فأسْمَعَا

والنوع الثاني من الصور المركبة هي تلك الصور التي تتسم بالبساطة وعدم التعقيد في التسلسل وتفصيل الجزئيات كهذه الصورة التي يرسم فيها مشهدا للقاء الحبيبة حين يقول :

طَرَقَتْ نَوَارُ وللظلامِ بَقِيَّةٌ ... تَصفُ الظَّلام وللصَّباحِ شَوَاهِدُ[3]

وتَجَلْبَبَتْ وَرَقَ الشَّبَابِ فَذَائِبٌ ... للحُسْنِ من وَرَق الشَّبَاب وَجامِدُ

بِتْنَا وطَوْقُ المالكيَّةِ سَاعِدِيْ ... تَلْوِيْ ذَوائِبَهَا وطَوْقِي ساعِدُ

تَحْمِيْ عَوارِضَهَا إذا جَاذَبْتُهَا ... طَرَفَ اللِّثَام[4] عَقَارِبٌ وأَسَاوِدُ

ألا من لعين لاترى قلل الحمى ... ولا جبل الأوشال إلاّ استهلت .

(١) مجلة الأزهر الجزء الحادي عشر السنة الثانية والستون ذو القعدة ١٤١٠هـ (قراءة في نص من التراث) بقلم د. حامد الخطيب.

(٢) آظار : الإبل وقيل بل يجمع على أظْؤر ــ لسان العرب ج٦ ص١٨٦ــ١٨٧

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص١٦٨ ط١

(٤) في المطبوع الذي اختاره العقيلي (دون اللثام) وفى المخطوطة المصورة عن معهد المخطوطات العربية(طرف اللثام).

قَمَـرٌ عليـهِ مِنَ النُّجُـومِ قلائِـدُ	أَفْرَشْتُهَـا جَسَدي فَبَاتَ مُضَاجِعِـيْ
جَزَعَـاً وَهبَّ مِنَ الهُجُـودِ الهَاجِـدُ	حتَّىٰ إذا نَصَلَ الدُّجـىٰ وتَعلَّـلَتْ
لا يَستَقِيـمُ مِنَ الكَـلامِ وقَـاصِدُ	قَامتْ تُغالِظُنِـي الكَـلاَمَ فطـائِشٌ

فالصورة التي رسمها هنا في هذه الأبيات قريبة الشبه بصورة عمر بن أبي ربيعة للقاء أحبابه لافى التفصيلات الجزئية فحسب بل وحتى في خيالها حيث جعل نفسه كعمر ؛ مقصودا من أحبابه بالزيارات والمغامرات الغرامية الليلية [1] .

ولنستمع إليه يرسم صورة أخرى للحظة وداع فيقول :

وشاحٌ عَلَيْهَا جَالَ في خَصْرِهَا الحِجْلُ [2]	ومَهْضُومَةِ الكَشْحَيـنِ لوْ أنَّ حِجْلَهَا
إليهِ البَنَانُ الطِّفْلُ [3] والسَّاعِدُ العَبْلُ [4]	أشارَتْ بمخضُوب أراغَ عُيونَنَـا
قِسِيٌّ لهَـا في كُلِّ جَارِحَـة نَبْـلُ	وقـالتْ وَنَبْـلُ البَيْـنِ تَرْشُقُنَـا بِهِ
فَلوْلَا أُجَاجُ الصَّرْمِ ما عَذُبَ الوَصْلُ	تَجَرَّعْ أُجَاجَ الصَّرم [5] واصبر على النَّوىٰ
تَفَرُّقُنَـا فيـه يَمَـرُّ ولا يَحلُـو	وواللّه مَاأَنسىٰ الـوداعَ وموقِفَـاً

---

(١) من أمثال قول عمر بن أبي ربيعة مدعياً أن حبيبته هي التي تسعى إليه:

عاتبـاً أن مالنـا لا نراكا	أرسلت هنـد إلينـا رسولاً
أأردت الصرم أم ماعـداكا	فيم قد أجمَـعْتَ عنـا صدوداً
فلقـد أدركت ما قد كفاكا	إن تكـن حاولت غيظـي بهجـري

(ديوان عمر بن أبي ربيعة تحقيق وشرح محمد محيي الدين عبد الحميد ط٢ ص ٤٧٤) .

(٢) المطبوع من الديوان ص ٦٩ .

(٣) البنان الطفل : الناعم ، ومنه قول الشاعر :

بأطرافهـا الحنـاء في سبـط طفـل

(٤) الساعد العبل : المتين الكبير .

(٥) الصرم : الهجر والقطيعة .

وإذا كنا قد التقطنا له صورتين : إحداهما يصور فيها لقاء الحبيب ويصور في الثانية لحظة وداع الحبيب فلا بأس بأن نختار صورة ثالثة نراه فيها يرسم وقائع معركة عظيمة وقعت بين ممدوحه أحمد بن الحسين من جهة وبين الحمزات والرسوليين من جهة أخرى ، فانتصر فيها ممدوحه أحمد بن الحسين فأخذ بعد أن أفاض عليه من النعوت يصور أحداث المعركة فيقول :

أَفَاءَتْ عليكَ الخالِعِينَ كَتَائِبٌ عَدِيْدُ الحَصىٰ والرَّمْلِ دونَ عدِيدِهَا[1]

يَرُدُّ نَسِيمَ الرِّيحِ رَكْزُ رِمَاحِهَا ويَحْجُبُ عَيْنَ الشَّمْسِ خَفْقُ بُنُودِهَا

ومَلْمُومَةٌ مهدِيَّةٌ قَاسِمِيَّةٌ يَغُضُّ حَدْيدَ الطَّرْفِ لَمْعُ حدِيْدِهَا

تَدُوسُ فِرَاخَ الطَّيْرِ بَيْنَ وكُوْرِهَا وتَشْدَخُ رُوْسَ العُصْمِ بينَ رُيُودِهَا[2]

وحَوْلَكَ ساداتٌ خَلَتْ من حصُونِهَا حذَاراً، وغابَاتٌ خَلَتْ من أُسُودِهَا

وشاعرنا في وصف البطولة وتسجيل الوقائع قريب الشبه بأبي الطيب المتنبي في سيفياته . وإذا كنت قد أتيت على بعض ألوان الصور التي زخر بها شعر ابن هتيمل فتعالوا بنا إلى نموذج آخر يشتمل على عدة صور لكنها في هذه المرة صور مشتركة بين الشاعر والقارىء والسامع وهي بما يسمى بـ « أفلام الكرتون» قريبة الشبه ذلك لأن الشاعر يفرض على السامع والقارىء التعبير بالحركة عن الصورة التي أرادها، وهذا من إبداعه الذي لم يسبق إليه ولم يحاك فيه ، وتعالوا بنا نتملّىٰ هذه الصور بل نشترك مع الشاعر في رسمها :

يَمِيسُ قوامُ الرُّمْحِ كَالْغُصْنِ هَكَذَا ومَبْسِمُهُ البَرَّاقُ يَلْمَعُ هَكَذَا

وألفَاظُهُ بِالسّحرِ ترشُقُ مُهْجَتِي فأجْعَلُ كفِّي فوقَ رأسي هَكَذَا

وأطْلُبُ منهُ الوصلَ سِرّاً فيسْتَحِي ويُوْمِي بِتَرْكِ الوَصْلِ بالرَّأْسِ هَكَذَا

---

(١) المصدر نفسه ص ١٤٥٤ ــ ١٤٥ وأحمد بن الحسين سبقت ترجمته .

(٢) بين ريودها : الريود : الأشياء الناتئة من الجبل .

وأكْتُمُ دمْعِي منْ عَذُولِي مَخَافَـةً وأمْسَحُـهُ من فَوْقِ خَدِّيَ هَكَـذَا

وإنْ لاحَ لِي بَرْقٌ بجَـازَانَ لَمْ يَزَلْ فُؤآدي من الأحزَانِ يَخفِقُ هَكَـذَا

وللّـه يَوْمـاً إذْ تَرَانِـيَ مِنكُمَـا يَسيرُ علىٰ أطْرَافِ رِجْلَيه هَكَـذَا[1]

ويستمر على هذا المنوال في رسم صوره المتحركة إلى أن يقول :

وَصَلَّىٰ إلٰهي كُلَّ يَوْمٍ...عَلى الَّذِيْ لهُ خَرَّتِ الأصْنَامُ في الأرْضِ هَكَـذَا

مختتما هذه الرائعة التي تشبه في روعتها وإبداعها قصيدة «الخال»[2] التي أبدع فيها الحسن بن أحمد عاكش فجاء بثلاثين معنى للخال في شعر قوي وخيال مجنح وعبارات رصينة ، ورد عليه تلميذه ومعاصره أحمد بن محمد الضحوي [3] المعافى بقصيدة مماثلة أتى فيها هو الآخر بمعاني الخال .

ولست في حاجة إلى السؤال عن توضيح هذه الصور فكلنا ساهمنا في تلوينها وزخرفتها !! على أن دارس شعر ابن هتيمل سيدرك فيه هذه الوحدة الشعرية التي تتسم بها أبيات كل قطعة، فليس كل بيت ينفرد بمعناه ، وإنما يرتبط معنى كل بيت بمعنى البيت الذي يليه، وهذه مزية لا ينفرد بها ابن هتيمل وحده، وإنما هي خصيصة يشاركه فيها أكثر شعراء العربية ممن يتخذون العمود الشعري نمطا لسكب نخبهم وأنغامهم .

---

(١) هذه القصيدة أتحفني بها أستاذي محمد بن ناصر الحازمي المدرس بالمعهد العلمي بضمد حين علم عن عنايتي بدراسة شعر ابن هتيمل فله خالص شكري وتقديري .. والقصيدة نادرة لم أجدها في ثلاث من مخطوطات الديوان التي عثرت عليها .

(٢) قصيدة الخال : نشرها الأستاذ العقيلي في مجلة العرب عام ١٣٩٢هـ، ومطلعها والرد عليها وارد في كتاب نيل الوطر/ج١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ لزبارة وقد أبدع فيها عاكش إبداعا تفوق فيه .

(٣) نسبة إلى بلدة الضِّحِي باليمن .

وما أحرى نقاد الأدب المحدثين الذين يصفون قصيدة الشعر العمودي بأنها خالية في مجموعها من الوحدة الشعرية وأنها تقوم فقط على وحدة البيت ما أحراهم أن يلتفتوا إلى خطأ هذه النظرة ليصححوا نظرتهم إلى الشعر الأصيل وليقنعوا أطفال [1] الأدب ممن يدعون التجديد، ببعدهم عن روح الشعر الرصين والأدب الرفيع ، ولاشك أن دارس شعر ابن هتيمل وسواه من الفحول سيدرك هذه الحقيقة أتم الادراك، وسليمس السلاسة والتسلسل في رسم الصور واستجلاء المعاني مع وجودها في قوالب أخاذة وعلى أنغام تألفها أذواقنا وتأنس بها حواسنا .

(١) عنيت بأطفال الأدب من يسمون أنفسهم بشعراء الشعر الحر أولئك النفر الذين قصرت بهم هممهم عن السير في ركاب الفحول من شعراء العربية ... فأخذوا يقدمون للقراء كلمات تكثر بجانبها النقط وكأن صاحبها يطلب اكتمالها في شعر عجز هو عنه . وأي شعر هذا الذي يدعون؟ إنه لا يمت بصلة إلى الشعر كما أن النثر الفني براء منه فالنثر الفني في غنى تام عن الكلمات المنقطة ..

إذا الشعر لم يهزك عند سماعه ... فليس خليقاً أن يقال له شعر

(ج) أغراضه الشعرية

برغم مما يتميز به شعر ابن هتيمل من جزالة وفخامة، ورقة وعذوبة وسلاسة ومتانة ، فإن الأغراض الشعرية التي نظم فيها الشاعر ة تختلف عن الأغراض الشعرية التي عرفها شعراء العربية في عصورهم المختلفة ، فقد استوفى شاعرنا الأغراض التي سادت في عصره .. .. .. فصاغ ألحاناً في الغزل والحنين وأبدع في الوصف، وتغنى في طبيعة بلاده، وعالج الرثاء، وعرَّج على الشكوى من أهل زمانه ، وشارك في الاخوانيات ، إلى جانب تميّزه في شعر المديح الذي كان له فيه جولات وصولات .. وفي الأسطر القليلة الآتية سنشير إلى بعض أغراضه الشعرية .

أولاً : المديح :

يأتي المديح في المرتبة الأولى بين سائر أغراضه الشعرية من حيث عدد القصائد والأبيات، وإن امتزج بالغزل والنسيب، أو المقدمات الطللية، أو حتى الخمريات على عادة بعض شعراء العصر العباسي ، أو مازجه بشعر الشكوى أو العتاب أو ما شابه ذلك ، فقد بلغت القصائد التي حواها ديوانه الضخم مائتين وثمانياً وسبعين قصيدة ، يختص المديح منها بمائتين وأربع وعشرين قصيدة تمثل خمسة آلآف وتسعمائة وواحدا وسبعين بيتاً من مجموع عدد أبيات الديوان في مخطوطة اليمن المصورة عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة والبالغ مقدارها سبعة آلآف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين بيتا[1] ، تشمل سائر الأغراض . غير أننا لو عدنا إلى قصائد المديح لوجدنا المديح الخالص فيها لا يمثل سوى أقل من نصف هذا المقدار وذلك بعد أن نُخرج

(١) أما نسخة جامعة الملك عبد العزيز فإن عدد أبياتها سبعة آلاف وثلاثمائة وخمسة أبيات فقط .

من تلك القصائد : المقدمات الغزلية ، أو **الطللية** ، أو الخمريات ، وبعد أن نستل منها شعر الحكمة أو الحنين، أو وصف الطبيعة ، أو شعر الشكوى .... إلخ . وهي أغراض شعرية أفرد لبعضها غرر قصائده ، وأتى على بعضها في ثنايا مدائحه وربما أتى على بعضها في بعض مراثيه . ولأن شاعرنا قد عُمِّر طويلا فقد مدح أمراء المخلاف السليماني ومدح أمراء حلي وأشراف مكة والأمراء الرسوليين في اليمن وصاحب ظفار وبعض أعيان المخلاف السليماني .

وابن هتيمل في مدائحه يبالغ في الثناء على ممدوحه حتى يهين من سواه كما يشير إلى ذلك صاحب كتاب مطلع البدور [1] . ومن مدائحه نختار قصيدة لم تضمها مختارات العقيلي وهي نموذج يمثل محاولة الشاعر السير على طرائق من أسموهم بالشعراء المولَّدين في العصر العباسي أصحاب المقدمات الخمرية، وحين يرى نفسه قد أسرف في هذا المسار يعود إلى الغزل بل ربما اعتبر وصفه للخمر وساقيها تورية عن الحبيبة التي لا يمسها خشية عليها من الواشين وكيدهم لذلك ينتقل من وصف الخمر إلى وصف الحبيبة ثم يتخلص إلى المديح كما نرى ذلك في قصيدته الآتية التي يمدح فيها الملك الأشرف عمر بن يوسف الغساني [2] :

---

(١) انظر مقدمة المختار من الديوان في طبعته الأولى ص ٢٧ وتنظر مخطوطة مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال نسخة غير كاملة وغير مرقمة الصفحات لدى الأستاذ محمد علي الحازمي . المحاضر بكلية اللغة العربية بأبها .

(٢) الملك الأشرف هو : عمر بن يوسف بن عمر بن رسول تولى إمارة اليمن بعد وفاة والده المظفر وكان ملكا عاقلا فاضلا أديبا لبيبا اشتغل بالعلوم وبرز في بعض الفنون وله بعض المصنفات توفى سنة ٦٩٦هـ انظر ترجمته في العقود اللؤلؤية ج١ ص ٢٨٤ .

قُمْ أدِرْهَا صِرفاً بكأسٍ دهَــاقٍ[١]   حُلْــوَةَ الطَّعـــمِ مُرَّةً في المذَاق[٢]

كَشقيـقِ الرِّيَـاضِ أو حُمْـرة العَنْــــــ   ـــدَمِ[٥] لونــاً أو كالـدَّمِ المهْـرَاق

صَبَّ فيها الـرواوقُ في القبـدحِ الْأز   هَرِ نَاراً سَليمـــةَ الإحـــراق

ذاتَ لونينِ لا تُغَـادِرُ للحَـــــا   سِي حِرَاكـاً فيهَـا وَلَا للسَّاقِـي

أَكَلَتْ جسمَهَا الدِّنَـانُ فأَفنَتْــــ   ــهُ فالجسْمُ فانٍ والـروُّحُ بَاقِـي

فهِـيَ عنـدَ التَّحصيْـل يُوجَـدُ فيهَـــا   رَمَـــقٌ خَافتٌ من الأَرْمَـــاق

مِنْ يَديْ رَخْصةِ[٤] البَنَــانِ كقَــرْ   نِ الشمسِ حُسناً في الضوءِ والإشرَاقِ

طَفْلَة الكَفِّ ضَخْمة الكَفَلِ الرَّجْـــ   ـــرَاجِ هيفـآء، لذْنَـة في العِنَـاق

لو تَرانَـا يومَ الفِـراقِ وقـدْ جَا   دَ لنــا باللَّقـاءِ يَوْم الفِـراقِ

أسعـفَتْ غفلـةُ الرَّقـيبِ فَفُزْنَـا   بالتَّلاقِي في غَيْـرِ وقْتِ التَّلاقِـي[٥]

قُبَـلٌ تُؤْلِـمُ الشِّفَــاهَ وَضَمٌّ   كادَ أن يُبْلِـغَ النُّفـوسَ التَّراقِـي

فَحَــلالٌ ما كَانَ فَوْقَ الوِشَــا   حينِ حَرَامٌ ماكَـانَ تَحْتَ النِّطَـاقِ

يَامَـريضَ الجُفـونِ يَافَاتِـرَ النَّظْـــ   ــرةَ سُقْماً، يَاسَاحِـرَ الأحْـدَاقِ

أَيـنَ ذَاك الميْثَاق؟ والعَهْـد يــا   غَيْـرَ وفـيٍّ بالعهـدِ والميثَـاقِ[٦]

فَإلاَمَ الإعْـرَاضُ؟ أصْلَحكَ اللَّـــ   ـــه وطَـولُ الإرْعَـادِ والإبْـرَاقِ

إنَّ في روضِهِ الخصيب[٧] منَ النِّعْـــ   ـمَــةِ مَافي سَوادِ العِـــرَاقِ

بَلَــدٌ طيِّبٌ حوىَ لَذَةَ العيــــ   ــش وروح المشوق والمشتـــاق

وَهيَ سوقُ الأَرْزَاقِ والمَلِكُ الأشْـــ   ـــرف معــــدن الأرزاقِ

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) كأس دهاق : مترعة ممتلئة وصافية (المعجم الوسيط ج١ ص٣٠٠ .)

(٣) العندم : دم الأخوين يقال فتح أفواه عروقه عن دم كأن لونه عندم (انظر القاموس المحيط ج٤ ص١٥٥ وانظر أساس البلاغة ص ٤٣٧ .

(٤) رخصة البنان : ناعمة . المعجم الوسيط ج١ ص ٣٣٦ .

(٥) الخصيب يقصد به الشاعر مدينة زبيد عاصمة ملك ممدوحه الأشرف. وهو اسم كان يطلق على زبيد قديما .

نابـه الذكـر، شكـره ملأ الأرْ ضَ ووافىٰ من فوق سبع طبَـاق

غَدِقُ المَكْرُمَاتِ تَجْرِي يَنَابِيْـ ـيع يديه بالنايل الغيـداق

مشرِفٌ في النَّوال كفَّاه في تفـ ـريق ما في جهاته في سباق

حَسَنٌ وجْهُهُ يَكَـادُ أَنْ يَقْـ ـطر حسناً من مائه الرَّقـراق

فَتَنَ المحْصنات حتى تبرَّعْـ ـن ببذْل الصَّداق قبل الطلاق

ياابنَ مِلْءِ السَّماءِ والأَرْض والعـ ـالم ذِكْراً وليس ملء الـرّوَاق

وابنَ مَنْ أَنْفَقَ الخزائن في الإسـ ـلام حتى محت رسوم النفـاق

قد حَمَيْتُمْ طَوارِقَ المُلْكِ بالبيـ ـيض المواضي وبالجياد العتـاق

ما سَننتم إلا الذي سَنه اللَّـ ـه تعالى في الأَسْرِ والإطـلاق [1]

حيثُ أثْخَنْتُمُ العِداً وَجَعَلْتُمْ بعد ضرب الرقاب شد الوثـاق

قد لعمري طوقتني ياأبا المنـ ـصور[2] طوقاً علا على الأطواق

أنَـا عَبْدٌ لَا أَبْتَغي مِنْكَ عِتْقاً وأُحَاشِي رِقِّي مِنَ الإعْتَاق

فإذَا مَازَفَفْتُ نَحوكَ بِكْراً فُزْتُ مِنْ زَفِّهَا بِضِعْفِ الصَّدَاقِ

فالشاعر كما ترى قد أسرف في وصف حسن وجه ممدوحه حتى تبرعت ذوات الحسن بصداقهن بعد أن فتنهن حسنه اليوسفي ، كما نراه قد أغدق عليه من نعوت الكرم والشجاعة ما يوحي بعدم توفر مثل تلك الصفات في غيره ، فلقد بالغ في الثناء عليه حتى جعل ذكره ملء السماء وملء الأرض بل والعالم كله ولا غرابة في ذلك فهو شاعر يتكسب بشعره ويرجو نوال ممدوحه رجاءً يلمِّح به أحيانا ويصرح به في أحيان كثيرة كقوله يمدح علي ابن محمد الذروي . [3]

---

(١) يشير الشاعر إلى الآية الكريمة ، ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق﴾ سورة محمد . جزء من الآية ٤ .

(٢) مخطوط الديوان .

(٣) علي بن محمد الذروي : أحد أقارب أمير المخلاف السليماني القاسم بن علي

الحِلْمُ والعلمُ والإقدامُ فيــه معــاً   والبرُّ فيه وفيه الدِّيْــنُ والــوَرَعُ
هذَا الأميرُ الــذي أدنــىٰ مواهبــهِ   لِسَائليــهِ جِيــادُ الخيــلِ والخلَــعُ
النفعُ فِيهِ، وفيــهِ الضر قد جُمِعَــا   وآخَــرُوْنَ فمــا ضَرُّوا ولاَنَفَعُــوا

فالذرويُّ يمنح سائليه جياد الخيل ، ويمنحهم الخلع الثمينة، ويغدق على معتفيه فيض عطائه الدّفاق لأنه كما يراه الشاعر هو الذي ينفع أشياعه ببره وعطاياه وإحسانه، ويضر أعداءه ببطشه وعنفوانه، أما غيره من الناس فلا يملكون هذه الخلال، ولا غرابة في هذا فآل ذروة الذين ينتمي إليهم ممدوحه هم أولو الفضل وآله دون بقية الأنام على حد قوله الآتي :

وأنتُــــمْ من الحيَّيْــــن يَاآل ذَرْوَةٍ   أولُو الفَضْلِ قَطْعاً والأَنَامُ فُضُولُ[1]

وهذه حقيقة رصدها عنه صاحب مطلع البدور فقال : (إذا مدح أحداً أهــــان من سواه) [2]؛ من ذلك قولــــه يمدح صاحب حلي : أحمد بن علي الحرامي العقيلي وآله :

إنَّ المُلُوكَ بَنُــو يَعْقُــوبَ قَاطِبَــةً   قَطْعاً وكلُّ ملوكٍ غَيرَهُمْ سُوَقُ[3]

ولهذا البيت قصة طويلة عجيبة كادت أن تودي بحياتــه لدى المظفــر الرسولي الذي غضب من هذا القول واستدعاه في جريدة من الخيل في قصة طويلة استوفاها صاحب مطلع البدور وأشار إليها العقــيلي في مقدمــة الجزء المطبوع من الديوان [4] . لذلك عاد الشاعر فمدح المظفر الرسولي وجعله

الذروي والأشراف الذروات أسرة ظلت تتمتع بالسيادة ورئاسة مخلاف صبيا قرونا عديدة .

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) مطلع البدور ــ مخطوط .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٧٤ ط٢ .

(٤) مقدمة الجزء المطبوع من الديوان ص ٢٧ ــ ٢٨ .

يرجح في وزنه ومكانته ملوك الزمان حيث قال :

ولقد وزنتُ بهِ الملوكَ فَلَمْ أَجِـدْ مِلِكـاً أَرَاهُ سِوَاهُ في المِيْـزَانِ [1]

وبالغ في مدحه فجعله سيد السادات، ملك الملوك بما فيهم بنو يعقوب حيث قال :

ملكُ الملـوك وسيِّـدُ الساداتِ منْ مُضَرٍ ومنْ قحطانها ابنـة هود[2]

وهاهم الكرماء كلهم أذناب لممدوحه ابن وهاس :

ومتـى خبرنـا الأكـرمين فإنهم في الجود أذنـاب وأنت الـراس[3]

وينوع ابن هتيمل في مقدمات مدائحه فهو تارة يشبب بالحبيبة ويتدله، وقد يستعيض عن النسيب بمقدمات طللية يظهر فيها حنينه إلى الديار ، وقد تشاركه رواحله في ذلك الحنين فيطلب من حادي إبله أن لا يريها أثل البديع ؛ ذلك الأثل الذي يحرك حنينها وولهها :

فلا ترهـا أثـل البديـع فإنها تحن إلى أثـل البديـع وتـرزم [4]

كما يؤكد ابن هتيمل التصاقه بمؤثرات العصر العباسي ـ كيف لا وقد أدرك أواخره !! ـ فيأتي بمقدمات خمرية يصف فيها أواني الشراب وألوانه وساقيه فيوهمك أنه من ندماء بَشّار ورفاقه ـ وهو «العلاَّمة» كما يقول عاكش في إحدى مختاراته ـ ولكنها المحاكاة والمسايرة والسير على سننهم رأي الشاعر القائل :

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٨١ .

عادة في القريض ذكر المغاني والغواني، وهات كأسي ودَنّي[1]

أو ما عبر عنه ابن هتيمل بقوله :

مِلَّةٌ أحدثها أهل الهوىٰ أُصبحَتْ في تَابعيهِمْ مِلَلَا

وشاعرنا لا يفرد هذا الغرض المستحدث بقصيدٍ مستقل كما فعل بعض شعراء العصر العباسي ومن سار على سننهم وإنما اكتفى بجعله جزءاً من مقدمة مديحه يتوصل به إلى ذكر الحبيبة ووصف بعض مفاتنها . بل ربما اعتبر لجوءه لوصف الخمرة وساقيها هروبا من ذكر اسم الحبيبة وذكر صفاتها المباشرة خشية عليها من الواشين أو لأسباب أخرى يحتفظ بها لنفسه ؛ لذلك سمعناه يؤكد هذا المعنى وأنه إنما كان يورّي بذلك حيث يقول في إحدى تلك الخمريات المبررة فهو في غنى عن العقار الذي يذهب بالعقل بريق ثنايا الحبيبة :

أديرَاها يَمينا أو شِمَالَا وحُثَّاها صِغاراً أو كِباراَ[2]

فَمَاصِرٌ فْتُمَا قَدَحاً وَرَاحاً علىٰ النُّدماء بَلْ نُوراً ونَاراَ

عروساً كُلمَّا اجتُلِيَتْ تَباهَتْ غُلَالَتُهَا اصفِرَاراً واحمرَارَا

تُعَصْفِرُ كَفَّ ساقيها وتَكْسُو شِفَاه مُقَبِّلِيها جلّنَارَا

ويستمر في وصف ساقيها إلى أن يقول في وصف شِدة تأثيرها :

ومَا وُصِفتْ لشرب القوم إلاَّ رأيتَهُمُ ومَا سِكِرُوا سُكَارَىٰ

ثم يبرر صنيعه هذا وهو العالم الفاضل بل العلامَّة كَمَا وصفه عاكش وغيره يبرر مجاراته لأصحاب هذا الشأن فيقول :

---

(١) شعراء اليمن في القرن الرابع عشر سلسلة مقالات هي دراسة أدبية للأديب الشاعر أحمد محمد الشامي . صحيفة المدينة ملحق الأربعاء عدد ٣٣٥ في ١٤١٠/١٠/٢٨هـ .

(٢) مخطوطة الديوان .

وَمَا أنَـا والعقَـار وقـد سقَتْنِـي ثَنايَاهَـا وعينَاهَـا العقَـارَا

أوَرِّي عن نوار بوصل أخـرى فواعجبـاه من صَرْمـي نُوَارَا

ثم ينتقل بعـد ذلك إلى زجـر مطيتـه، ثم إلى الشكـوى من المشيب حتى يصل بعد ذلك إلى ما سمى ببيت التخلص، وقد يعود إلى التشبيب، وقـد ينتقل إلى الشكـوى أو الحنين، فهو يزاوج بين هذا وذاك ولا يستقـر على نمط واحـد من تلك المقدمات وربما أتى على نوعين منها أو أكثر في تمكن واقتدار.

ثانياً : الغـزل :

وحتى في الغـزل الخالص وهـو قليل في الديـوان نجده يقـدم بين يدي الحبيبة سؤالاً عن الديار، شيحها وحوذانها، أثلها وأراكهـا، نسيمهـا وشميمهـا، ثم ينتقل بعد ذلك لمخاطبة الحبيب وذلك من أمثال قوله .

خَلِّنِـي أنْـدُبُ بَالِـي الطَّلَـلِ وأرِحْنِـي واستـرِحْ مِنْ عَذَلِـي[1]

أَنْتَ مَشْغُـوْلٌ بِلَوْمِـي والَّـذِي لُمْتَـهُ عَنْ لَوْمِـهِ في شُغُـلِ

لستُ لِي إنِّـي لِغَيْـري فاستَمِـعْ قَوْلِي، واشْهَـدْ بأنِّـي لَسْتُ لِي

أنـا ذَا مَلَّـكْتُ قَلْبِـي قاتِلِـي علَّنِـي أفعـلُ مالَـمْ يُفْعَـلِ

ومِـرَاضُ المُقَـلِ استَهْوَيْنَنِـي آهِ مَابِـي مِنْ مِرَاضِ المُقَـلِ

وَعُيُـونٌ عَبثَ السِّحْـرُ بِهَـا كَحَّلَتْ أجْفَانَهَـا بالكحـلِ

كُلُّ شَمْسٍ تَحْتَ لَيْـلٍ فَاحِـمٍ نَفْحـةُ المِسْكِ وذَوْبُ العَسَلِ

وكقوله وقـد حَنَّ للديـار والدمـن لأنها ربما ضمَّت بين رباهـا سيـدة القلب التي صدّت عنه مراغمة بفعل الوشاة فيتدفق الوجـدان، مستخدمـا في هتافه لغة تقطر لوعة وحنينا :[2]

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٨٢ .

(٢) مخطوطة الديوان .

أحْـبِبْ إلـيّ بساكِنِـي نَجْـدِ | وبِـنَشْرِ ذاكَ الطِّـيبِ والرَّنْـدِ
يَادِمْنَتَـيْ حَضْرَان مَا فَعَـلَتْ | رِيْحُ المَصَايِـفِ فِيْكُمَـا بَعْـدِي
نَسَفَتْ تُرَابَكُمَـا فَلاحَ لَنَـا | طَلَـلُ الجَمِيـعِ كَمَنْهَـجِ البُـرْدِ
وَلَرُبَّمَـا كَانَتْ تَحِـلُّ بِهِ | رَيَّاالْيَدَيْـنِ رَشِيْقَـةُ القَـدِّ
فَعَـلَتْ بِقَلْـبِكَ مُقْلَتَـا هِنْـدِ | مَايَفْعَـلُ الصَّمْصَامَـةُ الهِنْـدِي
صَدَّتْ مَرَاغِمَـةً وعَاتِبَـةً | والـحُسْنُ مطبـوعٌ علَـىٰ الصَّدِّ
لَوْ يَعلَـمُ المُغْـرِي بِفُرْقَتِنَـا | ما عِنْـدَ سَيِّدَتِـي وَمَـا عِنْـدِي
لَبَكَـىٰ عَلَـى تَشْتِـيْتِ فُرْقَتِنَـا | وَعَلَـىٰ الفِـرَاقِ أضَرَّ مِنْ وَجْـدِ

ولن نتعمق في غزلـه، ولـن نفسد على القاريء متعته بما نقلناه فنـذهب به إلى تحليـلات للـنصوص أو غوص في أعماقهـا ولكـن نود أن نشير إلى خصيصتين في هذا اللون من شعره: الأولى تجديده في الصور الفنية وسبقـه لعصره فقد جعل محبوبته في أحد أبيات قصيدة له تشبه المكيف ملطـف الحرارة :

لذة للضجيـع في البرد حرّ | يتلظـى به وفي الحرّ برد

والثانية تجريده لزمن الوله بالمحبوب والتدله في عشقه فقد جعل ذلك حين تكون الحبيبة في سن العاشرة ومع أن هذه السن صغيرة إلا أنه كررها في قصائد كثيرة ــ لاقتناعه بذلك؛ مبرراً له بأنه هو العمر الذي يسعد فيه الفتى الأَمْرَدْ ببنت العشر التي لم تنهد :

إنّمَـا العيشُ والهَـوىٰ قَبْلَ أن يَنْـ | ـجُمَ ثَدْيٌ أوْ أنْ يَدِبَّ عِذَارُ[1].

لذلك سمعناه يؤكد على هذه السن في قوله :

ومُرْهَفَـةُ المَوَشّحِ بنْت عَشْرٍ | لَهَـا صَدْرُ الغُـلَامِ عَلَـىٰ الغُلَامَـهْ

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٥٤ .

ثَلَّجْتُ بِصَدرِهَا وَقَدَات صَدْرٍ تَبِيتُ لَظَى صَبَابَتِهِ ضِرَامَهْ

وإذاً فالفترة الغنية بالأحلام وحلو الرؤى هي فترة الصبا المبكر جداً في حياة الفتى والفتاة، كما يرى ابن هتيمل . بل هو يرى أن الفتاة في سن العاشرة من البله القواتل اللاتي يتصيدن الأحبة بحسن القدود ورخيم الدلّ وشاعرنا ممن وقع في مصيدتهن .

وَمُرْهَفِةِ المُوَشَّحِ بنت عشْرٍ تُرِيكَ البدْرَ قُلِّدَ بالنُّجُومِ[1]

مِنَ البُلْهِ القَوَاتِلِ تَيَّمَتْنِي بِحُسْنِ القَدِّ والدَّلِّ الرَّخِيمِ

تَخَطَّتْ نَحوَ مَضْجَعِيَ الفَيَافِي فَحَيَّتْ غيرَ ذِي سِنَةٍ وَنَوْمِ

فَرَشْتُ لَهَا رِدَايَ ولَيْسَ نِصفاً لأنَّ النِّصْفَ مِنْ شِيَمِي وخَيْمِي

ولو أنِّي قَدَرْتُ هَوىً ورِقَّا وإجلالاً فَرَشْتُ لَهَا أدِيْمِي

ولا ندري هل زارته بنت العشر وهو في سن اليفاعة أمرد؟ أم اغترت به البلهاء وقد أخذ يدلس على الغواني فيخضب بياض شعره (الذي ربما حسبته بله الغيد غير خضاب) ؟ نتساءل هذا التساؤل لأننا نجده في مقطع آخر يشكو مما فعلته به أصداغ بنت العشر فيقول :

وواضحة التَّرائِبِ بنت عَشْرٍ تَوَشَّحَ خَصْرُهَا حضَضاً وَوَدْعاً[2]

تُرِيْكَ البدْرَ أَنْصَفَ في عَمُودٍ مَضَتْ لَيْلَاتُهُ سبْعاً فَسبْعاً

تَرَىٰ في كلِّ عضْوٍ بانَ مِنِّي لِعَقْرِبِ صَدْغِها حُمَةً ولَسْعاً

ويظل ابن هتيمل يلهج ببنت العشر حتى وهو يتحسر على أيام الشباب التي تولت وأعقبته الحسرات لذلك سمعناه يردد :

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه . والحضض : ثمر يشبه حب الفلفل ناتج عن شجر يماثل شجر المر والصنوبر . لسان العرب ج٨. والودع : خرز بيض جوف في بطونها شق كشق النوى . لسان العرب ٦. ص ٢٦٠ .

فرَعْيــــاً ثم رَعْيــــاً لأيَّــــام الشَّبِيَّــــةِ والغَــــرَامِ[1]
ولي خَدُّ الغُلَامــــــةِ بنتِ عَشْرٍ وقَاتِلَتــــي لَهَــــا صَدْرُ الغُــــلَام

وبالجملة فقد ظل ابن هتيمل يتغزل ويشبب حتى وقد بلغ من العمر عتيا، ولم يضعف أداؤه في هذا الغرض ولم يَبِنْ عليه التكلف ولم تظهر على شعره في سائر الأغراض بعامة وفي غزله على وجه الخصوص إلاّ روعة الفن وجلال العطاء سواء أكان غزله معاناة وتجربة أم كان مجاراة ومحاكاة على حد قول الشاعر :

عادة في القــريض ذكــر المغــاني والغــواني وهــات كأسي ودنى[2]

ثالثاً : الإخـوانيــات :

ولابن هتيمل مطارحات شعرية مع أقاربه ومع شعراء عصره تؤكد علو كعب شاعرنا في سائر الأغراض والإخوانيات من هذه الأغراض فها هو ذا يرد على أحد أفراد قومه وقد جاءته منه أبيات لم تسعفنا المصادر بها ولا بمحتواها لولا إشارة ابن هتيمل لها وردّه عليها، ومنها قوله :

ياأبَــا بَكْــرِ بنَ هَاشم ياسَيِّـــــدَ قَوْمِي يَاكَامِــلَ الأوْصَافِ[3]
ياحياةَ الإسلَامِ يَاأرْجَحَ الأمْــــــمَــــةِ يأشْرَفَ الأشْرَافِ
كَيْفَ أصبــحْتُ من لسانك عُتْبــا فيــه رمــزٌ أخفَيْتَــهُ غَيْــرُ خَافِ

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) ملحق المدينة الأدبي (الأربعاء) عدد ٣٥٥ بتاريخ ٢٨ــ١٠ــ١٤٠٣هـ.

(٣) مخطوطة الديوان .. وقد جاء عنوان القصيدة (وجاءته ابيات من الفقيه ابي بكر ابن هشام فأجاب)قلت لعل ابا بكر هو الشاعر ابو بكر بن دعاس شاعر الملك المظفر.ترجمه الخزرجي فقال :كان اديباً فاضلًا فقيهاً في مذهب الإمام ابي حنيفة نال حظوة لدى الملك المظفر وابتنى مدرسة في زبيد توفى سنة ٦٦٧هـ. انظر العقود اللؤلؤية ج١ ص١٧٤.

زلَّةٌ تَشْهَدُ القَوَافِـي بِهَـا قَطْــــعاً إذَا اسْتُشْهِدَتْ بُيُوْتُ القوافِي
ولَـو انِّـي زَلَلْتُ في النَّعْل أوْ قَــــــاربتُ ما أدركَ التِّـلافَ تَلافِـي
هلْ تَحَقَّــقْتَ أنَّ كُلَّ مَن اسْتَـــــرْعَيْتَــــهُ عاذِرٌ، وأنَّكَ وافِـــي

إلى أن يقول:

إن يكُـنْ ما طَلَبْتَ حقًّـا فَصفحـاً لِيَ عنْ هفْـوَة الـمُسيِءِ الهَافِـي
وإذا ما اعتَــرَفْتُ فاغفِـرْ فَقَالُــوا ذَهَب الاعتــــرَافُ بالاقْتـــرافِ

ويستمر في استرضاء صاحبه ودغدغة عواطفه واستدرار عطفه بالشكوى من الزمان وأهله إلى أن يقول:

فأحِلْ بالَّذِي حَمَـلْتَ مِنَ العتـــب عَلَيْنا مَا في السِّنِيْنَ العِجَـافِ

ويرسل إليه معاصره شاعر اليمن محمد بن حمير رسالة نثرية وشعرية [1] يبدأها شعرا فيقول:

إنْ سَعَتْ بيننَـا صرُوفُ اللَّيَالِــي أو تَنَـاءَتْ مِنَّـا ومـنْكَ الخيَـامُ
أوْ رَمَـىٰ البَيْــن سهْمَـهُ فَحَوَتْنِـي يَمَــنٌ، واحتَـوَتْكَ عَنِّـي شَآمُ
فوِدَادِي ذَاكَ الـــوِدَادُ وَوَجْـــدِي ذلِكَ الوَجْـدُ، والغَـرَامُ الغَـرَامُ
فعلَيـكَ السلام مِنِّــي، وأرْضِي أنْتَ مِنْ أهلِهَـا عَلَيْـكَ السَّلامُ

(١) توجد ضمن محتويات مكتبة الأستاذ العقيلي وقد ضمها كتابه الذي سيصدر بعد والذي جعل عنوانه (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) وقد صور لي مشكوراً مقدرا ـ الصفحات من ١٤٨ ـ ١٥٠ ـ التي نقل فيها محتوى الرسالتين كما أوردهما الأستاذ/ أحمد محمد الشامي في كتابه: (تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي) ص ٥٢ ـ ٥٧.

فابن حمير ـــ كما ترى يُحيِّي ابن هتيمل أصالة عن نفسه ونائباً عن أرضه وأهلها وهذا يؤكد صادق مودته لأخيه الشاعر لذلك سمعناه يناشده بحق الذكرى :

فاذكُرُوْنَا فَمَا نَسيْنَا هَوَاكُمْ ... لاَ تَنَامُوا إنَّنَا لاتَنَامُ[1]
أنتَ مَوْلىٰ الكِرَام لاغَالَكَ الدَّهْرُ ... وَفَحْلُ الكَلام حَيْثُ الكَلامُ
فَسَقَتْ بلدَةٌ حَوَتْكَ الغَوَادِي ... وَلَكَ العِزُّ دَائِماً والدَّوامُ

لذلك جاء رد ابن هتيمل يؤكد عمق الروابط حيث أطلق الشاعر نفسه على سجيتها فناجى الأحباب بذوب وجدانه الصادق، وعرَّج على الديار مروراً بأطلالها الموحشة مستعجلاً نياقه التي تشاركه اللوعة والاشتياق إلى أن يصل إلى ديار صديقه (بسهام) فيدعو لها ولسكانها :

سيِّدي ما دَمي عَلَيْكَ حَرَامُ ... ليسَ في سفْكِهِ عَلَيْكَ أَثَامُ
أنتَ أولىٰ منِّي بِرُوْحِيَ فاحْكُمْ ... لَكَ فِيْهَا مِمَّا إلَيَّ كَلَامُ
أنَا رَاضٍ فَمَا مَلَامُ أَخِي اللَّوْ ... م لِمَنْ لاَ يَحِيكُ فيه الْمَلاَمُ..

إلى أن يقول سائلا نسيم السحر عن البشام والعقيق واللوى وخيامها وعن ساكني تلك الخيام :

يانَسِيْمَ الأسحَارِ فِيك شَمِيْمٌ ... مِنْ بَشَامِ اللِّوىَ فَكَيْفَ البَشَامُ؟
أَعقَيْقُ اللّوَىٰ عَقيْقُ اللِّوىٰ ... والعلَمُ الفَرْدُ والخِيَامُ الخِيَامُ؟
مالَنَا يارفاقُ زعزَعَنَا الشَّوْ ... قُ ولِلْعِيسِ تَحْتَنَا إرْزَامُ ؟
أَفَبِدْعاً إنْ قُلْتُ يَادَارُ حُيِّيْـ ... ـت ويااربعهم عليك السلامُ

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ٧٢ ـــ ٧٣ .

لانَبَـا الغَـيْثُ عن سهَـامَ ولازا ... ل يمج الميـاه ريـا سهـام

بَلْـدةٌ تُوْجـدُ المُـرُوَءَةُ والثَّـر ... وة فيها ويعـدم الإعـدامُ

جُمِعَتْ في مُحمَّدٍ[٢] آلـة الفَضْـ ... ـل فحارت في وصفـه الأفهـامُ

الجَوَادُ الجَوادُ .. والسيِّد السيـ ... ـدُ والصارم الحسام الحسامُ

رعِـفَ السَّيـفُ واليَرَاعَـةُ تُمْضِي ... بيديـه السيـوف والأقـلامُ

إلى أن يقول ــ معطيا لصديقه قصب السبق على الآخرين جاعلاً نفسه قرنه في السبق الذي لا يدرك شأوه :

فإذَا ما عَددْتَ في شرفِ السَّعْـ ... ـي عصامـاً فأيـن منـه عصامُ

إنَّمَا لابـن حِمْيَـر قَصَب السَّبْـ ... ـق وحيـداً وتستـوي الأقـدامُ

نحن سيفَا غِمْدٍ وقَدْ عَلِمَ العـا ... لـم أنـا ذو النـون والصمصامُ

وهنالك نوع آخر من الإخوانيات كتبها ابن هتيمل نيابة عن بعض الأمراء ، وهي وإن كانت من بنات أفكار الشاعر إلا أننا لا نعتبرها من خالص الوجدان ومع ذلك سنورد نموذجا لها فمن ذلك قوله على لسان الشريف محمد بن القاسم المهدي مخاطباً بني عمومته :

---

(١) وادي سهام باليمن وبه بلدة الشاعر محمد بن حمير .

(٢) محمد : هو محمد بن حمير ممدوح بن هتيمل في هذا النص وهو شاعر اليمن في القرن السابع ترجم له الخزرجي في العقود اللؤلؤية وقال بأن له ديوانا عزيز الوجود وذكر بأن ابن حمير كان أوحد شعراء عصره وأنه توفى سنة ٦٥١هـ انظر ج١ ص١١٠ من كتاب العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية . وترجمه الشامي في كتابه تاريخ الفكر اليمني في العصر العباسي فقال في ص ٩١ : (ابن حمير هذا الاسم الفخم في تاريخ الشعر العربي في اليمن يدور في فلك النجوم السيارة ...) .

بَنـي عمِّنَـا إنَّ التَّحـوُّلَ خُطَّـةٌ ... علىٰ الرَّحِمِ الأقْصىٰ فكَيْفَ علىٰ الأدْنىٰ[1]
أقيمُ علىٰ السُّوءَىٰ إليكُمْ ولَمْ يَكُنْ ... مِنَ الرَّأْيِ إلاَّ أن تُقيمُوا علىٰ الحُسْنىٰ
إذَا أنْتُمُ لمْ تَأنَفُوا العَارَ لم تَزَلْ ... وُجُوهُكُمُ سُودًا وألسنُكُمْ لُكْنَا
دَعوُا خَيْمَتَيْ نَجْرَانَ إنَّ سُرُورَكُمْ ... بعقْوتِهَا أضْحَىٰ بِعقْوَتِها حُزْنَا
ولا تَسْتَرِقَّنَّ الدِّيَـارُ قُلُوبَكُمْ ... فَمَا عَيْشُهَا خفْضاً ولا ماؤُهَا يَهْنَا

ومن ذلك قوله على لسان الشريف خالد بن علي الذروي إلى الأمير شمس الدين أحمد ابن أمير المؤمنين يستنجده لحرب بينه وبين عمال الملك المظفر :

أمَنْ مُبلِـغٌ عنِّـي أئِمَّـةَ مَعْشَرِيْ ... بَني حَمْنَدهَلَ الخَميسِ العَرَمْرَمِ
ومَنْ عِزُّهُمْ عِزِّيْ وَعزِّيَ عِزُّهُمْ ... ولَحْمُهُمُ لحمِيْ وَمَنْ دَمُهُمْ دَمِيْ[2]
لِيَعْلَمَ شَمْسُ الدِّينِ أحمد وابنُهُ ... مُحمدُ شبهُ الرُّوحِ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمِ
بأنَّا شبَبْنَا الحَرْبَ حتَّىٰ تَضرَّمَتْ ... وقدْ طالَمَا شُبَّتْ ولَمْ تَتَضرَّمِ

إلى أن يقول :

بَني عَمِّنَا حتَّىٰ متَىٰ وإلىٰ متَىٰ ... تَخلُّفُكُمْ عن نصرِنَا وإلىٰ كَمِ؟
لنَا ولَهُمْ فِي الحرْبِ حَوْلٌ مُحَرَّمٌ ... فَمَا عذْرُكُمْ مِنْ بَعْدِ حوْلٍ مُحَرَّمِ؟
دُعيتُمْ إلىٰ الحُسْنىٰ فإنْ تَتقدَّمُوا ... إلىٰ فعِلهَا فالفَضْلُ للمتقَدِّمِ

---

(١) مخطوطة الديوان،

(٢) المصدر نفسه .

رابعاً : الفخــــر :

وابن هتيمل يفخر كثيراً بقوة شعره وجماله ويفخر بمكانته الأدبية ويفخر أحيانا بهممه الكبار، كما يعتز بآبائه وبنخوته، ويفخر بأبويه اللذين أرضعاه الترفع والإباء، كما نجده حتى في حالات العتاب يفخر ويعتز بمكانته الأدبية وحتى حين يمدح نجده في غالب الأحوال يمتن على ممدوحيه بروعة الشعر الذي سكبه في صوالينهم لذالك نسمعه يقول لأحد ممدوحيه متعالياً :

إنْ شئْتَ تعلَمُ مَا شَعِريْ وقِيْمَتُــهُ   فَاسْتَنْشِقِ المِسْكَ مفْضُوْضاً لطَائِمُهُ[1]

يَظَــلُّ مَالُكَ نَظْمــاً وهْوَنَـــا ثِرُهُ   وَدُرُّ مَجدِكَ نَثْــراً وهْــوَ نَاظِمُــهُ

كما نسمعــه في خاتمة قصيــدة أخــرى من قصائــد مدحه يخاطب ممدوحه قائلا :

أَميْـرَ المؤْمنيــنَ إلــيْكَ سِحْــــراً   كَلَامُ الشِّعْرِ لا يَحْكِـي كَلَامَـــهْ[2]

يُقِيْمُ علىٰ سَلِيْفِ الدَّهْــرِ طَوقْـــاً   ويَخلُــدُ فِي جَبيــنِ الشَّمس شَامَــةْ

فَرَأْيُكَ فِي وَلِـــيٍّ أحْــــوَذِيٍّ   لهُ مِن كُلِّ ذِيْ عِلــمٍ عَلَامَـــةْ

ونغمة الاعتزاز والفخر تسري في شعر ابن هتيمل وبخاصة في شعر العتاب، وهاهو ذا يعاتب قومه في الأبيات الآتية فيبدو مدلاً على قومه :

أَرَانِـي وإنْ كُنْتُمْ مَوالِــيَ نِعْمَتِــيْ   وَأَهْلِي فِلِيْ من دُونِ أَرْضِكُمُ أَهْلُ[3]

تُقَبَّلُ كَفِّـي قبــلَ إبــرَاكِ ناقَتِــي   وتُنْجَحُ حاجَاتِـي ومـا حُطَّ لِي رَحْلُ

وأَنتُمْ أَحـقُّ النَّــاسِ بِي لوْ عَرَفْتُــمُ   بِحَقِّـي ولَكِـنْ دُوْنَ مَعْرِفَتِي جَهْــلُ

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ٧٠ .

فَمَا حِيْلَتِـي وَالْحَـالَ لَوْ قُمْتُمُ بِهَـا عَلَـىٰ جِهَـةِ الإنصافِ أَصعَبُهَـا سَهْـلُ
فَما صنتُ نفسِي عن قتَالِ عدّوكُـمْ وَلاَ قُلْتُ مَالِي فِي أُمُوْرِكُمُ دَخْـلُ

وكقوله معتداً بنفسه وأنه صاحب همم عالية لا تطاول :

أَنَـا لا تُفَارِقُنِـي الهُمُـومُ ولم تَزَلْ تنبيك عنْ هِمَمِ الكريـمِ هُمُومُـهُ[١]

وقولـه أيضـاً :

وَكَـمْ مَوْرِدٍ صَافِـي الـمَشَارِبِ عِفْتُـهُ حذَارَ الأذَىٰ عنْ عِفَّـةٍ وَتَكَـرُّمِ[٢]

وكقولـه :

يَأْبَىٰ لِنَـفْسِيَ أَنْ تُغضِي عَلَىٰ مَضَضٍ قَلبٌ أُجِـنٌّ ورَأْيٌ مَا بِهِ خَلَـلُ[٣]

وكقوله :

حَرَمَتْنِي الأيَّـامُ أَنْ أَرْ أَمَ الضَّيْـ ـمَ فَخُلِّـفْتُ نَخـوةً وَإِبـآءَا[٤]

ويعتز بترفعه عن الشبهات وابتعاده عن حياضها المنتنه فيقول :

فَفِـيْ رِجْلِـي عَنِ الشُّبَهَـاتِ قَيْـدٌ وَفِـيْ عُنُقِـيْ عَنِ الشُّبَهَـاتِ غُلُّ[٥]

ويعـزو سبب ترفعـه وإبائـه إلى أن والديـه قد أرضعـاه منـذ الصغـر عزة النفس، وإباء الضيم فيقول :

يَأْبَـىٰ لِنَـفْسَي أَنْ تُغْضِيْ عَلَـىٰ طَرَفٍ مِنَ المَذَلَّـةِ أُمٌّ بَرَّةٌ وأَبُ[٦]

ويفخـر ابـن هتيمـل بعـزة نفسه، وصونـه لها عن الصغـار، وترفعـه عن الطمع الدنيء وإعـراضه عمـن يتعمـد الإعـراض حتـى ولـو كان ملكـا صاحب

(١) مخطوطة الديوان ــ .مصدر سابق .
(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ٧٤ .
(٣) مخطوطة الديوان .
(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ٣٣ .
(٥) مخطوطة الديوان .
(٦) الجزء المطبوع من الديوان ص ٣٩ .

ملك وصولجان، فإن عزة نفسه تجعله يقابل ازوراره بازورار مثله ذلك لأنه يحب نفسه ويحترمها :

أَبَىٰ حُبِّي لِنَفْسي أَنْ أَرَاهَا ... أُجَرِّعُهَا هَوَاناً أَوْ صَغَاراً[1]

وأَنْ أُدْلِيْ إِلَىٰ طَمَعٍ بِذُلٍّ ... وَمنقَصة تَكُوْنُ عَلَيَّ عَارَا

إِذَا مَلِكٌ نَأَىٰ عَنِّي ازْوِرَاراً ... نَأَيْتُ بِجَانِبِي عَنْهُ ازوِرَاراً

ومن ضَرَبَ الحِجَابَ فَلَسْتُ آسَىٰ ... لِرُؤْيَتِهِ وَمَنْ خَلَعَ العِذَارَا

أجلْ. إِنِّي اسْتَخَرْتُ اللهَ فِيْمَا ... كَرِهْتُ فَخَارَ لِي مِنْهُ وَخَارَا

كما يفخر ابن هتيمل بمكانته الأدبية ،ويعتز بشعره وجودته في جل قصائده :

فَخْراً لِهذَا الزَّمَانِ أَنْ حَظِيَتْ ... رِجَالُهُ بِي ونِسْوَانُهُ[2]

قَدْ عَرَفَتْ حَالِي المُلُوْكُ فَمَا ... تُنْكِرُنِي إِنْسُهُ ولَا جَانُهُ

أَنَا الَّذي لاَ العِرَاقُ تَعْطِلُ مِنْ ... حُلِيِّهِ شِعْرِي وَلاَ خُرَاسَانُهُ

مَالِحبيبِ[3] فضلٌ عَلَيَّ وَلَا ... يُحسنُ قَوْلي في المَدْحِ حَسَّانُهُ[4]

ويعتز بترفعه عن المهاترات برغم اقتدار بيانه على دفع اللوم بمثله والرد على أصحاب اللوم ولكنه يعرض عن ذلك ترفعا :

فَلَيْسَ إِعرَاضُ وَجْهِيْ عن مُكَافَحَتي ... وَجْهَ الصِّدِّيْق بِمَا يَخْشَى بإِعْرَاضِ

إِنِّي لأَرضَىٰ وفِي طيِّ الرِّضَا غَضَبٌ ... يَرضَىٰ لِسَانِي وقَلْبِي لَيْسَ بالرَّاضِي[5]

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر السابق .

(٣) حبيب : هو حبيب بن أوس الطائي (أبو تمام) الشاعر العباسي المعروف .

(٤) حسانه : يقصد الشاعر المخضرم حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ وشاعر الإسلام المعروف .

(٥) مخطوطة الديوان .

وَرُبِّ جَائِفَــــةٍ لَيستْ بِدَامِيـــــةٍ فِي الجوْفِ أُغْمِضُ عنْهَا أيَّ إغْمَاضِ
وَلَـوْ أشاءُ جَزَيْتُ النَّــاسَ ضَاحِيَــةً رَمْيــاً بِرَمْــيٍ وإنبــاضاً بِإنْبَــاضِ

خامساً : الرثـــاء :

يأتي الرثاء في المرتبة الثانية بعد المديح من حيث عدد القصائد وكذا عدد الأبيات وإن لم يدانه فيهما لغلبة المديح ؛ فلقد عُمِّر ابن هتيمل طويلا — كما يقول صاحب مطلع البدور حتى رثى كثيراً ممن ممدحهم وأثناء عمره الطويل رُزِيءَ بفقد الأقارب والأصحاب والمعارف والخلان، فقد فجع بموت الإخوة والأخوات وفجع بموت الزوجة والأبناء، وحتى عبده : سعْد، وأَمَتُهُ : الخيزران، حين غادروا دنياهم الفانية أعقبوه حسرة ولوعة، إلى جانب فقد الأصحاب والأحباب والخلان وذوي الجاه والسلطان من المعارف والأقران، فكان وجده بأولئك، ووفاؤه لهؤلاء باعث شجونه، فرثاهم جميعا بألوان من الشعر المليء بالحكمة والموعظة، والمتدفق بفيض الأحاسيس، وكانت درجة حرارة رثائه تختلف باختلاف صلاته بالمتوفين فرثاؤه لأبنائه أو لزوجته، أو لإخوانه، يختلف فيه التدفق عن رثائه للأصحاب والمعارف والخلان ؛ فحين فارقه أخوه خليفة الذي كان يتحمل عنه أعباء العشيرة، وكان يتقي به صروف الأيام، وكان سنده في المدلهمات، سالت عاطفته فقال :

بِمَنْ أَذُود الأعـادي كلَّمَا كَلَحتْ تَحْتَ العَجَاجِ رِمَاكَ الخَيْلِ والحُصُنِ
ومن أُحمِّــلُ أَعَبَــاءَ العَشِيْــرَةِ إذْ لم تَحْمِلِ الزَّمَنَ المَعْذُورَ والزَّمــنِ

حين مات خليفة هانت دون موته المصائب، فتساوت الأشياء ولم يَعُدْ يأبه بما سيأتي بعد خادثه الجلل الذي فقد بسببه توازنه ورجاحة عقله التي كان يواجه بها الخطوب وليكن ما يكون فلن يكترث بعد هذا المصاب بأي حدث :

مَا شَاء بعـــدَكَ فَلْيَــأْتِ بِهِ الزَّمَــنُ ... فَلَا السرُّورُ يُوَاتِينِـــي وَلَا الحَـــزَنُ

فَمَـا رَأَتْ يَاأَبَا يَحْيىٰ وَلَا سَمِعَتْ ... بِمِثْــلِ يَوْمِكَ لَا عَيْــنٌ وَلَا أُذُنُ[2]

آسىٰ عَلَــيْكَ وَمَالِــي يَاخَلِيْفَــةُ لَا ... آسىٰ وقـد صَدَقَتْنِي بَعْــدَكَ الفِتَــنُ

تَغَيَّرَتْ بَهْجَـةُ الأَيَّامِ وانْتَقَضَ الــ ... ـعَهْدُ الوَثِيْقُ وحَـالَ الحَيُّ والسَّكَنُ

لَوْ قَاضَكَ الدَّهْرُ مِنَّـا بِالحَيَـاةِ وبالْـ ... أَحْيَـاءِ كَانَ عَلَيْــهِ الغَبْــنُ والغَبَــنُ

ويفقد أخاً آخر، وأخته في أسبوع واحد، فيضطرم حزنه ويبكيهما بكاء مراً ويأتي رثاؤه لهما نابضا بالأسىٰ واللوعة ؛ حيث يفتتح القصيـــدة محدداً موقفه من الحياة :

قُصَارَىٰ المَـــرْءِ رَدُّ المُسْتَعَـــارِ ... وسَائِلَـــةُ الحَيَـــاةِ إلـــىٰ قَرَارِ[3]

وَلسْنَــا بِالخِيَــارِ عَلَــىٰ اللَّيَالِــي ... ولكــنَّ اللَّيَالِــي بِالْخِيَــارِ[4]

بِنَـفسِي أَنْـفُسٌ غُصِبَتْ جِهَـاراً ... بِأَمْـــرٍ دَقَّ عَنْ غَصْبِ الجِهَـــارِ

إلى أن يقول :

وأَيُّ أخٍ أشَمَّ وأَيُّ أُخْتٍ ... رُزِيْتُ وأَيّ ضَارِيَـــــةٍ وَضَارِي

مَضَتْ مَا أَنْضَتِ [5] الضَّفَرَاتُ مِنْهَا ... وَمَـــاتَ ومَـــا بَدَا شَعَــرُ العِــذَارِ

فيــاربَّ العِمَامَــةِ كُنْتَ تَكْفِـــي ... مِنَ الـــحَسَرَاتِ عَنْ ذَاتِ السِّوَارِ

ويَاعَــفَّ الإِزَارِ لَقَـــدْ رُزِيْنَـــا ... عَلَــىٰ الأسْبُــوعِ طَاهِـــرَةَ الإِزَارِ

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ٩٩ .

(٢) مخطوطة الديوان .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) (أنضت) : في مختارات العقيلي كتبت (مـا ابيضت) ومعنى: نضي اللـون : نصل، وأنضى الثوب : أبلاه. نضاوة الشيء : ما سقط منه عند انتزاعه ـــ وهذا المعنى أقرب ، انظر أساس البلاغة ص ٤٦١ مادة نضو . وينظر المعجم الوسيط ج٢ .

وإذا كان قد فجع بفقد أخيه وأخته في أسبوع واحد فها هي الأيام تفجعه بفقد ثلاث أخرى في وقت أو أوقات متقاربة فأخذ يبكيهن بلوعة وحسرة :

أَعَاذِلُ قُطِّعتْ كَبِدَي سُدَاساً ... فَضُمِّنَتْ الثَّرىٰ مَوْتاً ودَفْناً [1]

ثَلاثٌ مِنْ صَمِيْمِ أَبِيْ وأُمِّي ... ذَهَبْتُ بِيَوْمِهِنَّ وهُنَّ هُنَّا

فَكَيْفَ تَلُوْمُنِي جَلَداً وصَبْراً ... إذَا أَنَا لَمْ أَمُتْ كَمَداً وحُزْناً

ولَوْ نصف المُشَقَّرِ بَعْض ما بِيْ ... لأَرْزَمَ مِنْ تَفَجُّعِهِ وَحَنَّا

يُجدِّدُ حَسْرَتِي ويهَيِجُ وَجْدِي ... بأَكْبَرِهَّنَ أَصغْرُهُنَّ سِنَّا

وحين فقد عبده (سعدا) رثاه كما رثا أمته (الخيزران) وتذكر أثناء رثائه لسعد من فقد من أقربائه وأحبابه :

وقَائِلَةٍ أَهَانَ عَلَيْكَ سَعْدُ ... أَلَا تَبْكِي وَقَدْ فَارَقْتَ سَعْداً [2]

فَقُلْتُ لهَا قرِيْ عَيْناً فَإنِّي ... خُلِقْتُ عَلىٰ رَزَايَا الدَّهْرِ جَلْداً

وسعد كَانَ حُرّاً لَيْسَ حُرّاً ... بِنِسْبَتِهِ وَعَبْداً لَيْس عَبْدا

يَقِيْكَ بِرُوْحِهِ إذْ لَاَحَمِيْمٌ ... يَقِيْكَ بِهَا وَيَلْقَىٰ الأَلْفَ فَرْدَا

إلى أن يقول متذكرا من غادروا دنياهم الفانية من أقاربه وخلانه :

وَقَدْ فَارَقْتُ مِنْ سَادَاتِ قَوْمِي ... وَمِنْ سَرَواتِهِمْ شِيْباً ومُرْداً

مَصَاعِب بَعْضُ مَا لاَقَيتُ فيهِمْ ... يَهُدُّ الرَّاسِيَاتِ الشُّمَّ هدًّا

نعم تختلف درجة حرارة رثائه في الحالين فهو حين يرثي الأصدقاء والأحباب يصف فجيعته بفقدهم وربما بالغ في ذلك، لكنه لا يستطيع أن يفتح قلبه على الورق كما فعل حين رثىٰ زوجته أو ابنه سلطاناً أو أخاه خليفة أو إخوانه وأخواته، ففي رثاء الأقارب تسبقه عبراته فيدع قلبه يتحدث على

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه .

سجيته وتنهمر عاطفته ويهمي وجدانه .

وفي رثاء الأصدقاء والخلان يذرف دموعه الساخنة، ويستعرض بعض مناقب الفقيد ويصور أثر فقده على أسرته ومجتمعه ولا يلبث أن يتلبسه سلطان العقل فيأخذ في توجيه النصائح لذويه بالصبر والتآسي بالسابقين، نسمعه حين أخذ يرثي أحد أمراء المخلاف السليماني : (الأمير محمد بن وهاس) يقول :

تَأَسَّ فإِنَّ المَرْءَ غَيْر مُخَلَّدِ ... وَمَنْ فَاتَ حَيْنَ اليَوْمِ أَدْرَكَ فِي غَدِ[1]

ولا تَقْضِ وَجْداً ولْتَكُنْ لَكَ أُسْوَةٌ ... بِمَنْ قَدْ تَأَسَّىٰ في عَلِيٍّ وأَحْمَدِ

إلى أن يقول :

بَنِي غانِمٍ إِنْ أَقْصَدَتْكُمْ يَدُ الرَّدىٰ ... فَفَلَّتْ شبَاةَ المَشْرَفِيِّ المُهنَّدِ

فَصَبْراً فَأَمْرُ اللَّهِ قُدْرَةُ قَاهِرٍ ... مَتَىٰ مَا تَقُدْ صَعْبَ المَقَادَةِ يَنْقَدِ

وكَمْ نَازِلٍ مِنْ بُرْجِ قَصْرٍ مُشَيَّدٍ ... إِلَىٰ قَبْرِهِ عَنْ صَحْنِ صَرْحٍ مُمَرَّدِ

وينتقل إلى خطاب المتوفَّىٰ أو نُدْبَتِه فيقول :

مُحَمَّدُ كَمْ مِنْ ثَاكِلٍ مُتَأَوِّهٍ ... عَلَيْكَ وَكَمْ مِنْ شَامِتٍ مُتَنَهِّدِ[2]

أَتفْنىٰ وَلَبَّاتُ الجِيَادِ سَوَالِمٌ؟ ... صِحَاحٌ؟ وخُرصَانُ القَنَالِمْ تُفصَّدِ؟

فأنت تلاحظ البون الشاسع بين هذا النفس المتقطع وذلك التدفق العاطفي في قوله يصف حالته وقد فقد حليلته :

أَحِنُّ حَنِيْنَ الهِيْمِ زَادَ خِمَاسُهَا ... عنِ الوِرْدِ ذَاتِ العبقريِّ الغَشَمْشَمِ[3]

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) مخطوطة الديوان .

(٣) المصدر نفسه .

كأنّي وأمّ **المعزبيّ** تقاصَرَا على صِفتَيْنَا مالِكَ ومُتمّمِ[1]

أَبيتُ علىٰ جَنبِ الفِرَاشِ كأنّني ضَجِيعى منْ بعدِ المليحَةِ أرْقَمُ

فمنْ لِيَ أنّي في مكانِكِ أرْمَلٌ وأنّكِ منّي في مكانِيَ أيّمُ

ومِنْ ضعفِ حَظّي أنّني متأخّرٌ فيا بَرْدَهَا لوْ أنّني مُتَقَدِّمُ

وتظل ذكرى أحبته وإخوانه وأبنائه جراحا ينكأها فقدان صديق أو عزيز فيعود نزيفها ساخنا يعكر عليه ما تبقىٰ من صفو الأيام .

على أنه قد يجلي أحيانا في وصف حزنه بفقد بعض أصدقائه أو ذوي المكانة الاجتماعية . ولعل أجمل مراثيه قالها في الأمير القاسم بن علي الذروي أمير المخلاف السليماني، وفي الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين ؛ يقول في إحدى مراثيه في القاسم بن علي الذروي :

أَبَا خَالِدٍ ماشِيْنَ بعدَكَ فَلْتَكُنْ أُمورُ القَضَا مَأْمُونُهَا ومَخُوفُهَا[2]

ولو كُنتُ أقوىٰ أنْ أَرُدَّ بقُوَّتِي صُرُوف اللّيَالِي مَا رَأتكَ صُرُوفُهَا

أَمَا كَانَ في جَوفِي لشخصِكَ حُفْرَةٌ عنِ الأرضِ لا يحظىٰ بشخصِكَ جَوفُهَا

فتلمس هنا صدق العاطفة ، كما تلمسها في بعض مراثيه للإمام أحمد بن الحسين وإن تفاوتت درجاتها تدفقا وعطاء وحرارة أداء .

---

(١) مالك بن نويرة الذي قتل في حرب المرتدين أثناء معركة اليمامة وأخوه متمم بن نويرة الذي حزن لفقده كثيراً ورفع الأمر للخليفة باعتبار القتل حصل خطأً في الأسر كما تذكر المصادر التاريخية .. وقد رثى متمم أخاه مالكاً بغرر القصائد .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ٩١ . ط ٢ .

سادساً : العتــاب :

.. أربع قصائد أو خمس هي التي خصصها ابن هتيمل فقط لهذا الغرض من قصائد الديوان على كثرة عدد قصائد الديوان، وأبيات متناثرة في ثنايا قصائده المختلفة، إحدى هذه القصائد الأربع موجهة على لسان أحد أمراء المخلاف السليماني لأبناء عمومته يحثهم فيها على الاجتماع ويعاتبهم على التفرق :

بَنــي عمِّنَـا إنَّ التَّحَــوُّلَ خُطَّــةٌ — عَلى الرَّحِمِ الأقصى فكيف على الأدْنى[1]

إذَا أنتُم لَمْ تَأْنَفُــوا الْعَــارَ لَمْ تَزَلْ — وُجُوهُكُمُ سُوْداً والْسُنُكُـمْ لُكْنَـا

والثانية مقطوعة صغيرة، عدد أبياتها ستة، وجهها الشاعر لأحد ممدوحيه من أمراء حلي، وقد قلل عطاءه، ولم يكافئه على مديحه، ولم يتذكر ما بينهما من ود قديم فعاتبه قائلا :

مَدَحْتُكَ مَدْحاً لو مدَحْتُ ببعضِهِ — وأَدْنَاهُ صُمَّ الصَّخْرِ جَادَتْ جَنادِلُهْ[2]

وَمَـالَكَ لاَ سَاوَيْتَ بِي مَنْ رَفعْتَـهُ — عَلَــيٍّ، وَلَا مَا ثَلْتَ بِيْ مَنْ أُمَاثِلُـهْ

فَهَبْنِيَ فَهَّـا لاَ أُفَــوْهُ بِلَفْظَــةٍ — وَلَا أُحْسِنُ القَوْلَ الَّذِي أنَا قَائِلُـهْ

أَمَــا بَيْنَنَـا وُدٌّ قَدِيْـمٌ مُؤَكَّــدٌ — أَوَاخِـرُهُ مَحْفُوظَـةٌ، وأَوَائِلُـهْ؟

وهي تسير في موسيقاها الداخلية والخارجية على غرار قصيدة بشار بن برد ذات المطلع :

إذَا كنتَ في كلِّ الأمــور مُعاتِبـاً — صديقكَ لمْ تلْقَ الذي لا تُعَاتِبُـهْ

وإن خالفتها في المعنى. ويلاحظ هنا أن الشاعر قد ألح في العتاب من

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه .

أجل أمور يمكن تجاوزها مادام هناك ود قديم !!

والقصيدة العتابية الثالثة : موجهة لأحد أشراف المخلاف السليماني، يعاتبه فيها على قطع النوال، ويستنهض همته للمواصلة :

يَاصَلاحَ الصَّلاحِ يَاأَجْوَدَ الأَجْـ ـوادِ حَقّاً يَاأَشْرَفَ الأَشْرَافِ[1]

كَيْفَ أخلَفْتَنِي؟ وَمْثِلُكَ لا يُقْـ ـدِمُ في وَعْدِهِ عَلَى الإِخْلَافِ

لَيْسَ هَذَا الوفَاءُ مِنْ شِيمَ الحُسْـ ـنِ وَلَا مِنْ شَرَائِطِ الإِنْصَافِ

وَبِوُدِّي لَوْ اعَتَذَرْتَ، لسَامَحْـ ـتُ وَلَكِنْ أسعَفْتَ بالإِسْعَافِ

وتأتي قصيدته الرابعة خالصة لوجه العتاب في أمور تستحق العتاب فهو يعرض فيها معاناته من إعراض قومه عنه وخذلهم له في مواقف الحياة وتلون أخلاقهم فتأتي قصيدته معبرة عن ذاته المكلومة .. بل المجللة بالحزن العميق :

تُلَاقُونَنِي كُلٌّ مُسِرٌّ ضَغِينَةً بَواطِنُكُمْ فيهَا خِلَافُ الظَّوَاهِرِ[2]

لذلك فقد طلب منهم الابتعاد عنه وتسليمه صراحة لنوائب الدهر فهو على استعداد لمواجهتها بمفرده بعد أن يئس من وقوفهم بجانبه :

دَعوْنِي فَمَا أَرتَابُ مِنْ خَذْلِ خَاذِلٍ وَلَا أَتَرَجَّى مِنْكُمُ نَصرَ نَاصِرِ[3]

أجل سيواجه الحياة بمفرده، وسيواجهها بشجاعة يتحمل من أجلها مرارة العيش :

إِذَا كَانَ حُلْوُ العَيْشِ تَحْتَ مَذَلَّةٍ سَعَيْتُ لِمُرِّ العيْشِ تَحْتَ الحَوافِرِ[4]

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

وهو سيتحمل تخليهم عنه وما يتبع ذلك من عنت الأيام لأنه حسن الظن بمن بيده مقاليد الأمور ؛ فهو مؤمن بالقضاء المحتوم، والقدر المقدور، ومدرك أن الفرج يأتي بعد الشدة، واليسر بعد العسر، وأن خالقه وبارئه لن يسلمه إلا إلى خير :

مَعَ الـعُسْرِ يُسْرٌ والأُمُـورُ يَحلُّهَـا   عنِ الحَالِةِ الأُوْلَىٰ صُرُوفُ المَقَادِرِ(١)
وَفِـي اللهِ لي ظَنٌّ فَيَـارُبَّ عاجِـزٍ   أديـل على ماضِي العـزيمة قادِرِ

وابن هتيمل قد يعاتب ممدوحه إن بدت منه جفوة، أو قلّ عطاؤه أو بلغه عنه ملام، وهاهو يخاطب ممدوحه موسى بن علي الكناني من أمراء حلي، في لهجة تتجاوز مرارة العتاب لتدخل إلى باب الاستعطاف :

وَيَـا وَاحِـداً مَا حَكَـاهُ الأَنَـامُ   وَلَا جَاوَزُوا فِعْلَـهُ فَاغْتَـرَبْ(٢)
أَتَانِـيَ مِنْكَ تَلَظِّـي العِتَـابِ   وحَسْبِـيَ مِنكَ دُخَـانُ اللَّـهَبْ
وَفِـي بَعْضِ مَا قَالَ عَنْكَ الـرُّوَاةُ   أَنَّكَ كَنَّيْتَنِـي باللَّـقَبْ
وَمَـا جِئْتُ ذَنْبـاً أُجَـازَىٰ بِهِ   فَكَيْفَ الـقَضَاءُ وكَيْـفَ السَبَبْ؟
وكـنتُ أُعِـدُّكَ لِلْمُـعْضِلَاتِ   وَدَفْـعِ العَظِيْـمِ وكَشْفِ الكُـرَبْ
حَسَرْتَ ذِرَاعَـيْكَ عَنْ مُعْضَلَاتِي   وأَبَـرَزْتَ نَحْـرِيَ نَحْـوَ النُّـوَبْ
أَنِلْنِـي بِعَطْـفِكَ مِمَّـا يُنِيْـلُ   وَهَبْ لِي ذَنْبِـي فيمَـا تَهَبْ

ومن العتاب الخالص أبيات وجهها إلى أحد أصدقائه الخُلّص وقد بدا له منه جفوة ، يقول فيها :

أَمَسْعُـودُ بنَ عَمْـروٍ يَاثمَالِـي   وَسيِّـدَ مَعْشَرِي وَرَئِـيْس بَيْتِـي(٣)
أَرَاكَ عنْ الإِخـاءِ أضَعْتَ عَهْـدِي   لديْكَ ولَـيْتَ حَقِّـي أَيُّ لَيْتِ

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر نفسه ..

(٣) المصدر نفسه .

مَضَىٰ زَمَــنٌ أُعلِّــلُ فِيــهِ نَفسي	بِعَــلَّ، وَغَيرِهَــا، وَعَسَىٰ، وَلَيْتِــي
تُلَبِّــي صَوْتَ مَنْ نَادَاكَ جَهْـــراً	لِمَنْفَعَــةٍ وَمَــا لَبَّـيْتَ صَوْتِـــي
وإنْ قَالَ الـوُشاةُ صَغَـوْتَ سَمعـاً	لَهَـمْ وَضَحِـكْتَ مِنْ كَيتٍ وَكَـيْتِ
إِذَا لَمْ تَصْطَنِعْنِــي فِي حَيَاتِــي	فَأَيُّ صَنيعـةٍ لَكَ بعْـدَ مَوْتِـــي؟
فإنَّكَ إنْ تُعَـــوِّضْ فِيَّ غَيْــري	كَمَــنْ بَاعَ المُحَلَّـىٰ بِالسُكَـيْتِ
خُذِ المُثْلَـىٰ فَكَـمْ ميتٍ كَحَـيٍّ	فَحَاذِرْهَــا وَكَـمْ حَيٍّ كَمَـيْتِ

سابعاً : الهجـــاء :

أما الهجاء كغرض مستقل يفردُه بقصائد موجهة فلا وجود له في شعر ابن هتيمل، فقد نقل الشامي عن المؤرخ يحيى بن الحسين في كتابه (المستطاب) مخطوط : بأن ابن هتيمل كان عفيفاً عن الهجـاء والسب عدا أبيات هنا وهناك تمتزج بالشكوى من حاسديه وشانئيه ومنكري فضل أدبه ، وهو يفعل ذلك دون ذكر للأسماء كقوله :[1]

وكَمْ مَعْشَرٍ رَامُوا خُضُوعِي وذِلَّتِي	فَحَلَّقت عنهُـمْ لا أَذِلُّ وأَخْضَعُ[2]
أَرَىٰ مِنْهَـمُ ما لَا يَرىٰ الغيرُ مِنْهُـمُ	وأسمَعُ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا الغَيْرُ يَسْمَع
نَبذْتُهُمُ خَلْفِيْ وَلَـمْ أَخشَ مِنْهُـمُ	لِعِلْمِـيَ أَنَّ اللهَ يُعْطِـي ويَمْنَـعُ

وقـــوله :

وَمَا يَسْتَوي فِي الفَضْلِ ليثٌ وأَرْنَبٌ	وَلَا فِي عُلُوِّ القَدْرِ صِلٌّ وعَقْرَبُ[3]

وقولـــه :

---

(١) تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي للشامي ص ٤٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الصل : الثعبان .

أطَلْتُ بِتُرْبَـةِ المخْـلاف مُكْثـي فَلي مِنْ غَيرِ جِنْسِي فيـهِ جِنْسُ [(١)]
أُنَافِـقُ بالتَّخَلُّـقِ فِيـهِ جنًّـا كَأَنَّهُـمُ مِنَ الإيهَـامِ إنْسُ
أَبَرُّهُـمُ تُبِـرُّ به فَيَجْفُـو وَأَلْيَنُهُـمْ تَلِيْـنُ لَهُ فَيقْسُو
وَلَوْ طَهَّـرْتَ طُوْلَ الدَّهْـر كَلْبـاً بأَمْـوَاهِ البسيطَـةِ فَهْـوَ نجْسُ

وأمثال ذلك في شعره كثير، غير أنه لم يهاج شخصاً بعينـه كما يتضح من تتبع شعره الذي يغلب عليه المدح وإن بطنه بالشكوى .

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٧٣ — ١٧٤ .

(د) المبالغة في شعره

وإذا كنا قد أتينا في الصفحات السابقة على معظم أغراضه الشعرية فإننا نود أن نشير إلى إحدى سماته الشعرية، التي ربما تعرض بسببها للمواقف المتباينة ؛ تلك السمة : هي المبالغة في شعره وبخاصة في شعر المديح، فلقد لامه عليها صاحب مطلع البدور ومجمع البحور – كما سبق أن أشرنا – وأورد بعض المواقف التي تعرض لها الشاعر بسبب تلك المبالغات، كما عاقبه الأستاذ العقيلي في مختاراته بالحذف والبتر فلم يوردها ضمن ما اختاره من شعره .

وأحسب أن ابن هتيمل ليس بدعا في هذا الشأن فلاشك أن لمبالغاته نظائر وأشباها في الشعر العربي ربما تجاوزتها، كما أظن أن تلك المبالغات ضرورة يقتضيها عصر الشاعر، إذا ما أدركنا أن سوق الشعر بعامة والمديح على وجه الخصوص كانت رائجة في القرن السابع وإذا ما أدركنا كذلك أن شاعرنا كان يتكسب بشعره كغالبية شعراء العربية في عصره والعصور التي سبقته، لذلك نجده يبرر لزوجته، أو لطيفها الذي يخاطبه سعيه الحثيث في مدح الأمراء والأشراف، ويضرب أمثلة من التاريخ تؤكد نجاح المثابرين في السعي نحو تحقيق مآربهم فيقول :

لا تَكْرَهِي لِيَ سَعْياً أستَفِيْدُ بِهِ ... زِيادَةً وكَمَالاً بعْدَ نُقْصَانِ[1]

فإنَّ إتْيانَ نَارِ الطُّورِ أَظْهَرَ بُرْ ... هَانَ النُّبُوَّةِ في مُوْسَىٰ بنِ عِمْرَانِ

وابنُ المُهَلَّبِ أَبْلَىٰ في تَطَلُّبِهِ ... حَتَّىٰ استقَامَ أميراً في خُرَاسَانِ

وشَارَفَتْ فارسٌ مُلْكَ الخَلائِقِ بالـ ... ـفَضْلِ بن يَحْيَىٰ وبالفَتْحِ بنِ خَاقَانِ

ومهما يكن من أمر مبالغات ابن هتيمل فلا أظنه في مبالغاته يصل إلى

---

(١) مخطوطة الديوان – مصدر سابق .

الحد الذي ذهب إليه ابن هانيء[1] الأندلسي الذي بلغ حداً من الغلو في المبالغة حين مدح المعز لدين الله الفاطمي [2]، فأتى بالعجب العجاب الذي أشار إلى بعضه صاحب قصة الأدب في الأندلس[3] وسواه . [4]

كما أنها قد لا تصل إلى المستوى الذي ذهب إليه أبو نواس (الحسن ابن هانيء) [5] حين خاطب ممدوحه قائلا :

---

(١) هو محمد بن هانيء بن محمد الأزدي ولد في إحدى قرى أشبيلية سنة ٣٢٠هـ وقيل سنة ٣٢٦هـ يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة واسرته أزدية قحطانية لها ماضيها الحافل . كان أبوه شاعرا من شعراء المغرب انتقل إلى الأندلس واستقر بأشبيلية حيث ولد شاعرنا ونشأ فيها وتنقل بين مجامع العلم يثقف نفسه ثم رحل إلى قرطبة ونهل من معارفها وعاد فاتصل بأمير أشبيلية ثم هاجر بعد ذلك إلى المغرب واتصل بالخلافة الفاطمية وزعيمها الأول المعز لدين الله الفاطمي ومدحه بغرر شعره وكانوا يسمونه متنبيء المغرب قتل سنة ٣٦٢ وحين علم المعز بذلك حزن عليه وقال : كنا نريد أن نفاخر به شعراء المشرق . انظر قصة الأدب في الأندلس لمحمد عبد المنعم خفاجي . ج٢ ص ١٧٤ . وانظر المفصل في تاريخ الأدب العربي لعلي الجارم وأحمد أمين وآخرين ص ١٠٨ . .

(٢) هو المعز لدين الله الفاطمي ولد بالمهدية سن ٣١٨ هـ وبويع له بولاية العهد في حياة أبيه وتولى الخلافة سنة ٣٤١هـ وبابتداء حكمه ابتدأ عهد جديد للدولة الفاطمية حيث أخذوا يوسعون نفوذهم في شتى الأقطار وفي عهده بنى جوهر الصقلي قائده مدينة القاهرة وبنى الأزهر فاتخذها المعز عاصمة ملكه إلى أن توفى سنة ٣٦٥هـ . انظر ج٢ من كتاب قصة الأدب في الأندلس ص ١٧٨ ــ ١٧٩ .

(٣) قصة الأدب في الأندلس ج٢ ص ١٨٣ .

(٤) المفصل في تاريخ الأدب العربي ص ١٠٩ .

(٥) الحسن بن هانيء بن عبد الله الحكمي بالولاء كان أبوه مولى للجراح بن عبد الله الحكمي . ولد في لاهور سنة ١٣٩ هـ ونشأ بالبصرة اتصل بالخلفاء العباسيين فمدح بعضهم، رحل إلى دمشق ثم مصر وعاد إلى بغداد وعاش بها إلى أن توفى =

وأَخَفْتَ أهلَ الشِّرْكِ حتّى إنّهُ لتَخافُكَ النُّطَفُ التي لَمْ تُخْلَقِ[1]

أو الحد الذي وصلت إليه مبالغة الشاعر منصور[2] النمري حينما قال مادحا لهارون الرشيد :

إنْ أخْلَفَ القَطْرُ لَمْ تُخْلِفْ مَواهِبُهُ أَوْ ضَاقَ أمرُ ذَكَرْنَاهُ فيتَّسِعُ[3]

ومع كل هذا وغيره فقد تناقلت كتب الأدب هذه الأبيات وأمثالها كنموذج لبعض أنماط التفكير في عصور قائليها، ولم تستبعدها كما فعل العقيلي في مختاراته . وبالمناسبة فإني بعد أن عرفت شك الأستاذ العقيلي فيما يرويه صاحب مطلع البدور عن قصة مديح ابن هتيمل للقاسم بن علي الذروي بقصيدته التي يقول مطلعها :

الله أكبر هذا منتهى أملي هذي الجروب وهذا القاسم بن علي[4]

وأن الذروى كأفاه ببقر الحرث وشك العقيلي كذلك في صحة نسبة القصيدة إليه وأنه يعزو ذلك لعدم وجودها ضمن قصائد الديوان . بعد أن عرفت كل هذا تتبعت حال هذه القصيدة فوجدت مبرر الأستاذ العقيلي غيرَ

بها . له ديوان شعر مشهور وقد عرف بشعر المجون . انظر معجم المؤلفين ج٣ ــ ص ٣٠٠ لعمر رضا كحالة والعصر العباسي الأول ص ٢٢١ ــ ٢٣٧ لشوقي ضيف .

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ص ٣٣٤ .

(٢) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة من قبيلة النمر بن قاسط وهو تلميذ الشاعر العتابي . مدح هارون الرشيد كما مدح الفضل بن يحيى البرمكي ومدح يزيد بن مزيد الشيباني، لم يتعلق بلهو ولا بمجون كان شاعرا مجيدا يعتني بانتخاب الفاظه وانتقاء معانيه حتى يأتي بالطرائف. انظر جواهر الأدب ج٣ ص ٦٨ وانظر العصر العباسي الأول ص ٣١٥ .

(٣) العقد الفريد ج٥ ص ٣٣٥ .

(٤) مقدمة ديوان ابن هتيمل «اختيار العقيلي ص ١٣» .

مُقْنِع وإن لم توجد ضمن قصائد الديوان المرتب حسب الحروف الأبجدية للأسباب الآتية :

١ ـ أن للديوان نسخاً كثيرة متفرقة فربما سقطت هذه القصيدة أو غيرها من بعض النسخ .

٢ ـ أن إحدى النسختين اللتين بين يدي وهي : المأخوذة عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة والمنقولة عن مخطوطة اليمن، يقول ناسخها عند نهاية قصائد الديوان :

«تم الديوان الفريد بكرم الله وفضله، ويتلو ذلك ما وجد خارجا عن الديوان فمن حرف الهمزة قوله في مدح الصاحب بهاء الدين .....»[١] ولم نجد إلا حروف الهمزة والباء والدال . وإذاً فهناك شعر لابن هتيمل خارج الديوان مرتب على الحروف ربما تكون هذه القصيدة إحدى روائعه، وربما تكون قصيدته الوصفية ذات المطلع الرائع الذي يقول فيه :[٢]

يَميْسُ قوامُ الرُّمْحِ كالغُصْنِ هَكَذا   ومبسَمُـهُ البرَّاقُ يلمَعُ هكَذا

ربما تكون هي إحدى تلك الروائع المفقودة . وربما أتت قصيدته التي رثى بها الإمام أحمد بن الحسين التي يقول في مطلعها :

أَقْسَمْتُ أحلِفُ صادقاً وأنا الذي   ما قَطّ أحلِفُ آثماً بيميني
إنَّ الشجاعَةَ والسمَاحَةَ والنَّدىَ   حَلَّتْ بقَبْرٍ في رُبَا ذِيْبِيْنِ[٣]

ربما أتت دليلا على أن لابن هتيمل شعراً خارج الديوان المخطوط

---

(١) نسخة مصورة للديوان عن معهد المخطوطات العربية برقم (٣٠٤٩)توجد لدى الباحث.

(٢) القصيدة التي أتحفني بها أستاذي الشيخ محمد بن ناصر الحازمي المدرس بالمعهد العلمي بضمد وأحد علماء ضمد الأفاضل.

(٣) مخطوطة مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٣

وربما تكون هذه القصيدة وغيرها مما جاء خارج الديوان !!

٣ ـ ما وجدته في مطلع البدور ؛ فقد ترجم ابن أبي الرجال للإمام الهادي الذي عاش في القرن التاسع وأورد له أبياتا مدح بها العلامة : على محمد[1] البكري، وضمَّنَ في أحد أبيات القصيدة الشطر الأول من مطلع قصيدة ابن هتيمل حيث قال :

دعْ ذكر ما بالحمىٰ والبان والعلم — وعدِّ عن معهد بالأبرقين خلي[2]

وقدِّم الخوض في المقصود مبتدئاً — واعجل فقد خلق الانسان من عجل

وافَىٰ[3] نظامٌ بديع اللفظ محكمه — مُتَبَّرٌ صِيْنَ عن هزل وعن خطل

فقلت لما فضَضْتُ الختم عن مُلَحٍ — «اللَّهُ أكبرُ هذا منتهى أَمَلي»

ولا شك أن تضمين الإمام الهادي لأحد أشطر هذه القصيدة يؤكد قول صاحب مطلع البدور بأنها قصيدة مشهورة ؛ والإ لما تداولها الناس في القرن التاسع وضمنوها روائع أشعارهم . وبعد : فما الذي يمنع أن تكون هذه القصيدة من شعره الذي غرَّدَ به بعد أن أتم ترتيب ديوانه على الحروف الأبجدية ؟ فقد تكون موجودة في نسخ خطية أخرى لم تصل الينا بعد . وربما تسعفنا بها الأيام !!

---

(١) البكري: أحد علماء الصوفية في اليمن روي له صاحب مطلع البدور كرامات تذهل القاريء. والإمام الهادي كان معجباً بشعر ابن هتيمل فقد أشار إلي شعره وهناك قصيدة غراء تحكي (إذا جئت الغضا ولك السلامة). والشطر الأخير يمثل الشطر الأول من مطلع قصيدة لابن هتيمل يقول فيها:

إذا جئت الغضا ولكَ السّلَامَةْ — فطارحْ بالتحيّة رِيْمَ رَامَةْ

(٢) مطلع البدور الجزء الثالث مخطوطة غير مرقمة الصفحات .

(٣) في النسخة الخطية (أفاً) .

(هـ) الألفاظ والصور الشعبية في شعره

وشاعرنا متمكن من اللغة العربية، وأُقسم أني قد وقفت عند بعض مفرداته أيّاماً، وهو مع ذلك قد خلد لنا في شعره ألفاظاً وصوراً شعبية لا يزال معظمها حياً ومتداولاً في لهجات المنطقة حتى وقتنا هذا. وإن كان بعض تلك الألفاظ له وجود وأحياناً جذور بين مفردات اللغة العربية الفصحى، والحق أنه ليس ابن هتيمل وحده من شعراء المخلاف الذي نهج هذا النهج في الاحتفاء بلهجة قومه، وتخليد الأقرب منها إلى اللغة الفصيحة في شعره، بل إننا نجد من شعراء المنطقة من نحا هذا النحو، كالجراح [1] ابن شاجر الذروى مثلا، حيث توجد في ثنايا شعره هو الآخر ألفاظ وصور شعبية كثيرة [2].

وفي الأسطر التالية نعرض بعض النماذج لهذه الألفاظ والصور الشعبية التي تعتبر في تقديري جزءًا لا يتجزّأ من لهجتنا التي نتخاطب بها.

من أمثال قوله:

---

1) الجراح بن شاجر بن حسن الذروي الصَّبْيَانِي أحد شعراء المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري ينتمي إلى قبيلة الذروات الأشراف له ديوان شعر أغلبه في مدح جمال الدين المهدي بن أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين أورد أكثره القبي في الجواهر اللطاف واختار العقيلي من شعره ما سماه ديوانا نشره في الربع الأخير من القرن الرابع عشر وتوجد لدى الباحث صورة من ديوانه المخطوط، انظر الجواهر اللطاف ورقة ٢٦ وورقة ٩٩.

(٢) كلفظة «يطيح» الواردة في قوله:

فهنـــاك تم بهم وأمضى فيهم ... عزم يطيـــح بلملـــم وصفـــاء

إنْ طِبْتَ مِنْ دُونِهِمْ طعْماً فلا عَجَبٌ فالأرضُ ينبتُ فيهَا الكَرْمُ والدَّحقُ[١]

وقوله :

بكَ الرَّيْب[٢] قَدْ مَاتَتْ هُنَاكَ خَدِيجَةٌ وفَاطِمَـةٌ أمُّ الحُسَيْنِ ومَرْيَمُ

وقوله :

أَوَ مَارَأَيْتَ مَنَازِلَ ابْنَةِ مَالِكٍ حَطَّتْ[٣] فُؤَادَكَ مَوقِداً لِلْمُوْقِدِ

وقوله :

أَنَا مِنْ وَعِيدكَ والوُعُودِ أُحيـ ـصُ في صدْقٍ وكِذْبِ[٤]

وقوله :

لستُ بالمُقْرِفِ[٥] أُدْلِي نَسَبِي بامِرِيءِ القَيْسِ وجَدِّي دعبلُ

---

(١) الدحق نبات له ثمر مر المذاق يشبه طعم الحنظل وفي شكله يشبه صغار الحبحب والبيت في ص ١٧٥ من الجزء المطبوع .

(٢) بك الريب : عبارة للتوبيخ تستعمل وهو هنا يخاطب نفسه ليقول «لا تجزع فقد ماتت زوجة النبي عليه السلام خديجة وابنته فأطمة» والبيت في صفحة ٩٥ من المصدر نفسه .

(٣) حطت : معناها جعلت وصيرت ووضعت . والبيت في ص ١٧٩ من المصدر نفسه .

(٤) أحيص : أي أنه متورط لا يعرف مخرجا من ورطته . والبيت في ص ١٧٨ من المصدر نفسه .

(٥) نبهني الأستاذ الفاضل حسن القاضي . الأديب والشاعر المعروف والمدرس بمعهد جازان ووجدة العلميين إلى أن كلمة «مقرف» قد يكون مقصد الشاعر بها المعنى اللغوي الذي يورده صاحب القاموس المحيط (ص١٨٤ج٣) بأنه : الهجين وهو من أُمُّهُ عربية وأبوه غير ذلك لأن الإقراف يأتي من جهة الأم وقد عُدْتُ إلى لسان العرب فوجدته في الجزء الحادي عشر صفحة ١٨٧ يستعرض معاني كلمة مقرف على النحو الآتي :
إبل مقرفة بفتح الراء : أي مستجدة ـــ وقرفت الرجل : عبته فهو مقروف وقرف

وقولـه :

نبذوا الحفاظ فما ترى من ينقد الـ ـمنقود[١] أو من يعتب المعتوبا

وقوله مخاطباً ممدوحيه الذين يجعلهم ذهبا وبقية الناس نحاسا :

أيـن حال النـاس من حالكـم ليس صرف الصفر[٢] مثل الذهب

وقوله مخاطباً ممدوحه :

أغنيتني وخطوب الدهـر قد سحـتت[٣]
مالي، فلا سبـدي عنـد ولا لبـد

وكقوله أيضا :

وكيـف يبرد حَرِّي أو يبـوح جوىً
صدري وبين ضلوعـي جمرة تقـد

الرجل بسوء رماه. والمقرف بكسر الراء هو الـذي داني الهجنـة من الفـرس والمقرف من الخيـل : الهجين الـذي أمـه برذونـة وأبـوه عربي، والمقـرف : النـذل، وجه مقرف : أي غير حسن.
هذه بعض معانيها اللغويـة ولم أجدهـا بفتـح الراء على صيغـة اسم المفعول إلا في قولهم : إبل مقرفة «بمعنى مستجدة، وقرفت الرجـل : عبتـه فهـو مقـروف وقـد يكـون استعمـال الشاعـر لها على المعنى اللغوي وإن كان جل شعـر ابـن هتيمـل يميـل إلى السهولـة وعـدم الإغـراب ومع ذلك فلازالت كلمـة مقـرف بفتـح الـراء تستعمـل في لهجتنـا بمعنـى الـذي لا يعـرف الأصول ولا يحسن استعمـال الأشيـاء ولا يعـرف بواطنها ونتائجهـا .. وكأنـه غير الأصيـل/ والبـيـت في ص ١٨٣ من الجزء المطبوع من الديوان .

(١) المنقود : الأمر المذموم . والبيت في ص ١٦١ من المصدر نفسه .
(٢) الصفر : النحاس . والبيت في ص ٣٧ من المصدر نفسه .
(٣) سحتت مالي : أي ذهبت بكل ما معي ولم تبق لي شيئاً والبيت في ص ١٤٦ من المصدر نفسه .

وقوله :

أراشى[1] جفـــوني أن تنـــام وترعـــوي

دمـــوع أذاب الـــبين راقي جمودهـــا

وقوله :

ألـــنت ليَ الدنيـــا فهـــبت رياحهـــا

رخـــاء وكانت وهْـــيٰ ساكنـــة نكب

ومكنتنـــــي من درهـــا ولقـــد أرىٰ

ومـــا في يدي من در أَخلافهـــا شخب[2]

وكقوله :

إذَا شَارِفٌ[3] حنَّتْ مِنْ البِـــرْكِ[*] أُرزَمَتْ

حِذَاراً عَليـــهِ شَارِفٌ بعْـــدَ شَارِفِ

وقوله :

جَرَّبْتُ بعَـــدَكَ قَوْمـــاً لَوْ عَرَضْتَهُـــمُ

لِلْبَيْـــعِ بالمَـــاءِ وَسْطَ النِّيـــلِ مانَفَقُـــوا[4]

---

(١) راشاه : في لهجتنا بمعنى داعبه ودغدغ معاطفه . وهي في اللغة الفصيحة رشا الفرخ : إذا مَدَّ رأسه لينام والبيت في ص١٤٣ من المصدر نفسه .

(٢) شخب، في لهجتنا معناه : القبضة الواحدة من الحليب، وفي اللغة لا يبعد عن هذا المعنى، ففي المثل العربي : «شخب في الأرض وشخب في الإناء» . ومعناه الحلب . والبيتان في ص ١٣٣ من المصدر نفسه .

(*) البرك : بكسر الباء وسكون الراء وهي بلدة ساحلية سبقت الإشارة اليها .

(٣) شارف : معناها في لهجتنا : الناقة أي ناقة وهي في اللغة «الناقة المسنة الهرمة» والبيت في ص ٩٣ من المصدر نفسه .

(٤) نفقوا : نفق معناها في لهجتنا: يبيع على الآخرين ومعناها في اللغة الفصيحة «نفق البيع راج» والبيت في ص ١٧٥ من المصدر نفسه .

ولعل بعض المتعجلين في الحكم يظن حين قراءة هذه النماذج أن شاعرنا قد أعوزته ثقافته اللغوية، فلجأ إلى الألفاظ المبتذلة أو العامية، واستعاض بها عن الفخامة والجزالة التي يميل إليها بعض شعراء العربية، ولكنني أطمئن هؤلاء أن شاعرنا يعد شعره قاموسا لمفردات اللغة العربية، وبين طيات شعره مئات الألفاظ التي لا نستطيع هضمها أو إدراك جمالها إلا بالرجوع إلى قواميس اللغة وكتب البلغاء ذلك لأنه يراعى في شعره أحوال من يكتب لهم فيأتي بما يناسب مستوياتهم.

وكان بودي أن أعرض الكثير من النماذج التي تتضح فيها جزالة الشاعر وفحولته وإحاطته بأوابد اللغة وشواردها، ولكن الرغبة في الاختصار والرغبة في عدم الإطالة لم يسمحا لي بذلك وسأكتفي بإيراد نموذج واحد، تاركا للمتتبع فرصة الاستمتاع بتلك الشوارد في مظانها بين أنغامه الشعرية العذبة .. وإليكم النموذج المختار :

قال في رثاء القاسم بن علي الذروي :

أُرُكْبَانَ رِسْلَاتٍ[١] خِفَافٍ خِفَافُهَا[٢] طِوَالٍ مَثَانِيْهَا[٣] دَوامٍ أُنُوفُهَا[٤]

بَرَىٰ نحضَهَا[٥] طُولُ السُّرَىٰ فَكَأَنَّهَا عَرَاجِيْنُ[٦] نَخْلٍ مَالَ عنهنَّ رِيْفُهَا[٧]

---

(١) رسلات القوم : طوالها .

(٢) خفاف خفافها : ليست بالثقيلة التي تسبب بطء السير وتعثره .

(٣) مثانيها : المثاني : الحبل الذي يربط بالزمام ويوصل بحبل الناقة السابقة لها .

(٤) دوام أنوفها : كناية عن مواصلة السير واستمراره .

(٥) نحضها : لحمها أي أزال لحمها مواصلة السير وكثرته .

(٦) عراجين : العرجون هو عود النخلة القديم قال تعالي : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ .

(٧) مال عنهن ريفها : زال عن أعواد النخل أوراقه ورؤاه ونعومته .

تُوَاهِقُ[1] هُوْجَ الذَّارِيَاتِ[2] كأنَّمَا زَفِيفُ[3] الرِّئَالِ النَّافِرَاتِ زَفِيفُهَا

إِذَا ذَكَرتْ فِي سفْحِ عَكْوَة[4] خَيْمَةً شأَ[5] البرقَ سَبْقاً مَعْجُهَا[6] ووحِيْفُهَا[7]

لِمَنْ تَخِذُونَ اليَعْمَلَاتِ[8] وَمَنْ لَكُمْ إِذَا الحَرْجَفُ[9] النَّكْبَاءُ شَفَّ شَفِيْفُهَا؟

قِفُوهَا ولَوْ قَدْرَ الفَوَاقِ، فَرُبَّمَا أَرَاحَ عليهَا بعضَ شيءٍ وُقُوفُهَا[10]

ويستمر على هذا المنوال يوغل بنا في متاهات الإغراب ومجاهل اللغة . أقول ذلك وأنا على يقين من أن كثيرين ممن ستتاح لهم قراءة هذه الأبيات لن يدركوا عن أي شيء كان يتحدث الشاعر ولن يفهموا ذلك إلا بالرجوع إلى قواميس اللغة، لفك رموز تلك الألفاظ وتوضيح غامضها ...

وليس معنى هذا أن شاعرنا كان مغربا في شعره، لا يفهمه إلا الخاصة، كلا . فشاعرنا كان يخاطب كل الفئات، لذلك نجده تارة يختار الألفاظ الجزلة الفخمة وتارة يدنو من مستوى العامة فيخاطبهم بلغة شاعرية قريبة إلى

---

(١) تواهق : تساير وتسابق قال في القاموس «تواهقوا» : استووا في الفعال : تسايروا .

(٢) هوج الذاريات : الذاريات : الرياح وتوصف بالهوج إذا اشتدت .

(٣) زفيف الرئال : زفيف : تفزيع، الرئال : أفراخ النعام المفزع.

(٤) عكوة أو العكوتان : جبلان صغيران شمال وادي صبيا .. ويراهما المسافر شرق مدينة صبيا، إذا حاذاهما من جهة الغرب، ويقصد الشاعر بسفح عكوة : مدينة الزرائب المنقرضة والتي كان يتخذها ممدوحه مقرا .

(٥) شأ البرق : سبقه. وقد وردت بهذا الشكل في النسخة الخطية ولعل صحة خطها (شأى) .

(٦) معجها : عدو النياق يمينا وشمالا كناية عن شدة سرعتها .

(٧) وحيفها : سرعتها .

(٨) اليعملات : النياق المسنة .

(٩) الحرجف : الريح الشديدة .

(١٠) الأبيات في ص ٩٠ ــ ٩١ من الجزء المطبوع من الديوان .

مداركهم وأفهامهم وهو بذلك يطابق مستوى الأحوال ، ويعطي لكل مقام مقالاً .

ولنعد الآن إلى النص وبين أيدينا قبس من المعجم يضيء لنا أدغاله، فالشاعر يسير هنا على طريقة المتقدمين ، فيصف النياق التي تحمل مريدي فضل ممدوحه ويبدأ في وصفها من أخفافها . فهي ليست خشنة ثقيلة حتى تسبب لها تعثرا في السير أو إبطاءً ، وقوائمها طوال، لذلك كانت خطواتها سريعة ومتباعدة من أجل ذلك أطيلت الحبال التي تثنىٰ بها فتوصل بسابقاتها ... وهي لكثرة سيرها واستمرارها فيه قد دميت أنوفها ، ونحلت أجسامها ، حتى سارت تشبه عود النخلة القديم الذي ذهبت خضرته وتساقطت أوراقه وجف رواءه، وهي مع ذلك تسابق الرياح الهوج فتسبقها ، وكأنها فراخ النعام الذي فُزِّع من مأمنه فهب مذعورا ، فسرعتها في سيرها تشبه سرعة أفرخ النعام المفزوع، وكلما تذكرت خيمة الممدوح الموجودة في سفح «عكوة» (*) أسرعت في سيرها ، حتىَ أعجزت في عدوها السريع ساري البرَق، فلم يستطع اللحاق بها ، وفي الختام يشفق عليها من مواصلة السير المنهك فيطلب من حداتها أن يوقفوها للراحة ولو مقدار الوقت القصير بين الحلْبتين لأن ذلك ربما يعيد إليها النشاط، ويريحها من بعض ما تعانيه من سيرها السريع المتواصل .

على أنني أعود فأذكرٍ أن هذه الأبيات قدم بها ابن هتيمل مرثيته في أمير المخلاف السليماني في القرن السابع القاسم بن علي الذروي حيث قال بعدها :

(*) عكوة : أحد جبيلن صغيرين غير مأهولين يقعان شمال شرق مدينة صبيا ببضع أميال وقد سبقت الإشارة إليهما .

رُوَيْداً أَيَاذَا الـرَّكْبِ قَاسِمَ قُدْنَـهُ   حُتُوْفُ الْمَنَايَا لَابَقِيْنَ حُتُوْفُهَـا[١]

وبعد : فهـذه الأبيـات الستـة نَقَلْنَا فيها ابن هتيمل كما رأينا إلى جزالة المتنبـي [٢] وإغـراب الفـرزدق وفحولـة أبي تمام ... فاضطرنـا فيها إلى

(١) المصدر السابق ص ٩١ .

(٢) وبمناسبة ذكر المتنبي : فلقد مرت بي أبيات لشاعرنا ابن هتيمل يعاتب فيها ممدوحه الملك المظفر حين أكرم بعض أدعياء الشعر في عصره وأين هم من أدعياء الشعر في عصرنا؟ فذكرني ذلك بموقف مشابه لأبي الطيب المتنبي : يقول ابن هتيمل في هذا المعنى ص ٨١ من الجزء المطبوع من ديوانه :

لك الخير فعل الخير في غير أهله	لعمرك فعل غرسهُ غير مثمر
فلا تطعم الغربان طعمة أجدل	وتعطي ضباع الشعر حظ الغضنفر
وانك إن أهملتني أو تناسخت	عليّ الليالي من سنين أوشهر
أتاك وإن كنت الغنيّ عن الذي	يجيئك تفويف الصناع المحبر
من اللاء ماغنَّىٰ الوليد «ابن بلبل»	بهن ولم يخلع على ابن المدبر

وقبله قال المتنبي :

إذا الجود أعطى الناس ما أنت مالك	فلا تعطين الناس ما أنا قائل
أفي كل يوم تحت ضبني شويعر	ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عاذل	وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وما التيه طبي فيهم غير أنني	بغيض إليّ الجاهل المتعاقل
وأكبر تيهي أنني بك واثق	وأكثر مالي أنني لك آمل
لعل لسيف الدولة القرم هبة	يعيش بها حق ويهلك باطل

انظر ديوان المتنبي ج١ ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧ .

وقال أيضاً في موقف آخر :

يرومون شأوي في الكلام وإنما	يحاكي الفتى فيما خلا المنطق القرد
فهم في جموع لا يراها ابن دأية	وهم في ضجيج لا يحس به الخلد
ومني استفاد الناس كل غريبة	فجازوا بترك الذم إن لم يكن حمد

انظر ديوان المتنبي ج٤ ص ١١٠ تحقيق البرقوقي .

استصحاب المعجم ولولا ذلك لما استطعنا إدراك المعاني والأفكار التي ذهب إليها .

ولئن كانت معانيه في هذه الأبيات قديمة ومتداولة ، إلا أنه قد جدد في دمجه بين أشواقه وأشواق نياقه للقاء الممدوح ؛ فهي تبادله الشعور وتسابقه شوقا للقاء ممدوحه لذلك فهي كلما ذكرت خيمة ممدوحه جدت في السير حتىٰ سبقت هوج الرياح وساري البرق تطلعا للقاء الممدوح .

(و) أثر البيئة في شعره

« التعبير الذي يلقي المعنى مجرداً يخاطب الذهن وحده ... والتعبير الذي يرسم للمعنى صورة وظلا يخاطب الحس والوجدان » (١).

بهذه العبارة القصيرة أجمل المرحوم سيد قطب ما يكتب عنه دارسو الأدب الصفحات الطوال والدراسات المطولة ، أجل فمتى استطاع الشاعر أن يخلع الحياة وتبادل العواطف على ما حوله من أشجار وأزهار ... وخيول وجمال .... وكثبان ورياح .... فيجعل بعضها أو جلها تشاركه أفراحه وأتراحه ، متى استطاع الشاعر ذلك ، استطاع أن يخاطب في القاريء الحس والوجدان والمشاعر .... وهذا ما اصطلح على تسميته : «بالطبيعة في الشعر» (فهو الشعر الذي يمثل الطبيعة أو بعض ما اشتملت عليه) (٢).

وقد يستريح الشاعر إلى الطبيعة لأنها هواء عليل وظل ظليل، ومهاد وثير، وهي إلى جانب هذا وذلك قلب نابض ، وحَياة شاملة ، وعواطف سامية ترضي حاجة القلب إلى المتعة بالجمال الذي بثته يد الخالق العظيم في ألوان الطبيعة الساحرة بأطيارها وأزهارها ونسماتها العاطرة .

ولقد عُرفت الطبيعة في الشعر العربي منذ عصوره الأولىٰ ، عُرفت كعنصر فعّال من عناصر نموه وازدهاره، وبث الحياة فيه . عرفها تشحذ العقول وتنمي المواهب، وعرفها توحي بالصور وتلهم بالمعاني، كما عرفها تسمو بالعواطف وتهذب الحواس الشفافة ، فتلونها بلونها ، وتصبغها بصبغتها ، فتحيلها إلى جزء منها لا يريم عنها ، ومن هنا قالوا : « الشاعر ابن

---

(١) كتب وشخصيات . / لسيد قطب .

(٢) شعر الطبيعة في الأدب العربي لسيد نوفل ص ٢٣ .

(٣) عرفت في شعر امريء القيس ــ كما عرفت في شعر عنترة وشعر علقمة وزهير وعبيد بن الأبرص كما عرفت في شعر الصعاليك .
(انظر كتاب شعر الطبيعة في الأدب العربي) تجد نماذج لذلك لا تخطئها العين .

بيئته » وشاعرنا القاسم بن علي بن هتيمل يأتي في طليعة أولئك الشعراء الذين تأثروا بالطبيعة ، وأثروا بها شعرهم فجاءت معظم قصائده حدائق ذات بهجة ، وخمائل ازدانت بألوان الثمار، وشتى الأزهار . ولعلنا حين نستعرض بعض نماذج من شعره نلمس شدة ولعه بالطبيعة ومشاركته إياها ، وتمازجه معها ، وما أحلى أحاديث الشاعر عن مراتع صباه ومأوى خلانه ، تجده يستعذب أخبار رياضها التي ترف باخضرار ونضارة، وظلها الذي يشبه الكواكب وقد ازينت به نباتاتها وزهورها . وإذا ما هب النسيم على روابيها، نشر العطر الفواح من شميم الشيح والحوذان والرند فكأن المسك والعنبر قد جمعا :

أَعِدْ لِي أَحادِيثَ العذيْبِ وكَرِّرِ	وهاتِ لَنا عنْ حاجرٍ ومُحَجَّرِ[1]
وكيفَ اللِّوىٰ مِنْ بَعدِنا؟ أَرِياضُهُ	تَرِفُّ بَرقْرَاقِ النَّضارَةِ أَخضرِ؟
يَظَلُّ يُنَاغِي الشَّمسَ لُؤْلُؤُ طَلِّهِ	بأَبْيَضَ في أَحْوىٰ النَّباتِ وأَصفَرِ
كأنَّ ذهَابَ المُزْنِ نَمْنَمَ فَوْقَهُ	سبَائِبَ[2] مروٍ أَوْ درَانِكَ[3] عبْقَرِ

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١١٧ .

(٢) سبوب وسبائب وسبيبات : الحبل والخمار والعمامة والوتد . وشقة رقيقة كالسبيبة ورد في لسان العرب لابن منظور ج١ ص ٤٣٨ : السبب : الثوب الرقيق وجمعه أيضا سبوب. وفي الحديث: «ليس في السبوب زكاة» وهي الثياب الرقاق .

ويقول : والسبب : الستر .. والسبب : الخمار . والسبب : العمامة . والسبب: شقة كتاب رقيقة. والسبيبة مثله، والجمع السبوب والسبائب .. وعليه قولهم

ونسجت لوامع الحرير سبائبا كسرق الحرير

(٣) درانك : ثياب تستخدم ستورا وفرشا فيها صفرة وخضرة كما ذكر صاحب القاموس المحيط ج٣ ص ٣٠١ .

قال صاحب لسان العرب : الدرانيك ضرب من الثياب أو البسط له خمل قصير كخمل المناديل وبه تشبه فروة البعير والأسد .

وعليه قول رؤبة :

جعد الدرانيك فل الاجلاد كأنه مختضب في أجساد

إذَا مَا النَّسِيمُ الرَّطْبُ صافَحَ تُرْبَهُ ... تَعَطَّرَ منْ حوذَانِه المُتَعَطِّرُ
وَهَلْ مِنْ شَمِيْمِ الشِّيْحِ وَالرَّنْدِ نَفْحَةٌ ... مُمَسَّكَةٌ في طيِّ نَشْرٍ مُعَنْبَرِ

وارتباطه بطبيعة بلاده لا يماثله ارتباط، فهو يفضلها على مجالي الطبيعة أياً كانت ولا يرى لها مثيلا في حسنها وجمالها، فهو لا يستعيض عن جمالها بأي جمال .

فَمَا عاضَنِي في بَانَةِ الرَّمْلِ عَائِضٌ ... وَلَا سرَّنِي بَعْدَ الكَثِيْبِ كَثِيْبُ[١]

ويحن إلى مجالي الطبيعة في مرابعها ، ويجد في إلمامه ببعضها إطفاء لما تكنه جوانحه من لواعج الشوق وتراه يسأل ــ بكيف .. وما .. يتساءل عن جبال الأبرقين وشيحها ذي الذوائب الراقصة، ويسأل عن نجد وعن نسيمه ، وعن خزاماه، ويشبِّه حنينه إلى مجالي الطبيعة ومفاتنها بحنين الابل العطاش حين ترد المنهل بعد ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة .

وكَيْفَ جبالُ الأبْرقِيْنِ أَشِينحُهَا ... ذَوَائِبُهُ تَهْفُو عَلَىٰ عذَبِ الوَرْدِ[٢]
وَمَا حَالُ نَجْديُّ النَّسِيْمِ وَمَا رَوىٰ ... خُزَامَاهُ عنْ نَجْدٍ وعنْ سَاكِنِي نَجْدِ
فَرُبتَمَا أُطْفَأْتُمَا مِنْ جَوَانِحِي ... بِشَمٍّ رِيَاحَ القُرْبِ مَعْمَعَةَ البُعْدِ
أَحِنُّ إلىٰ الرَّمْلِ العَقِيْقِيِّ واللِّوىٰ ... لِوَاهُ حَنِينَ الخامِسَاتِ إلىٰ الوِرْدِ

ويهتف حين يشاهد بعض أحبابه من ألوان الطبيعة فيعبر باسم الإشارة «ذاك» مغتبطا أجل هذا هو الأثل والبان ــ والأراك والشيح والحوذان :

ذاكَ العقيقُ وَذَاكَ الأَثْلُ والبَانُ ... فَسَلْ أُولٰك عن الحَيِّ الذي بانُوا[٣]
هلِ الأَرَاكُ إذَا مَرَّ النَّسيمُ بِهِ ... تَعَانَقَتْ منْهُ أَغْصَانٌ وأَغصَانُ؟
وهلْ عنِ الشِّيحِ والحُوذَانِ لي بَدَلٌ ... بالشِّيحِ شيحٌ وبالحوذَانِ حوذَانُ؟

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٧٧ .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ٥٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٨ .

وأحيانا يخصص أثلا معينا له في نفسه ذكريات، فيحن إليه، ويتساءل عنه في لهفة كما نراه يتساءل عن أثل الواسط الذي كان مقيلا لأحبابه ... ومكان اجتماعه بخلانه

هِلِ الأَثَلاتُ اللاَّءِ غربيَّ وَاسِطٍ نَواعِمُ خُضْرٌ مَا بِهِنَّ ذُبُولُ[1]
وهَلْ هُنَّ غَضَّاتٌ كأَنَّ فُروعَهَا فُرُوعُ العَذَارَىٰ ظِلُّهُنَّ ظَلِيْلُ
فَقَدْ طَالَمَا أَمْسَتْ وظَلَّتْ ودَوحُهَا مَبيْتٌ لغِزْلَانِ الحِمىٰ وَمَقِيْلُ

ولا غرابة في هتافه هذا فالنعيم المقيم في نظر شاعرنا لا يتم إلا إذا هبت الريح الجنوبية المعروفة بالنعامىٰ ، فهي تأتي وقد حملت في ثناياها عبير الزهور وأنفاس الخزامىٰ وشميم الشيح لذلك سمعناه يقرر :[2]

نَعيمُكَ ما أَتَتْكَ بِهِ النُّعَامَىٰ[3] وما شَرَحَتْهُ أَنفَاسُ الخُزَامَىٰ
وَمَا ذَكَرَ النَّسيمُ الرَّطْبُ عنْ مَنْ تَرَحَّلَ عنْ أرامَ ومَنْ أَقَامَا
أهْلُ شيحُ العَمِيْمِ[4] يَمِيْسُ تِيْهاً ذَوائِبُهُ وهَلْ سقىَ الغمَامَا؟

ويزاد به شغفه فيتساءل في وله وهيام :

أمُحَدِّثي بالرَّمْلِ هلْ منْ نُبْذَةٍ فِيْمَا رَوَيْتَ عَنِ البَشَامِ المُوْرِقِ
مِنْ مائِهِ الصَّافِي النَّمِيرِ وظلّه الضَّـ ـافِي الظليلِ وطلّهِ المُتَرقْرِقِ[5]

لا غرابة في هتافه فحنينه إلى مجالي الطبيعة بلغ به مرحلة تجاوزت الْوَلَه حتى صار يعانق بعض الغصون لفرط صبابته ووجده :

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٦ .

(٣) النعامىٰ : قال صاحب الصحاح : هي الريح الجنوبية لأنها أَبَلُّ الريح .

(٤) العميم : قرية منقرضة على أنقاضها في عصرنا الحالي حيّ صغير يعتبر أحد أحياء مدينة ضمد .. وتسمى حلة النجار (أو حي الروضة) .

(٥) مخطوطة الديوان .

أَحِنُّ إلَى الكَثِـيْبِ وَمَـا أرانِـي ... تَرىٰ عَيْنَـاي ذَيَّـاكَ الكَثِيْبَـا[1]
وأَعتنِقُ الـقَضِيْبَ اللّـدْنَ رَطْبـاً ... حَكَـىٰ في بَرْدِ عاتكـة القَضِيْبَـا

ويستأثر بالشاعر فرط الحنين إلى مجالي الطبيعة الساحرة فيتساءل في لهفة واشتياق عن سرحة الوادي الفينانة وعن نفحات الشيح والحوذان، وعن الأثلات التي ترقص ذوائبها الخضراء كلما راقصتها الرياح الندية :

هلْ سَرْحةُ الْوَادِي عَلىٰ عَهْدِي بِهَا ... مُخْضَرَّةُ الأفْنَـانِ والأغْصَانِ[2]
وهَلِ النَّسِيمُ الرَّطْبُ يحمِلُ ذَيْلَـهُ ... نَفَحَـاتِ ذَاكَ الشيِّـجِ والْحَـوْذَانِ
وذَوَائِبُ الأثـلاتِ تَرْقُصُ إنْ هَفَتْ ... مَرْضَىٰ الرِّيَاحِ بهَا عَلَىٰ الغُـدْرَانِ

ويزدادُ حنينه فيترجَّىٰ أَنْ تَهبّ الرياح شمالية كانت أم جنوبية، المهم أن تحمل في طياتها غمائم يسقى مطرها كثبان العميم، فيتحول نسيمها إلى نشر يفوق الطيب بل يكون له طيبا :

لَعـلَّ الرِّيـحَ إنْ بَكَـرَتْ هُبُوبَـا ... وإنْ غَبَـرَتْ شَمَـالاً أَوْ جَنُوبَـا[3]
تَسُوقُ إلى العَمِيـمِ من الغَـوَادِي ... غَمائِـمَ كَيْ تَشُقَّ بِهَـا الجُيُوبَـا
وتحمِـلُ مِنْ شَمَيـمِ الرِّيـحِ نَشْراً ... يَكُـونُ نَسيمُـهُ للطِّـيبِ طِيبَـا

ولا غرابة في اندماج شاعرنا مع عناصر الطبيعة الجميلة فهي تشاركه أفراحه فيبكي على فراق الحبيب :

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٠، ابن هتيمل في هذا البيت يشير إلى الرياح الموسمية التي تسمى في جهته (غبر) وهي التي تهب في أيام الصيف على تهامة وفي هذا البيت نجد نفساً من روح مسلم بن الوليد حين قال :
أحب الـريح ما هبت شمالاً ... وأحسدهـا إذا هبت جنوبـاً
انظر ص ٢٦٢ من كتاب الشعر والشعراء لمصطفى الشكعة .

بَكَرَ الغَمَامُ عَلَيْكَ يَبْكِي دَائِماً فَتَسِحُّ أَدْمُعُـهُ وَيَضْحَكُ بارِقـاً[1]
وَسَرَىٰ البَشَامُ إِلـيك يَنْـفُضُ مَرَّةً عَذْبَ البَشَامِ عَلـىٰ تُرابِكَ خافِقـاً

وشاعرنا في الأبيات الآتية يجاري شعراء الطبيعة الأندلسيين في مشاركة الطبيعة وبثها همومه علها تشاركه المعاناة وتخفف عنه الآلام كما فعل حين شكا إلى النسيم فتحمل عنه النسيم شكايته بإشفاق شديد :

وإِذَا شَكَوتُ إِلىٰ النَّسِيمِ هُبُوبَـهُ حَمَلَ الشِّكَايَةَ مُشْفِقاً وهُبُوبَـا[2]

ولا يكتفي بمشاركة الطبيعة والتحامه معها وبثها همومه فنراه يتساءل عنها في إشفاق ويستنشق أخبار الأحباب من أثل وكثبان يتمنى لها السقيا .

أَجِيْرَانَ وَادِي الأَثْلِ مَافَعَـلَ الأَثْلُ؟ وَمَا عِلْمُكُمْ بِالرَّمْلِ هل سُقِيَ[3] الرَّمْلُ؟

وحين لا تجديه المشاركة والشكوى شيئاً ، نسمعه يناجي بعض عناصر الطبيعة سائلا إياها عن أخبار بقية الأحباب من البشام والخيام ، ولقد جد به النوى وزادت به لواعج الشوق ، وحتى ناقته تشاركه هذا الحنين فترزم وتحن حين يمتطيها ويتجه بها نحو الديار :

يَانَسِيـمَ الأَسْحَـارِ فيكَ شَمِيْـمٌ من بَشامِ اللِّوىٰ فَكَيْـفَ البَشَامُ؟[4]
أعقيـق اللِّـوىٰ عقِيْـقُ اللِّـوىٰ والْـ ـعَلَـمُ الفَـرْدُ والخِيَـامُ الخَيَـامُ؟

وتمتد به لهفة التساؤل فينشد :

أَمُخَبِّـري أَرَأَيْتَ سَفْـحَ الرَّمْـلِ سَفْـ ـحَ الرَّمْـلِ بَعْدَهُـمُ وَبَـارِقَ بَارِقـا[5]

---

(١) مخطوطة الديوان .
(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٦١ .
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ٦٩ .
(٤) المصدر نفسه ص ٧٣ .
(٥) مخطوطة الديوان .

والبـــانُ كيـــفَ رَأيْتَـــهُ؟ أَرَأَيْتَـــهُ   مُتَرَنِّحـــاً مُتَمَايِـــلاً مُتَعَانِقـــاً

ولن يمل التساؤل عن النسيم جنوبه وشماله فللنسيم عند شاعرنا مهامٌ يؤديها في رحلته اليومية من أهمها نقل رسائل الأحباب فهو لذلك يصافحه ويبثه حديث المحب الهيمان ولذلك نسمعه يشير :

عَسَىٰ خَبَـرٌ عَنِ الـرَّشَأ الرَّبِـيْـبِ   أَتَـىٰ في طَيِّ باكِـرَةِ الجَنُـوبِ[1]
رَسَائِـلُ مَا تَزَالُ الرِّيـحُ تَهْـوِي   بِهِنَّ مِنَ المُحِبِّ إلـىٰ الحَبِـيْـبِ
أُصَافِحُهَــا إذَا نَثَّتْ حَديثـــاً   تُتَرْجِمُــهُ بِزَمْزَمَــةِ الهُبُــوبِ

وإذا كان عنترة العبسي قد شارك فرسه آلامه، وعبّر عن معاناته حين قال : (وشكا إليَّ بعبرة وتحمحم) فشاعرنا يشارك ناقته آمالها وآلامها حين يقول :

مَالَنَــا يارِفَــاقُ زَعْزَعَنَــا الشَّوقُ   ولِلْعِـــيْسِ تَحْتَنَـــا إرْزَامُ؟[5]

وحين يقول :

وَلَا تُرِهَــا أَثْــلَ البَدِيــعِ فإنَّهَــا   تَحِنُّ إلَىٰ أَثْلِ البَدِيْــعِ وَتُــرْزِمُ[3]

ويتوسل إلى النسيم أن يكف عن الهبوب بعد أن يقضي الشاعر نحبه [4] ويرجوه أن لا ينفض عذب البشام وأزهاره إلا على ضفاف غدير عذب :

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص٣٧

(٢) العيس:المطايا من الابل والبيت في ص٧٣من جزء الديوان المطبوع

(٣) الجزء المطبوع ص١٨١ وانظر الأخير في مخطوطة اليمن (تحن لمأثول البديع وترزم)

(٤) لعله يحاكي أبا فراس الحمداني في قوله :
معللتي بالوصل والموت دونه   إذامت ظمآنا فلا نزل القطر
والبيت في ص٧٣ من الجزءالمطبوع .

أُوْصِيْكِ يارِيـــحَ الجَنُــوبِ إذَا قضيتُ الآنَ نَحْبِـــيْ[١]
لَا تَنْـفُضِيْ عَذْبَ الـبَشَامِ عَلـى غديـرٍ غَيـرِ عَذْبِ

وحنين شاعرنا لمجالي الطبيعة لا ينتهي ، تشاركه هذا الحنين نياقه فهي تحن كلما بدت لها الديار :

مُحَدِّثَتِي بالرَّمْـلِ مَنْ لِي لَو انَّنِـي ظَفِـرْتُ بأُدْنـى بَلَّـةٍ مِنْ بلَالِـهِ[٢]
وهـلْ أَيْكُ ذَاكَ الشِّعْبِ بَرْدُ ظِلالِـهُ عَلىٰ عَهـدِ مَنْ أَهْـوَاهُ بَردُ ظِلَالِـهِ
أما نفحـةٌ تُهْدِينَهَـا مِنْ جَنُوبِـهِ إلى كَبِـدِي أَوْ نَفْحـةٌ من شِمالِـهِ
أأَمْنَعُ نِضْوِي[٣] أَنْ يَحِنَّ وقـدْ بَدَتْ جبـالُ النَّقَـا مِنْ عَالِـجٍ ورمالِـهِ

ولعل الدهشة تشدنا حين نجد ابن هتيمل يشرك إبله حتى في الحزن على فقيده فإذا حنت إحداها ، أَرْزَمَتْ البقية ، حتى لم تبق منها شارف لا تردد الحنين حتى تجش أصواتها من شدة الترجيع والحنين والإرزام :

إذَا شَارِفٌ حَنَّتْ مِنَ البِرْكِ[*] أَرْزَمَتْ حِذَاراً عليه شَارِفٌ بعـدَ شَارِفِ[٤]
فرجَّعْـنَ من بُحٍّ كَأَنَّ حنينَهَـا تَزَمجُرُ رَعْـدٍ في الغَمَامـةِ قَاصِفِ

وقد ندرك في المقطوعة التالية أو الأرجوزة مدى انصهاره واندماجه في حب الطبيعة ، وتفاعله معها فهو يُحمِّل نياقه مسئولية الحنين ويشاركها ذوبها الوجداني ، حين تتلفت بأعناقها يمنة ويسرة ، وحين تصور بعيونها في مجاليها بحثاً عن أسرار الروعة :

كِلْهَـا إلى التَّرْجِيْـعِ في حَنِيْنِهَـا لَعلَّهَـا تَنْـزِعُ عَنْ جُنُونِهَـا[٥]

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص١٧٨ .
(٢) مخطوطة الديوان .
(٣) نضوي :بعيري .
(*) البرك:بكسر الباء وسكون الراء بلدة ساحلية سبقت الإشارة الي موقعها.
(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ٩٣ .
(٥) مخطوطة الديوان .

واسمحْ بحمْلِ الثِّقْــل عن ظُهورِهَــا	تَحــلُّ ثقْــلَ الغــلِّ عنْ بُطُونِهَــا
حَسبُ الحَنَيــنِ أَنَّهــا بِرَامَـــةٍ	يَعْجِــلُ أن تَحْنُــو على حَنِيْنِهَــا
قَدْ غَلَبَ الشَّوقُ عَلــىٰ حِرَانِهَــا	فَآضَ لا يَنْساغُ في حَرِيْنِهَــا
أَلا تَرَاهَــا إِنْ رَأَتْ بانَ اللِّــوىٰ	تَكَــادُ أَنْ تَسْلُسَ منْ وَصِيْنِهَــا(1)
ما بَرِحَتْ تَلْــفتُ مِنْ أَعْنَاقِهَــا	إليــهِ أو تَصُورُ منْ عُيُونِهَــا(2)

نياقه أيضاً تشاركه التذكر والحنين ، فتراه يقودها قسرا إلى ديار الأحبة فإذا ما تذكرت أيكة الملتف ، وماءه السلسبيل، زاد حنينها وشهيقها :

لهَــا حَنيــنٌ ولَهَــا شَهِيــقٌ	ما يَنْــقضِي إنْ ذُكِــرَ العَقيــقُ(3)
فَخلِّيَاهَـــا فالهوىٰ يَقُودُهَــا	إلــىٰ العَقِيــقِ والهوىٰ يَسُوقُ
يَلْوِي اللِّــوىٰ أَعنَاقَهَــا صَاعــدِةً	إنْ أَوْمَضَتْ في الأَبْــرَقِ البُــرُوْقُ
مرنّحــاتٍ كُلَّمَــا تَرنَّــحَتْ	في الرَّمْــلِ بانَــاتٌ عليــه رُوْقُ
هَيْهَــاتَ لا تَحمِلُهَــا عنْ اللِّــوىٰ	إلى سِوَاهُ أذرُعٌ وسُوقُ
أَمَاؤُهــا السَّلْسَل حنَّت طَربــاً؟	لِوِرْدِهِ أمْ أَيْكُهَــا الوَرِيْــقُ؟

تلكِ هي جل مجالي الطبيعة في بلاد ابن هتيمل من أثــل ، وأراك ، ومرخٍ وَبشَامٍ وبانٍ ، وورودٍ ، وريحانٍ ، يعبث بها النسيم ويحرك أغصانها اللدنة على ضفاف الغدران، فتبعث في نفسه الشاعرة وَلَهَهُ ووجده ، فيتحرك وجدانه ليشاركها أفراحه وأتراحه ، ويبثها أحيانا أحزانه علها تخفف عنه بعض معاناته ، ولو كان للطبيعة في بلاده ظواهر أخرى غير الكثبان وغير ما بثه

---

(١) وصينها : مكان علفها ومرعاها ، يقال : وصن النبت: اتصل وكثر . (أساس البلاغة ص ٦٧٩) والمعنى تكاد تهجر نباتها شوقاً .

(٢) تصور من عيونها : في عنقه صورة : ميل وعوج ، يقال رجل أصور وهو أصور إلى كذا إذا مال عنقه ووجهه إليه . أساس البلاغة للزمخشري ص ٣٦٤ .

(٣) مخطوطة الديوان .

لواعجه من أشجار وأزهار وأطيار تعج بها طبيعة بلاده مما أشرنا إليه آنفا لقرأنا لابن هتيمل وصفا لتلك الظواهر يحييها فيه ويناجيها ويبثها الحياة ... ولكنها طبيعة بلاده المخلاف السليماني ولا أثر لطبيعة أي بلاد زارها أو مدح ولاتها أو اتصل بهم سواها وحدها فقط هي مصدر إلهامه ومسرح خيالاته ...

(ز) نجد وصباها في شعر ابن هتيمل

كانت نجد وصباها مازالت ملهمة الشعراء ، ومسرح خيالاتهم ، ومنتدى أحلامهم ، ومرتع أفكارهم، والمجال الخصب لروائع صورهم ، يحرك صباها وجداناتهم ويتغلغل صفاؤها في مشاعرهم، فيحنون إلى رياضها يتفيأون ظلال ضالها وسلمها ويستروحون شميم عرارها ، ويسترجعون عبير شيحها وخزامها وحوذانها، فيسكبون ذلك وغيره من مفردات طبيعة حسنائهم شعرا يتدفق جمالاً، يأخذ بمجامع الألباب، ويحلو لهم ذكرها في غزلهم قبل ذكر الحبيبة ، ويَتَرَنَّمُوْنَ به في حنينهم سجعا كسجع قماريها ، وترجيعا كترجيع هيمها ، وهمسا كهمس نسيمها ، وقد يضيق بنا المقام لو حاولنا استعراض بعض ما أوحت به نجد إلى الشعراء قديما وحديثا من غرر القصائد، لأنك قَلَّ أن تجد شاعرا من شعراء جزيرتنا العربية لم يترنَّمْ بشيحها وخزاماها ، ويحن إلى ظلالها ومغانيها ، أو لم يحرك فيه صبا نجد مشاعر الوجد والحنين .

وشاعر الجزيرة العربية بعامة ، والمخلاف السليماني على وجه الخصوص في القرن السابع الهجري القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي أحد أولئك الذين تَرَنَّمُوا في شعرهم بنجد وصباها ، وحنوا إلى ضالها وسلمها ، وشيحها ورندها، لأن لها عليه صنائع معروف لا ينساها وأيادي كريمة تبعث في نفسه نجواها :

علـيَّ صَنَيعـةٌ لنَسِيـمِ نَجْـدِ	بِمَا أهدَاهُ من نَفَحَاتِ نَجْـدِ[1]
أَتَـىٰ بالـمِسْكِ تحمِلُـهُ النُّعَامَـىٰ	ومـاءِ الـوَرْدِ في شيـحٍ ورَنْـدِ
فأهـلاً يانسيـمُ بِمَـا أَتَيْتَنَـا	بِهِ النَّفَحَـاتُ من هزْلٍ وَجِـدِّ

(١) مخطوطة الديوان .

فهو يحب نجداً إلى حدَّ الوله ، ويحب نسيمها ، وشيحها وحوذانها ، وندها وخزاماها ويُحبُّ قبل ذلك ناسها ويستقبل تبعا لذلك الأنسام التي تأتيه من قِبَلَهِمْ بإعزاز وإجلال فيسألها عن ديار نجد وعن أحبته فيها ، ويسألها عن صبا نجد وعن ضالها وسلمها :

أُصَافِحُ الرِّيحَ إجْلالاً لِمَا حَمَلَتْ إلَـيَّ مِنْ ريحِ بُرْدَيْهـا وأَسْتَلِـمُ[1]

كَيْفَ الغَضَايا صَبَا نَجْدٍ؟ وَمَا فَعَلَتْ تِلكَ الخيَامُ وذاكَ الضَّالُ والسَّلَـمُ؟

ولا يكتفي بذلك بل نجده يهتف بأعلى صوته معلنا بصدق وعفوية ولَهَهُ الشديد، وحبه العميق لنجد وساكني نجد ولنشر شيح ورند نجد :

أُحْـبِبْ إلـيٌ بسَاكِنـي نَجـدِ وبـنشرِ ذَاكِ الشَّيـحِ والرَّنْـدِ[2]

من أجل ذلك نجده يتلقف أخبار الركبان فيسائلهم عن نجد وخزاماه وعـن أحبابـه من ساكنـي نجد، بل يجسد من شدة وله وهيامـه نسيم نجد وخزاماه في هيئة متحدثَيْن لبيبين يسائلهما فيرويان له بإسهاب أخبار الأحبة في نجد :

أعنْدَكُمَا عِلـمٌ عنِ العَلَـمِ الفَـرْدِ وهَـلْ لَكُمـا عَهْدٌ بِنَاكِثَةِ العَهْـدِ[3]

ومـا قَالَ نَجْديُّ النَّسيمِ وَمَا رَوَتْ خُزَامَاهُ عَنْ نَجْدٍ وعنْ سَاكِني نَجْدِ؟

لا غرابة في تساؤله فالنسيم ينقل اليه روح نجد فينشرح قلبـه لشميم عراره وأريج خزاماه :

يَهُبُّ لهُ النَّسيـمُ بِرُوْحِ نَجْـدِ فيصْدَعُ قَلْبَـهُ ذَاكَ النَّسِيْـمُ[4]

---

(١) المصدر نفسه

(٢) مخطوطة الديوان

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص٥٢

(٤) مخطوطة الديوان

وهو يسائل نسيم الصبا أن يمده بنفحات معطرة من شيح ذي سلم يطفيء بها غلة القلب الهيمان، ويهديء بها لوعة الوجد الطاغي :

أَتُرَىٰ الصَّبَا تَسْرِي إلَيَّ بنَفْحَةٍ   من شيح ذي سَلَمٍ ومَنْ تعضيْلِها[1]

ويعود إلى سرحة الوادي يسائلها عن أخبار نسيم نجد التي ربما يكون قد أفضى بها إليها ، ويسألها عن مارَوَتْهُ لها نفحات الشيح من أخبار الأحبة هناك :

سَلْ سَرْحَةَ الوَادِي لِتَعْلَمَ من لِسَا   نِ الحَالِ[2] دَخْلَةَ ظِلِّهِ المَمْدُودِ
ما قَالَ نَجْديُّ النَّسيمِ وَمَارَوَتْ   نَفَحاتُ ذَاكَ الشَّيْحِ والتَّعْضِيْدِ

ولربما زاد به الحنين إلى أحبابه في نجد ، وأذكته نار البعاد فهو من ساكني تهامة التي تفصلها عن نجد سهوب وتنائف ، فيجأر مستكثرا بعد الشقة التي تباعد بين دياره وديار المحبوبة :

حَلَلْتُ تِهَامَةَ وَحَلَلْتِ نَجْداً   فأَيْنَ وأَيْنَ نَجْدٌ منْ تِهَامَةَ؟؟[3]

وحنين شاعرنا لا ينتهي وقد يصل به إلى درك البكاء والنواح الذي يذرف بسببه الدموع الشنّانة في شجن لا ينتهي :

مَا عَلىٰ الرَّكْبِ أَنْ يَمُرَّ عَلىٰ دِمْـ   ـنَةِ سَلْعٍ عَقِيْقِهَا ولِوَاهَا[4]
يَنْدُبُونَ اللِّوَىٰ وأَنْدُبُ نَجْداً   كُلُّ عَينٍ تَبْكي عَلَىٰ مَاشَجَاهَا

ويسعده الحظ بزورة لأحبته في نجد، وينعم بالوصال، فيتمنى تكرارها غير أن الأيام لا تحقق له تلك الأمنية، فتظل تلك الزيارة يتيمة لم تسقها مياه

---

(١) المصدر نفسه
(٢) مخطوطة الديوان
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص١٥٥
(٤) مخطوطة الديوان .

التداني حتى تلد زيارات أخرى، ويقعد بها الإجداب فتموت كَلاَلَةً بغير عقب يرثها ويعمر الدروب التي يسلكها :

أَمَـا عقِبٌ لِزَوْرَتِنَـا بِنَجْـدِ فيـالَكِ زَوْرَةً مَاتَتْ كَلاَلَـةْ[1]

ويتردد صدى نجد في شعر ابن هتيمل فنفرد فيه بمعانيها اللغوية المختلفة غير أننا آثرنا في هذه الأسطر أن نختار بعض ما خص به شاعرنا نجد (المكان) من حنين صادق وعواطف ملتهبة ، يمتلىء بها شعره الحي، المنسرب من شعوره الفياض بالحب المتدفق .

---

(١) مخطوطة الديوان

(ح) الشيب في شعر ابن هتيمل

الشيب : يعني انتقال الإنسان من مرحلة الفتوة والانطلاق إلى مرحلة الوقار فهو تجربة قاسية توحي بانقضاء اللذات وفوات أيام الصبا والاستمتاع، بل ربما كان المؤشر لبدايات الضعف وقد جاء في القرآن الكريم رديفا للضعف والوهن. قال تعالى : ﴿**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ [1].

لذلك نفرت منه حاسة الشعراء وزاد خوفهم منه، وليس ابن هتيمل وحده من الشعراء الذين طال حديثهم عنه، فقد شاع هذا اللون في شعر المُعمَّرين من الشعراء وكثر تحسرهم على فوات أيام الشباب . فهذا دعبل الخزاعي [2] الذي يشترك معه ابن هتيمل في الانتساب إلى خزاعة نسمعه يقول متحسراً، باحثاً عن الشباب بعد أن ولّى :

أين الشباب وأيَّةً سلكا ... أم أين يُطلب ضلَّ أم هلكا[3]

وهذا أبو العتاهية يتحسر هو الآخر على أيام الشباب ويتمنى عودتها ليبثها شكواه :

بكيتُ على الشباب بدمع عيني ... فلم يُغنِ البكاءُ ولا النحيبُ[4]
ألاَ ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ... فأخبرَهُ بما فَعَلَ المَشيبُ

---

(١) سورة مريم آية رقم(٣) .

(٢) هو دعبل بن علي بن رزين شاعر عباسي ـــ سبقت ترجمته.

(٣) العصر العباسي الأول لشوقي ضيف ص ٣١٨ وانظر العقد الفريد ج٥ ص ٣٧٥ .

(٤) ديوان أبي العتاهية ص ٢٣ ط دار صعب بيروت .

وكذلك ابن الرومي نجده لا يبعد عن هذا المعنى حين أخذ يندب الشباب الراحل من قصيدة طويلة يقول فيها :

خليليّ ما بعدَ الْـمَشِيب رزيّـةٌ   يجمُّ لها ماءُ الشئون ويعتَدُ[1]

كَفىٰ حَزناً أنّ الشبابَ معجَّلٌ   قصيرُ الليالي والمشيبُ مُخَلَّدُ

وقبلهم كان الشاعر المخضرم حميد بن ثور الهلالي قد تمنى دوام الشباب [2] وهيهات له ذلك فقال :

فلا يُبعِدِ اللّـهُ الشبابَ وقولَنَا   إذا ما صبونا صبوةً سنتوبُ[3]

وقريب من هذا المعنى قول الشاعر منصور النمري : [4]

ما تَنْقضي حَسْرةٌ مني ولا جزعُ   إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجِعُ[5]

ما كنتُ أوفي شبابي كُنْهَ قيمته   حتّى انقَضَىٰ فإذَا الدنيا له تَبَعُ

بانَ الشَّباب وفَاتَتِني بلذّته   صُروفُ دهْرٍ وأيامٌ لها خُدَعُ

ولعل البحتري كان أكثر اقتناعا بعدم عودة أيام الصبا بعد انقضاء أوانها وقدوم جحافل الشيب :

---

(١) ابن الرومي حياته من شعره لعباس محمود العقاد ص ٣٨٥ .

(٢) حميد بن ثور الهلالي دراسة في شعر المخضرمين للدكتور أحمد عبد الواحد ص ١٠١ وحميد بن ثور سبقت ترجمته .

(٣) دراسة في شعر المخضرمين .

(٤) منصور النمري : هو منصور بن الزبرقان بن سلمة من قبيلة النمريين شاعر عباسي مدح هارون الرشيد ومدح الفضل بن يحيى البرمكي ومدح يزيد بن مزيد الشيباني لم يتعلق بلهو ولا مجون، انظر العصر العباسي الأول ص ٣١٦ . وهو تلميذ الشاعر عمرو بن كلثوم العتابي وراويته . انظر ص ٥٩٩ من كتاب الشعر والشعراء لمصطفى الشكعة .

(٥) العصر العباسي الأول ص ٣١٥ .

لا جديـــدُ الصِّبـــا ولا ريعَانُـــــهْ راجِــعٌ يعدمـــا تقضَّىٰ أوانُــــهْ[1]

لذلك وجدناه يلتمس المبررات لبياض شعره وينسبه إلى صدّ المحبوب ويحسنه له :

عيّرتنـــي المشيبَ وهـــي بَدتْـــهُ في عذاري بالصَّدِّ والاجتنَـــابِ[2]
لا تَريْـه عاراً فمـــا هو بالشيْــــب ولكنَّـــهُ جلاءُ الشَّبـــابِ
وبيـــاضُ البـــازِيّ أصدَقُ حسنـــاً إنْ تأمـــلت من سوادِ الغُـــرابِ

كما نجد أبا الفتح التعاويذي الذي عاش قريبا من عصر ابن هتيمل يتحسر هو الآخر على فوات أيام الشباب المستعارة :

أسفتُ وقد نَضَتْ عنـــي الليـــالي جديـــداً من شبـــاب مُستعَـــارِ[3]
ولم أكـــرَهْ بيـــاضَ الشيبِ إلاَّ لأنَّ العـــيبَ يظهـــرُ في النَّهـــارِ

وما ذلك إلا لأنه أدرك فوات أيام الفتوة والشباب وفوات الصفاء والوداد تبعا لها ؛ لذلك سمعناه يردد :

ياطالبـــاً بعـــدَ المشيبِ غَضَارةً من عِيْشةٍ ذَهَبَ الزّمـــانُ المُـــذْهَبُ

أما معاصره ومنافسه في البلاط الرسولي محمد بن حمير فقد صدت عنه صاحبته بسبب الشيب :

---

(1) ديوان البحتري ج1 ص ٣٦١ .
(2) المصدر نفسه ج2 ص ١٨٧ .
(3) هو أبو الفتح بن التعاويذي ولد سنة ٥١٠ ببغداد وتوفى سنة ٥٨٣ كان شاعرا مجيدا انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ج١٧ ص ٢٣٤ ــ ٢١٩ ط دارالقلم ببيروت . وقد قال عنه صاحب الأعلام : (شاعر العراق في عصره له ديوان شعر حققه مرجليوث) الأعلام ج٦ ص ٢٦٠ .

رَأَتني لَيْلَى والبياضُ بعارضِي　　فصدَّتْ وإنكار المشِيبِ عجيبُ[1]
وَهَلْ هُوَ إلاَّ لونُها صَبَغَتْ به　　ذَوَائبَ راسي والفؤَادُ يذوبُ

لذلك رأيناه يزين لها لون البياض حين قال :

لولا البياض الذي حول السواد لما　　زان النواظر تدعيج من الحور

وقبل هؤلاء وبعدهم شعراء كثر أدركهم الشيب فتحسروا على فوات أيام الصبا.

وشاعرنا ابن هتيمل يأتي على رأس هؤلاء وأولئك فقد أوفى الموضوع حقه ذلك لأنه ابتلى بطول العمر حتى قارب المائة ، قال عنه صاحب مطلع البدور :

(ما مدح أحدا إلا رثاه) [2] فمني بفقد الأبناء والإخوان ، والزوجة والأصحاب وحتى جاريتُهُ : «الخيرزان» وعبدُهُ: «سعد» ، واعتورته أحداث الزمان فنالت من شيخوخته المتهدمة ، فجعلته تلك العوامل يندم على ما فات من أيام الصبا فيصرخ :

مَاذَا بعثْتَ علي يازَمَنَ الصِّبَا　　من حسْرَةٍ لِفَواتِ أَيَّامِ الصِّبَا[3]
ذَكَّرْتَ عهداً كُنْتُ أَغْيَداً مُرداً　　في ظِلّه وشَجِيْتُ أَشْمَطَ أشْيَبَا
يالمَّةً نَصلتْ وليس خُضَابُهَا　　عِوَضاً .. وأَقْبَحُ شَيْبَةٍ مَاخُضِّبَا

ويستنكر على شيخوخته الطمع في الحسان فيخاطبها قائلا :

---

(1) تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ج٤ ص ٩٢. وبيتا الشاعر يذكران بقول الشاعر :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي　　فأعرضن عني بالخدود النواضر

(2) مطلع البدور . مصدر سابق .

(3) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٠٤ .

تنضُو الصِّبَا وتُرِيـدُ أيَّـامَ الصِّبَـا   أتُـرَاكَ تَخْلُـفُ في الطَّمَاعِـةِ أشْعَبَا[1]
رَمَقَـتْكَ مُقْلَتُهَـا غُرَابـاً أسوداً   واليـومَ قد لحَظَـتْكَ بَازاً أشْهَبَـا
مَنْ كُنتَ تُعجبـهُ بخدِّكَ أمْـرَدَا   من أيْـنَ تُعجِبُـهُ بَرأْسِكَ أشْيَبَـا
رعْيَا الصِّبَا والأطيَبَـانِ وإنْ هُمَـا   خَبُثَا عَلَـيْكَ فَمَـا ألَـذَّ وأطْيَبَـا

ويعاتب الحسان على نفورهن منه بعد المشيب :

تُحَمِّلُنِي ذَنْبَ الـمَشَيبِ وطَالمَـا   حَلَوتُ لهَا دُونَ الغَطَارِفَةِ المُرْدِ[2]

لذلك فهو يهيب بالشباب أن يغتنموا فرص الشباب بل ويحذرهم من فوات أيامه الحلوة قبل التمتع بحلاوتها فما هي إلا أيام تمر كالحلم لا تلبث أن تسترد نضارتها وبهجتها فإذا هو شيخ أشيب ليس له من ود الحسان نصيب لذلك سمعناه يخاطب الشباب :

انْتَهِـزْ فُرصةَ الشبـابِ فَمَـا أسْـ   ـرَعَ مايُستَـرَدُّ منكَ الشَّبَـابُ[3]

ذلك لأن أيام الشباب محببة إلى نفس الشاعر ، مبغضة إليه ليالي الشيب :

أبْـغِضْ بِشيْبِ مَفَارِقِـي منْ نَازِلٍ   عِنْدِي وأحْبِب بالشَّبَابِ الرَّاحِلِ[4]

وكما تمنى أبو العتاهية عودة الشباب تمناها ابن هتيمل لكن ابن هتيمل تمنى عودة أسرة الشباب معه من حب وعشق وأحباب :

لَيْتَ الزَّمـانَ يُعيـدُني ويَعُـودُ لِي   مَرَضِي بِهِ، وعِيَادِتِـي، والعُـوَّدُ[5]

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٤ .
(٢) المصدر نفسه ص ٥٢ .
(٣) المصدر السابق ص ١٧٨ .
(٤) مخطوطة الديوان .
(٥) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٤٩ .

ويزداد ألم شاعرنا لنفور الحسان الشديد من شيبه، فيبحث عن خضاب يصبغ به شيبه؛ ليدلّس به على الغيد :

أَهْوىٰ وقَدْ نَضَتِ السُّنُونُ صبَابَتِي عَنِّي وَقَدْ سَلَبَ المَشِيْبُ شَبَابِي[1]
بُدِّلْتُ كَافُوراً بِمِسْكٍ إِذْخِرٍ في لِمَّتِي، وحَمَامَةً بِغُرَابِ
مَنْ لي بتَدلِيْسِ الخِضَابِ فَرُبَّمَا حَسبَتْهُ بُلْهُ الغِيْدِ غَيْرَ خِضَابِ

ولعله في البيت الأخير قد وجد الدواء الذي كان يبحث عنه الأخطل حين قال :

هَلِ الشَّبَابُ الَّذِي قَذَفَاتَ مَرْدُوْدُ أَمْ هَلْ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجُودُ

غير أن ابن المرحل[2] يراه دواء مؤقتا لا يلبث أن يكشف زيفه ويفتضح أمره لدى الغير :

مَرَرْت عليهَا والخِضابُ لمائِهِ وبيضٌ وريحُ المسكِ قَدْ كادَ يسطَعُ[3]
فَقَالتْ مَلِيحٌ مَا أَرَىٰ غير أَنَّهُ سحابةُ صيفٍ عنْ قليلٍ تَقَشَّعُ

وللفرزدق صورة جميلة يشبه فيها زحف الشيب على سواد شعره بزحف جحافل النور على فلول الليل المظلم حين يقول :

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٢ .

(٢) شاعر أموي ــ نصراني الملة شارك في نقائض جرير والفرزدق وكان من الشعراء المجيدين .

(٣) ابن المرحل : هو أبو الحلم مالك بن عبد الرحمن المعروف بابن المرحل شاعر أندلسي ولد بمالقة سنة ٦٠٤ وسكن سبتة ثم رحل إلى فاس وعاش بها إلى أن مات سنة ٦٩٩ . فهو معاصر لابن هتيمل ويشاركه في طول العمر . انظر ترجمة ابن المرحل في كتاب (مالك بن المرحل) للعلامة عبد الله كنون ص ٥ وما بعدها .)

والشيب ينهض في الشبـــاب كأنـــه ليـــل يصيـــــح بجانبيـــه نهار[1]

فيأتي ابن هتيمل فيصور فزع الحسان من مشهد الشيب وقد غزا مفرق شعر رأسه فيحور تشبيه الفرزدق إلى صورة أجمل.

أَبْصَرتْ مَفْرِقِـي فَأَفْزَعَهَـا لَيْـ ـلٌ تَمَشَّىٰ في جَانِبَيْـه نَهَـارُ .[2]

ومع فزعها وفزع كل الحسان من شيبه ، إلا أن شاعرنا يستمر في ولعه بالحسان حتى وقد بلغ من العمر عتيا وأدركه الهرم، ولكنها الروح الشاعرة الشابة التي لا تشيخ تحن دائما إلى الجمال والصبا والفتوة :

قالُوا هَرِمْتَ وكيفَ يَسْمَنُ ناحِلٌ من جِدَّ عاتكَةٍ وهزْلِ لَعُـوبِ؟[3]

أَرْجُو وصالَهُمَا وقدْ جَمَعَ الهَوىٰ ضِدَّيْـنِ بيـنَ شَبِيبَـةٍ ومَشيْبِ!!

وهو مع ذلك يعترف أن الفقر والشيب يُنفِّران الملاح غير أنه يعتذر عن رغبات النفس ويعترف للشيب بالوقار :

لا يَصُدُّ المِـلَاحَ عنْ صِلَـةِ العُشَّـ ـاقِ إلاَّ القَتيـرُ أو الإقتـارُ[4]

ومَرَامُ الشباب أشْهَىٰ إلـىٰ النَّفْـ ـسِ وإنْ كانَ في المشيبِ الوقَـارُ

ويعود فيتسائل مستنكرا نفور الغيد منه بعد لمعان الشيب في رأسه فيقول :

---

(١) ديوان الفرزدق ج١ ص ٣٧٢ : والفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة شاعر أموي ولد في العشرينات من المائة الأولى قال الشعر في معظم أغراضه وبرز في المدح والهجاء والفخر وعُرف مع جرير بشعر النقائض وله نقائض وأهاجي مشهورة توفى سنة ١٤٤هـ انظر العصر الإسلامي الأول لشوقي ضيف ص ٢٧٤ .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٣ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٥٤. القتير : الشيب . والإقتار : الفقر

أَمِنْ خُلَّةٍ في الرَّأْسِ كَالبَرْقِ أَعرَضَتْ طُلَى الغِيْدِ عَنّي باحْمِرَارِ ورُودِهَا؟[1]
غَدَوْتُ بَغيضاً من تَلَوُّنِ لِمَّتي وكنتُ حبيباً قبلَ بَالي جَديدِهَا
فكَمْ حَسْرةٍ للشَّيبِ عِنْديَ لَيتَني وَرَدْتُ غِمَارَ المَوْتِ قبلَ وُرُودِهَا

وكيف لا يتحسر على أيام الشباب ؟ وقد تسبب المشيب في صدود الملاح وإعراضهن عنه حين أتى الزمان على بردتيه، فلوّنهما :

صدَّتْ بصَفْحَةِ وَجْهِهَا إعْرَاضَةً إذْ لَاحَ بَارِقُ عارِضَيهِ مُرفرِفَا[2]
بُرْدٌ لَبِسْتُ به الزمَّانَ مُفوَّفاً غَضاً، فَلوَّنَهُ الزَّمانُ وَفَوَّفَا

ثم أخيراً يطلب تقديم التعازي في فقيده الغالي (الشباب) :

أَفَلَا يُعزِّيني الرِّفَاقُ بغائبٍ كالمَيْتِ لا يُقْضَىٰ لهُ بإيَابِ[3]
وهوَ الحبيبُ مضَىٰ ولا ألقىٰ لَهُ عِوضاً، ولي عوضٌ عن الأحبَابِ

وما ذلك إلا لأنه يرى زيادة الشيب نقصا من حيويته ومن قوته ومقداره لذلك سمعناه يردد :

رَأيتُ زيادَتي بالشيبِ نَقْصاً (فَقَدْ وَقَعَ انتقَاصِي في ازديَادِي)[4]
عَدِمتُكِ صَفقَةً عُوِّضْتُ عنهَا علىٰ الكُرْهِ، البَيَاضِ مِنَ السوادِ

غير أن شاعرنا يعود أخيرا إلى تفضيل الشيب معللا اشتعاله .. وجاعلا الكهولة له برغم عجرها وبجرها أفضل من الشباب !! ربما مغالطة ، وربما استسلاما للأمر الواقع !! لذلك سمعناه يردد :

---

(١) مخطوطة الديوان .. والطُّلي ــ بالضم ــ الأعناق.
(٢) مخطوطة الديوان
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص١٠٢.
(٤) مخطوطة الديوان ، والشطر الثاني ضمنه الشاعر فقد ورد في أحد أبيات المتنبي حيث يقول:
متي ماازددت من بعد التناهي (فقد وقع انتقاصي في ازديادي)

وَمُعَيِّرٍ بالشيّبِ قُلتُ له اتَّئِدْ ... أمْضى الحديدِ على الحديدِ صَقِيلُهُ[1]
فالشَّعْرُ أعدَ مَنِي الخضابُ بَيَاضَهُ ... إن كانَ أعْدَمَني الشبابَ نُصُولُهُ
إنْ كانَ واَسِطُ كلِّ شَيْءٍ خَيرَهُ ... حقاً، فَخيرُ بني الزَّمانِ كهُوْلُهُ

وصاحبنا يعجب من صاحبته وقد عابت عليه ما لا يعاب ونفرت منه نفار المذعور جاهلة أن ذلك إنما هو بتأثير الخطوب النوازل التي صارعها في خضم الحياة :

عَجَباً مِنْ نِفَارِ عُلْوَةَ مِنْ رأْ ... سِي وإعْرَاضِهَا العجيبُ العجيبُ[2]
بَاكَرَتْنِي تَعِيبُ مَالَا يَعيبُ النَّـ ... ـاسُ أوْ تَسْتَرِيبُ مَالَا يَرِيْبُ
عَرَفَتْ مفْرِقِي وفيهِ خُضَابٌ ... آهِ واستنْكَرَتْهُ وهوَ خَضِيْبُ
شَعَرٌ جدَّ في بِلَاهُ الجديدَا ... نِ برغْمِي وغيَّرَتْهُ الخُطُوبُ

ولكن فيم العجب ؟ وعلام التعنيف ؟ ولم الأسف ؟ وعلام الكآبة ؟ والشيب قد أعاد إليه صوابه وكسر حدة الطيش والسفه وكساه وقاراً : [3]

قَدْ غَضَّ من سَفَهِي تَلَوُّنُ لمَّتِي ... فَسَوادُ حظِّي مِنْ بَيَاضِ الرَّاسِ
شَعَرٌ لبِسْتُ بِهِ جَدِيْدَ سَوَادِهِ ... حتَّى غَدَا بَاليهِ وهوَ لِبَاسِي

وحينما بلغ بشاعرنا أمر الاستسلام للواقع هكذا ، سارعت عاذلته أو حبيبة الأمس فَعَضَّت أناملها أسفاً ، وغشيتها كآبة لم تستطع كتمانها . [4] .

عَضَّتْ أناملَهَا أساً وتَأَسُّفَا ... أَنْ لَاحَ بلرقُ عَارضيهِ مُرفْرِفَا
وَتَجَهَّمَتْهُ فكانَ فَرْطُ وُلُوعِهِ ... كَلَفاً بصُحبتِهِ فصَارَ تَكَلُّفَا
يَاهذِهِ أشجَاكِ ما يجْلُو الصَّدَا ... ودهَاكِ ما صَقَل الحُسَامَ المُرْهَفَا

(١) المصدر نفسه .
(٢) المصدر نفسة
(٣) المصدر نفسة
(٤) المصدر نفسة

لا تَعجَبَـــــــنَّ لرَوضهِ أَنْ نَوَّرَتْ أَكْمُامــه ولسدفِـــه أن سدَّفـــا

وأحسب أن ابن هتيمل قد بالغ في أمر الشيب أو أنـه قد طالت عشرتـه معه لطول عمره فسئمه ومله وحدثه بكل الأساليب واستعرض مواقفـه المختلفة، ولكنه شاعر ؛ فقد وصف أحوالــه وبالــغ في الــوصف فأتى عن الشيب بما أتى به الآخرون وبما لم يأتوا به .

(ط) الشكوى والتشاؤم في شعر ابن هتيمل

قد نظلم الشاعر ابن هتيمل إذا حكمنا بأن النماذج الآتية تمثل نظرته للحياة بصورة عامة ، ولكننا قد ننصفه بعض الإنصاف إذا قلنا بأن الشاعر كغيره من الناس تعرض له مصاعب الحياة ، وتمر به حالات نفسية، وتقلبات وجدانية ومواقف في حياته ، تجعله يضيق بالحياة والأحياء ، لولا أن حاسة الشاعر أقوى على التصوير ، وقدرته على التخييل والتكثيف أكمل وأبلغ، ولعل شاعرنا كان محسوداً من بعض معاصريه على مواهبه التي تفوّق بها فكان يتعرض لبعض المواقف وكانت تجابهه بعض المضايقات من أولئك الحساد، إلى جانب ما كان يعانيه من ظروف الحياة المعيشية القاسية في عصره، وظروفه المعيشية بخاصة التي يشير إلى بعضها صاحب مطلع البدور ومجمع البحور فيقول : (كان يجازُ بالجوائز الجزلة ومع ذلك مات وهو من فقراء المسلمين المتربة) [1] .. أجل فقد كان ابن هتيمل يشكو مُرَّ الشكوىٰ ويتحسر من زمانه وأبناء زمانه ، وينثر هذه الشكوىٰ وذلك الأنين في ثنايا شعره حتى الغزل منه ، وربما أفرد لشعر الشكوى القصائد ذوات النفس الطويل من أمثاله قصيدته التي يبدأها بقوله :

زَمَانكَ كلُّهُ فَنَدٌ وعَذْلُ ... أَمَالَكَ عن عنيفِ اللَّوم شُغْلُ [2]

بُلِيتُ بكُمْ فَلَا للصَّرْمِ صَرْمٌ ... أُسَرُّ بِهِ، ولا للوَصْلِ وصْلُ

وكيفَ أُقيمُ في بَلَدٍ سَوَاءٌ ... بِهِ العوجاءُ [3] والسمْعُ الأَزَلُّ [4]

---

(١) مطلع البدور وجمع البحور مخطوط

(٢) مخطوطة الديوان .

(٣) العوجاء : الفرس الأصيلة. لسان العرب ج٣ ص١٥٧

(٤) السمع : ولد الذئب من الضبع وهو أشد مايكون لؤماً وخبثاً. الأزل خفيف اللحم .

يَدِيْــنُ الصَّقْــرُ فيــهِ للحبَــارَىٰ وَيَضْطَهِــــــــدُ الأَعَزَّ بها الأذلُّ
أَلَــمْ تَرَ أنني خَفَّـفْتُ عمَّـــنْ صَحِــبْتُ فَلَا أُمِــلُّ ولا أُمَـــلُّ
ففي رِجْلِــي عنْ الشُّبُهَــات قَيْــدٌ وفي عُنُقِــي عنِ الشُّبُهَـــات غُلُّ
فَمَــنْ لي بامــرِيءٍ واعٍ فَيُصْغِــي لِهَيْنَــأتي، ويكْــتُبُ ما أُمِـــلُّ
عُكُــوسٌ تَمرَضُ المُهْجَــاتُ منهَــا ولــيسَ مريضُ حسْرَتِهَــا يبِـــلُّ
ففـــي قَلْبــي مِنَ الأَقْــدَارِ غِلٌّ وفي صَدْرِي عَلَـــىٰ الآثارِ غِلُّ

وقد نقـف في النموذج الآتي على السبب الرئـيسي في تبرمـه بالحيـاة والأحياء حيث نسمعه يقول :

عَدَمُ الصَّديقِ أَحَــلَّ بِي ما حَلَّ بِي من عَيْلَـةٍ، وخِيَانَــةُ الإخْــوَانِ[1]

وحتى إن وجد الصديق فإنه يخافه كما يخاف العدو.:

لِي عدوٌّ، ولي صديــقٌ، وخَوْفِـــي مِنْ صدِيقي كَخِيفَتِي منْ عَدُوِّي[2]

ولأنه يشكوهـم فقد تمادوا في عقوقهم له حتى وصفهـم بالتعامي عن مكانته :

أَنَـا أَشْكُو إِلَــيْكَ قَوْمـاً تَمَالَـــوْا في عُقُــوقِي بعيدُهُــمْ والقَــريبُ[3]
جَهِلُونِـي وضَيَّعُــوني وهَــلْ يَعْــرِ فُ حقَّ الأديب إلاَّ الأديْبُ
وأَرَىٰ الشَّمسَ في الطُّلُوعِ عَلَىٰ العُمْي سَوَاءٌ طُلُوْعُهَـــا والغُـــــرُوبُ

ولعـل من أسبـاب تضايقـه بالحياة والأحيـاء ما شاهـده من تغير أخـلاق الناس ومعاملتهم :

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص١٢٣.
(٢) مخطوطة الديوان
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص٣٦ ط١

مَا الدَّهْرُ بالدَّهْرِ القَدِيمِ وَلَا أظُنُّ النَّاسَ في أفْعَالِهِمْ بالنَّاسِ[1]

لذلك سمعناه يدعو على بني زمانه قائلا :

أَيَاوقْتِي عَدِمْتُكَ مِنْ وُقَيْتٍ ويازَمَنِي عَدِمْتُكَ مِنْ زُمَيْنِ[2]
أَعفُّ بَنيكَ خَتْلُ الذِّئْبِ فيهِ مُخَالسَةً ومكرُ أبِي الحُصَيْنِ

وهو يحذرنا في زحمة تشاؤمه حتى من الإخوان فيقول :

واحْذَرْ أَخَاكَ؛ فإنَّ إخوَةَ يُوسُفٍ بَاعوهُ بالأدنَى من الأثْمَانِ[3]

بل نجده يحذر من الإخوان والأقارب ومن الأصدقاء على السواء فيقول :

كُنْ للزَّمَانِ كَمَا يكُونُ فإنَّهُ أوفَىٰ بنيهِ وإنْ تخلَّقَ غَادِرُ[4]
وخَفِ الصَّديقَ فكَمْ صديقٍ عاجِزٍ مائَلَ فَتْكَتَهُ عَدوٌّ قَادِرُ
وتَوقَّ بَائِقَةَ القَريبِ لو انَّهُ حَسَنُ المُثَنَّىٰ ، أوْ أخوهُ البَاقِرُ

ويستمر في تحذيره من الإخوة ومن الأصدقاء فيقول في لهجة توكيدية :

أخاكَ أخاكَ نفسَكَ لا تُهِنْهَا فَسُوءُ الظَّنِّ مِنْ خيرِ العِبَادِ[5]
وخَفْ كَيدَ الصدَّيقِ فكَمْ صَديقٍ أضَرُّ عَلَىٰ الصدَّيقِ منَ الأعَادِي

بل نجده ينهىٰ عن محبة ذوي القربىٰ والركون إليهم فيقول :

قد ذَاقَ هابيْلُ من قَابِيلَ مِن حَسَدٍ ما ذاقه ورماه لا يواريه

(١) المصدر نفسه ص ٦٨ .
(٢) مخطوطة الديوان .
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٢٣ .
(٤) مخطوطة الديوان .
(٥) المصدر نفسه .

ولن نستغرب ذلك من ابن هتيمل إذا أدركنا أن أبناء زمانه إنما هم حيات وعقارب، بل ذئاب وثعالب، لا يحفظون مودة، ولا يرعون حقوق قرابة ولا جوار؛ لذلك نسمعه يردد :

سَلْنِي وأَبْنَاءَ الزَّمانِ فإنَّنِي ... جَرَّبْتُهُمْ فَقَتلتهُمْ تَجْرِيَبا[3]

نَبَذُوا الحِفَاظَ فَمَا تَرَىٰ منْ يَنْقُدُ الْـ ... ـمَنْقُودَ أَمْ مَنْ يعتِبُ المَعْتُوبَا

فإذا سَعَتْ حيَّاتُهُمْ فحذِرتَهَا ... دَبَّتْ عقارِبُهُمْ إليكَ دَبِيْبَا

وأخوكَ إنْ هُوَ لم يكنْ لك ثعلباً ... في سُرْعَةِ الروغَانِ كانَ الذيِّبا

وأبناء زمانه قد انعدم فيهم الوفاء ، وتلونت أخلاقهم وطباعهم :

أَوفىٰ بنيْ الزمنِ الخئونِ وخَيْرُهم ... مَنْ قَاضَكَ المكْرُوهَ بالمحْبُوبِ[4]

متلوِّنُونَ، لهم لِمَنْ صَافاهُمُ ... رَوْغُ الثَّعالِبِ واختلاسُ الذِّيْبِ

لذلك استمرّ يحذرنا من أبناء زمانه فقال :

تَوقَّ بنِي الزَّمانِ فكلُّ خِلٍ ... من الخِلاّنِ مذمُوم الخلالَهْ[5]

وَخَفِّفْ ما استطعتَ فَرَبَّ وغْدٍ ... يرىٰ ردَّ السلامِ مِنَ الثَّقَالَهْ

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٦١ : ولعله في هذه الأبيات قريب من قول المتنبي :

أذم إلى هذا الزمان أهيله ... فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد

وأكرمهم كلب وأبصرهم عمٍ ... وأشهدهم فهد وأشجعهم قرد

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوا له ما من صداقته بد

(٣) المصدر نفسه .

(٤) مخطوطة الديوان .

وَلَا تنْظُـر لجسمِ المْـرءِ وانظُـرْ طَبَائِعَـهُ، فإنَّ الـجِسْمَ آلـهْ[1]

وفي زحمة تشاؤمه من بني زمانه يرىٰ الحصول على الصديق الوفي من الأشياء الثمينة والنادرة فيقول :

خُذْ مِنْ ضَعيفِ الناسِ حِذْرَكَ جَاهداً فالـرُّخُّ يُقْتَـلُ تَارةٍ بالبُنْـدُقِ[2]

ومَتىٰ قبضْتَ علىٰ صديقٍ راحـةً فلقَدْ قَبَضْتَ علـىٰ قُرُورِ الزِّئْبَـقِ

ويتضايق من حال زمانه وتقلباته وتغير أهله فيرسل أنَّةً مكلومة :

وَمَا أَحْمَدُ الدُّنْيَا لكونِ كِبَاشِهَـا غَدَتْ طُعُماً مقسُوْمَةً لنِعَاجِهَـا[3]

ويتساءل مع نفسه كيف يستطيع أن ينفق عمره مع هذه النوعيات من البشر :

وكيفَ أُنفِقُ بَاقِي العُمْرِ في نَفَـرٍ لا النَّاسُ نَاسِي وَلَا الأَجْنَاسُ أَجْنَاسي[4]

ولكن ما الحيلة ؟ وزمانه متلون ، لا يستقر على حال ، متقلب بأهله ؟؟ :

سَجِيَّتُهُ إنْ يَبـنِ يَهـدِم، وإن يَهَبْ يَعُدْ في الذِي أَعْطَىٰ، وإنْ يعُطِ يَسْلُبِ[5]

أَجلْ فزمانه متقلب بأهله ، متفق مع طبايع أهله، فأهله لا تحتمل تناقضاتهم، متوافق مع سلوكياتهم .. التي نغصت على الشاعر مأكله ومشربه

---

(١) يشير في هذا البيت إلى معنى الحديث الذي يروي عن رسولنا الكريم ﷺ والذي يقول فيه :
(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبدانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم) .

(٢) مخطوطة الديوان . والرّخ : طائر خرافيٌّ بالغ القدماء في وصفه. المعجم الوسيط ج١ ص ٣٣٦ .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٦٥ .

(٤) مخطوطة الديوان .

(٥) الجزء المطبوع ص ١٧٤ .

وحياته كلها :

أَمَّا الأَنَامُ فَبِـي مِنْ أَكِلِهِـمْ غُصَصٌ ... لا تُستَسَاغُ وبِي مِنْ شربِهِمْ شَرَقُ[1]
بايَنْتُهُـمْ فاستخفُّونِـي وَوَافَقَهُـمْ ... دَهْرٌ تَوَافَـقَ فيـه الشَّنُّ والطَّبَـقُ

وشاعرنا يلقى باللائمة أخيراً على صروف الدهر وغَيرِه فهي التي بشدة أحداثها تغير موازين الأشياء :

رَأَيتُ الليـالي أعقَـبَتْ نكَبَاتُهَـا ... خمُوْلَ نبيـهٍ أو نباهَـةِ خامِـلِ[2]
أدَالَتْ على الشمسْ السُّهَا بصُرُوفِهَا ... وأطعَمتِ الغِربـانَ حَظَّ الأجـادِلِ
وأعجبُ ما جادَتْ بهِ فَصْلُ حكمِهَا ... بِخَفْضِ الأعَالِي وارتفاعِ الأسافِلِ

على أننا نعود فنؤكد ما قلناه في بداية هذا الفصل من أن هذه الحالات ربما تكون حالات ومواقف عابرة لا تمثل نظرة الشاعر للحياة بصورة عامة ولا للأحياء ففي شعره الكثير تفاؤل وإشراق يؤكد تفتحه على معطيات الحياة وتفاعله الإيجابي معها .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٥٩

(٢) مخطوطة الديوان .

(ي) الحكم والأمثال في شعر ابن هتيمل

والحكم والأمثال كثيرة في شعر ابن هتيمل ، وهي في مجملها تدل على عمق التجربة ، وصدق المعاناة والتفاعل الشديد بين الشاعر وما حوله ، ولقد ذكر صاحب المختارات المطبوعة بعضا من أمثال الشاعر وحكمه تمثل بعض تلك الحكم سنضيف إليها هنا حكما وأمثالا أخرى يتمثل فيها نضج تفكير الشاعر وقوة إدراكه والقدرة على استنباط الأمور ، وعمق فهمه للحياة والأحياء .. وفي النماذج الآتية سنرى شاعرنا وهو يقف مرة موقف الناصح الأمين ، ومرة داعيا إلى الخير والجمال ومرة محذراً من سقطات الحياة وتقلباتها .. وقد لمسنا شيئاً من هذا وذاك حين كنا في الفصل السابق نتابع نظرات الشاعر إلى الحياة والأحياء وشكواه فيها مبررات الشكوى والتشاؤم التي تنضح بعمق التجربة . استمع إليه وهو يدعو في الأبيات الآتية إلى السعي الجاد، والكدح بإصرار لمجابهة أعباء الحياة سواء أدّىٰ هذا السعي وذلك الكدح إلى النجاح المؤمّل، أم لا !!.

هَيْهَاتَ مِنْكَ عُلُوُّ مَرْتَبَةٍ ... إنْ نِمْتَ أوْ فَرَّطْتَ في العَزْمِ[1]
فاعزِمْ ولا تَنْظُرْ لعَاقِبَةٍ ... إنَّ النَّجَاحَ نَتِيْجَةُ العَزْمِ
من لَمْ يُشِدْ مَجْداً لَمَكْرُمَةٍ ... ويَنَالُهُ، فَبِنَاهُ كالْهَدْمِ

وكقوله الذي يؤكد فيه على السعي الحثيث لتحقيق المطامع :

وَمَا عَلىٰ المرءِ أنْ يسعَىٰ لحاجَتِهِ ... أَنَالَ بُغْيَتَهُ أَمْ نَالَهُ العَطَبُ[2]
فالصَّفْوُ أَوَّلُهُ في ذاتِهِ كَدَرٌ ... ورَاحَةُ العيْشِ ما أَصفَىٰ لَهُ التَّعَبُ

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ٣٩ ط١ .

ويقول موجها إلى العمل الشريف ومحذرا من الطمع الدنيء :

وانهَضْ إلىٰ بُلَغِ المَعَاشِ وَلَا تَكُـنْ | كَلاًّ علىٰ الخُلَطَاءِ والأصْحَـابِ[1]
واشرُفْ عن الطَّمَعِ الدَّنِـيْءِ فإنَّـهُ | أخزَىٰ الرؤُوسَ جَوائِـزُ الأذْنَـابِ

ويحث على الصبر واحتمال المكاره في سبيل البحث عن معالي الأمور فيقول :

تَغَرَّبْ فصفْوُ العيْشِ في كَدَرِ النَّوىٰ | وَبَاعِدْ فَلولَا البُعْدُ ما عُشِقَ القُرْبُ[2]
ولا تكْتِرَثْ إنْ نَابَ خطْبٌ فَرُبَّمَـا | أَتَاكَ الرِّضَا مِنْ حيْثُ أعجَزَكَ الخَطْبُ

ويقول أيضاً في حثه على الصبر :

مَا أَجْمَلَ الصَّبْرَ لولَا عِلَّةٌ حكَمَتْ | أنْ لا يكونُ جميلُ الصَّبْرِ مِنْ عَادِي[3]

وبقدر ما يزرع الإنسان في حياته ، يكون قطاف الثمار ، على أن الخير أفضل غرس يجني منه الإنسان أطيب الثمار لذلك نسمع ابن هتيمل يردد :

المَـالُ يَنفـدُ والثَّنَـا لا ينفـدُ | والمَرْءَ يَفْنَـىٰ والثَّنَـاءُ مُخَلَّـدُ[4]
والخيـرُ أنْفَـعُ مايَكُـونُ ذَخيْـرةً | ولنِعْـمَ مايَتَـزوَّدُ المُتَـزَوِّدُ
فاصنعْ بنفسِكَ ما صنعْتَ فإنَّمَـا | تَشقَىٰ بمَا صَنَعَتْ يَدَاكَ وتَسْعَـدُ

والعمل الطيب يميز صاحبه ، وبه يكون التفاضل بين بني الإنسان :

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٣ .
(٢) المصدر السابق ص ١٣١ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٥١ .
(٤) المصدر نفسه ص ١٧٠ .

لَوْلَا التَّفاضُلُ بالأَفْعالِ ماشَرُفَ الـ.. ـإنسانُ فالنَّاسُ لحْمٌ كلُّهُمْ ودَمُ[1]
انظُرْ إلىٰ الـطّير في تَفْضيـلِ جَارِحِهَـا بالصَّيدِ هلْ تَسْتَوي العِقْبَـانُ والرَّخَـمُ

والنـاس لا هم لهم إلا متابعـة أخبـار الآخريـن والتعـرف على ظروف حياتهم بكل تفصيلاتها يبحثون عن أسبابها ويعللونها وفق مقاييسهم :

إذَا رُزِقَ المُوفَّـقُ قيْـلَ سَعْـدٌ وإنْ حُرِمَ المُقَتّـرُ قِيْـلَ نَحْسُ[2]

وشاعرنـا يرى أن حسن الفعـال يكـتسبها المرء من نشأتـه الأولـىٰ ، يكتسبها من والديه ويتشرب بها مع الرضعات الأولى :

متَـىٰ طَابَ امـرؤٌ قولاً وفعـلاً ومخْبَـرُهُ، إذا طَابَ الـرَّضَاعُ[3]

وغنىٰ النفس في نظر شاعرنا أمر محمود يهفـو إليـه صاحب الهمـة العالية فو أفضل وأثمن من ثروات الدنيا لذلك سمعناه يدعو إلى ذلك قائلاً :

عِشْ عَزيـزَ النَّـفْسِ ما صَاحِبْتَهَـا مامَصُونُ الشيءِ كالشَّيْءِ المُـذَالِ[4]
وتَقَنَّـع باللَّقَـا دونَ العَنَـا عِزَّةُ الفَقْـرِ ولا ذُلُّ السُّؤَالِ
ليسَتِ الأرْواحُ أثْمَـانَ النَّـدَا إنَّمَـا الأرْواحُ أثْمَـانُ المَعَالِـي

وقال أيضـاً :

غِنَـىٰ المرءِ لَا من ثَرْوَةٍ ويَسَارُهُ غِنىٰ النَّفْسِ فانظُرْ كَمْ غَنِـيٍّ كَمُعْـدِمِ

ذلك لأن الرزق قد قدره لك المانح الوهاب وما سعيك إلا وسيلة :

---

(١) مخطوطة الديوان .
(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٧٢ ط١
(٣) مخطوطة الديوان .
(٤) المصدر السابق .
(٥) الجزء المطبوع من الديوان ص ٧٤ .

لا تُجْهِدَنَّ النفْسَ في طَلَبِ الغِنىٰ ... فالرِّزْقُ يَمْنَحُهُ الَّذِي أَعْطَاهُ[1]

ومع ذلك فالحياة لا تخلو من التناقضات العجيبة فقد يعظم فيها الحقير ويضعف فيها شأن الخطير لذلك سمعنا شاعرنا يؤكد هذا المعنى في قوله :

كمْ نَعْجَةٍ مُكِّنَتْ من قَتْلِ قَسْوَرَةٍ ... وضفدعٍ حَكَمَتْ في رأْسِ نِضْنَاضِ[2]

وفي قولـه :

فَرُبَّ شُؤْمٍ أَتىٰ منْ بابِ مَلأَمَةٍ ... ورُبَّ رِبْحٍ أَتَىٰ مِنْ بابِ خُسْرَانِ[3]

ويؤكد المعنىٰ نفسه في قوله :

وقَدْ تَصْدَعُ الدّنْيا صفاً بزُجَاجةٍ ... وقدْ تقتُلُ الأقدارُ صِلاً بعقْربِ[4]

أما قيلَ في الأمثَالِ فيمَا علمْتَهُ ... إذَا أنْتَ لمْ تغْلِبْ عدوَّكَ فاخْلِبِ

والحياة برغم تناقضاتها وما فيها من صراع مرير بين الخير والشر إلا أنها في جملتها لا تستحق ذلك التطاحن فهي عارية مستردّة كما يقول :

قُصَارىٰ المرءِ رَدُّ المُستعَارِ ... وسَائِلَةُ الحياةِ إلىٰ قرارِ[5]

ويؤكد هذا المعنى أيضاً بقوله :

العُمرُ عاريةٌ فاغْنَمْ سرُورَكَ مَا ... دَامَ السرورُ لهُ دَوْلٌ علىٰ الحَزَنِ[6]

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه والنضناض : الثعبان .

(٣) مخطوطة الديوان .

(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٦٤ .

(٥) الجزء المطبوع ص ٨٨ .

(٦) المصدر نفسه ص ٩٨ .

ويحذرنا من اليأس قائلا :

لَا تَيْـــأَسَنَّ لفـــائِتٍ أَفْنَيْتَـــه   فيمَـــا تُحِبُّ فكـــلُّ شيءٍ فاني[1]

كما يحذر من الطمع لأنه يقود إلى المهالك :

لَا يُطَمِعَـــنَّكَ غيـــمٌ مَالَـــهُ مَطَـــرٌ   ويخْدَعـــنَّكَ آلٌ وجْـــدُهُ عَدَمُ[2]

وأعجبني قوله متأثراً بقول رسولنا الكريم محمد ﷺ (ارحموا عزيز قوم ذل) حيث قال في هذا المعنى :

لا تُهِينَـــنَّ لَبِيْبـــاً عَضَّهُ   عَنَتُ الدَّهْـــرِ بنَـــابِ النُّـــوَبِ[3]

وفي هذا المقام نجده يوجه إلى مواساة الفقــراء وعــدم كسر قلــوبهم بإكرام الأغنياء دونهم فيقول :

لا تُهِـــنْ صاحِبَ البَـــذَاذَةِ والفَقْـــ   ـرِ بإكرامِك الغَنَاءَ الرِّوَاءَ[4]

والبخلاء في رأي ابن هتيمل غشاشون حتى ولو برزوا في مقام الوعاظ الناصحين لذلك سمعناه يحذرنا من اتّباع منهجهم في الحياة قائلا :

وإيَّـــاكَ نهجَ الباخِلِيْـــنَ ورأيَهُـــمْ   فَنُصْحُهُـــمُ غِشٌ وغِشُّهُـــمُ نُصْحُ[5]

وابن هتيمل لا يكتفي أحيانا بإيراد الحكمة أو إلقاء الموعظة ، وإنما يدعم رأيه ويؤكد ما ذهب إليه من الواقع أو بشاهد من التاريخ حتى تكون أولى يالأخذ عنه نجد ذلك في أمثال قوله :

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٣ .

(٢) مخطوطة الديوان .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ٣٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٣ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٣٨ .

تذلَّلْ فإن يشمَخْ عليكَ بأنفِهِ عزيزٌ، فلازِمْ عزَّةَ المتكبِّرِ[1]
وَلَاتَكْتَرِثْ واجزَعْ مِنَ الضَّيْمِ آنِفاً وإنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ منَ الصَّبْرِ فاصبِرِ
فقدْ قدَّمَ المِقْدَارُ غيرَ مُقَدَّمٍ وقدْ أَخَّرَ المِقْدَارُ غيرَ مُؤَخَّرِ
ودَالَتْ علىٰ الإِسْلَامِ للشِّرْكِ دَوْلَةٌ حُنَينٌ وأحُدٌ، بعدَ بدرٍ وخَيْبَرِ

وكقوله أيضا موجها إلى انتظار اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة :

مَعَ العُسْرِ يسرٌ والأمورُ يَحُلُّها عنَ الحالةِ الأُولَىٰ صُرُوفُ المَقَادِرِ[2]
إذَا كَانَ حُلْوُ العَيْشِ تحْتَ مذلَّةٍ سعيتُ لمرِّ العيشِ تحتَ الحَوَافِرِ
فواللهِ ما طيبُ الحياةِ بنافِعٍ ذليلاً ولا خبثُ المَمَاتِ بِضَائِرِ

وقوله أيضاً :

إيَّاكَ والطَّمَعَ الدنِيْءَ وأَنْ يُرَىٰ أَبداً قرينَكَ فَهوَ غيرُ قَرِينِ[3]
الفقرُ يبلىٰ والغنىٰ يُطْغِي فَعُذْ مِنْ فَقْرِ عِيْسَىٰ أَوْ غِنَىٰ قَارُونِ

وكقوله أيضاً :

لَا تَلْتَفِتْ لخيَالَاتٍ حَقِيقَتُهَا وَهْمٌ، وزَيْدَتُهَا فِي الرِّبحِ خُسْرَانُ[4]
فالنَّحْلُ مازَادَها التدبيرُ أجنحةً إلا لتفنَىٰ بهَا والزَّيْدُ نُقْصَانُ
واللَّهِ لأضَرَّ في سرٍّ ولا عَلَنٍ موسىٰ بنَ عمرانَ، فِرْعَونٌ وهامَانُ

ويقول :

ليسَ كلُّ الوُجُوهِ تُطَلبُ للخَيرِ بلِ الخيرُ في الوجُوهِ الصِّبَاحِ[5]

---

(١) المصدر السابق ص ١١٧ .

(٢) مخطوطة الديوان .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٢٨ .

(٥) المصدر نفسه ص ١١٥ .

ويؤيد فكرته بمثلٍ ، حتى وإن كانت الفكرة غير صحيحة أصلاً فيقول :

فالمُعلَّى أعْلَى القِدَاحِ وإنْ كـ ... ـان ما عِلِمْتَ بعضَ القِدَاحِ

وهو في البيت الآتي ليس حكيماً فقط بل وزاهدا في متع الحياة لذلك نسمعه يردد :

خُذْ مِنَ العَيشِ بُلْغَةً إنْ تغدَّيْـ ... ـتَ ولَا تَدَّخِرْ لليْلِ عَشَاءَ[1]

ولا غرابة في ما ذهب إليه فهو قد عرف الحياة بأنها عارية مستردة والناس فيها بين ذاهب وآيب عما قريب :

عَرفْتُ الليالي بعدَ شَيْبٍ فَحَالُهَا ... علىٰ حالِهِ المَعْهودِ قَبْلَ أشِيْبُ[2]

غَضَارتُهَا عاريَّةٌ مُسْتَردَّةٌ ... بهَا وبنُوهَا سالِبٌ وسليبُ

وهكذا يتقلب بنا في مسارب الحياة مستفيداً من تجارب عمره الطويل في ألوان من الشعر التأمليّ الجميل الذي ينسرب إلى النفس فيمتعها ويقنعها !!

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٧ .

الباب الثالث

مكانة الشاعر ابن هتيمل من عصره وشعرائه

١ ــ ابن هتيمل عند شوقي ضيف وابن أبي الرجال.

٢ ــ عصر ابن هتيمل عصر ازدهار الفكر .

٣ ــ موقف ابن هتيمل ومعاصريه من أحداث العصر .

٤ ــ مكانة ابن هتيمل بين محمد بن حمير ومنصور بن سحبان الضمدي .

٥ ــ إجحاف الدكتور الخضيري في المقارنة بين ابن المقرب وابن هتيمل .

١ ـــ ابن هتيمل عند ابن أبي الرجال وشوقي ضيف

قد لا يفيدنا كثيرا قول الناقد الدكتور شوقي ضيف عن ابن هتيمل : (كان شاعراً مجيداً في غزله وفي نسيبه ومديحه) (*) . ولا يغنينا شيئاً ذلك الثناء العاطر الذي أفاضه أحمد بن أبي الرجال في كتابه (مطلع البدور ومجمع البحور) على الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل أثناء ترجمته له ، والتي يقول في بعضها : (السابق الذي يطول على الكل ولا يقصر المغني بومضه عن كل بارق .. روي أنه لما وصل ديوانه إلى مكة اتفق أدباؤها على تفضيله على مشاهير الشعراء ..) (١) ولن يقنعنا قوله عن ابن هتيمل بأنه (فُضِّل على أبي فراس في الشعر) (٢) أو قوله : (روي أنه لما وصل ديوانه إلى مكة اتفق أدباؤها على تفضيله) (٣) وذلك للحيثيات الآتية :

١ ـــ أن هذه الأحكام الجاهزة لم تُؤسَّسْ على دراسة شعر الشاعر مقارنا بشعر الشعراء أو بشعر أبي فراس . لأن أغلب الأحكام النقدية آنذاك كانت انطباعية وقتية ..

٢ ـــ أن أبا فراس(٤) ليس معاصرا لابن هتيمل وإنما عاصره شعراء آخرون في الجزيرة العربية وفي مصر والعراق والشام ، سنأتي على ذكر بعضهم إن شاء الله .

(*) عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف ص ٢١٤ .

(١) بتصرف عن كتاب مطلع البدور مصدر سابق .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) لعل صاحب مطلع البدور يقصد بأبي فراس شاعرا يمنيا عاصر ابن هتيمل وتكنى بهذه الكنية واسمه : فاضل بن عباس بن علي بن القاسم بن دعثم انظر ترجمته في ج١ من مخطوطة مطلع البدور وانظر ص ٧٩ من ج٣ من كتاب تأريخ الفكر اليمني في العصر العباسي .

٢ ـ عصر ابن هتيمل

كان عصر ابن هتيمل برغم ما فيه من أحداث جسام هو عصر ازدهار الفكر بكل ما تعنيه كلمة ازدهار ؛ فقد كان يعج بفطاحل علماء اللغة والبيان أمثال ابن الحاجب صاحب معجم الشيوخ وصاحب مجمع البقاع والبلدان المتوفي سنة ٦٣٠هـ (١) وأمثال ابن مالك صاحب ألفيّة ابن مالك المتوفي سنة ٦٧٢هـ (٢) والسكاكي صاحب المفتاح المتوفى سنة ٦٢٦هـ (٣) . وابن منظور صاحب لسان العرب المتوفى سنة ٧١١هـ (٤) كما كان يعج بعلماء التفسير والحديث أمثال الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير وغيره من المصنفات المتوفى سنة ٦٠٦هـ (٥). والإمام الجزري المحدث صاحب جامع الأصول في أحاديث الرسول المتوفى سنة ٦٠٦هـ كما كان عصره يعج بمشاهير علماء التأريخ والاجتماع أمثال ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان ، ومعجم الأدباء المتوفى سنة ٦٢٦هـ (٦) وابن خلكان صاحب وفيات الأعيان المتوفى سنة ٦٨١هـ (٧). والقفطي صاحب انباء الرواة المتوفى سنة

---

(١) معجم المؤلفين ج٧ ص ٣١٨ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج١٣ ص ٢٦٧ .

(٣) معجم المؤلفين ج١٣ ص ٢٨٢ . «٧» تاريخ الأدب العربي للزيات ص ٤٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ج١ ص ٧٩ . وهناك رازي آخر عاصر ابن هتيمل هو موسى بن محمد الرازي صاحب نظم الوجيز للغزالي في فروع الفقه الشافعي توفى سنة ٧٣٠هـ . ورازي آخر اسمه أبو العباس بدر الدين الرازي عالم بالتفسير والحديث توفى سنة ٦٣٠هـ الأعلام ج١ ص ٢١٧ .

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص ١٠٥ .

(٦) معجم الأدباء ج١ ص ٤٠ .

(٧) فوات الوفيات والدليل عليها ج١ ص ١١٠ ـ ١١١ . وينظر تاريخ الأدب العربي للزيات ص ٤٠٤ والأعلام للزركلي ج١ ص ٢٢٠ .

٦٤٦هـ [(١)] . وابن الأثير صاحب الكامل في التاريخ المتوفى سنة ٦٣٠هـ [(٢)] . وكان عصر ابن هتيمل زاخراً بعدد من علماء الطب والفلسفة أمثال الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ [(٣)] . وغيره .

وكان عصر ابن هتيمل يحفل بعدد من أعلام الصوفية أمثال ابن الفارض صاحب التائية المشهورة المليئة بالشطحات والمتوفى سنة ٦٣٢هـ [(٤)]. وابن عربي صاحب الفتوحات الالهية وغيره من المصنفات والمتوفى سنة ٦٣٨هـ [(٥)] ، كما كان زاخرا بعدد وافر من مشاهير الشعراء أمثال البهاء زهير المتوفى سنة ٦٥٦هـ [(٦)] ومحمد بن حمير المتوفى سنة ٦٥١هـ [(٧)] وابن النبيه المتوفى سنة ٦١٩هـ [(٨)] والشاب الظريف المتوفى سنة ٦٨٨هـ [(٩)] .. والبوصيري صاحب البردة المتوفى سنة ٦٩٥ [(١٠)] . ومنصور بن سحبان الضمدي المتوفى مقتولاً من الأشراف الحرانيين سنة ٧٢٥هـ [(١١)] وابن المقرب المتوفى سنة ٦٢٩هـ [(١٢)] وابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨هـ [(١٣)] وغيرهم وغيرهم .

---

(١) الأعلام ج٥ ص ٢٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٤ ج١ .

(٣) المنجد في اللغة والأعلام ص ٢٥٩ الجزء الخاص بالأعلام .

(٤) هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ص ٢٤ .

(٥) هذه هي الصوفية ص ١٦ .

(٦) تاريخ الأدب العربي ص ٣٥٥ وينظر تاريخ ابن كثير البداية والنهاية ص ٢٢٤ ج٧ .

(٧) العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية ج١ ص ١١٠ – ١١١ .

(٨) تأريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج٢ ص ١٦ وتاريخ الأدب العربي للزيات ص ٣٤٩ .

(٩) (١٢) تاريخ الأدب العربي للزيات ص ٤٠٣ .

(١٠) العقود اللؤلؤية ج٢ ص ٣٨.

(١١) شعر علي بن المقرب العيوني دراسة فنية ص ٨٢.

(١٢) تأريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ص ١٦ ج٢ .

٣ ــ موقف ابن هتيمل ومعاصريه من أحداث عصرهم

وهو إلى جانب ذلك عصر الأحداث الجسام على مستوى العالم الإسلامي لفظت فيه الخلافة العباسية آخر أنفاسها، حيث شهد ذلك العصر غلبة السلاجقة على ما تبقى من مسميات الخلافة العباسية هنا أو هناك، وشهد ويلات هجمات المغول الشرسة، كما شهدَ القضاء على حملات الصليبين الحاقدة على الشام التي حكمت بيت المقدس قرابة مائة عام حتى حرَّرهُ صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، إلى جانب ما كان يتعرض له المسلمون من حروب إبادة في الأندلس، ومع كل هذا فقد خلا شعر شراء الجزيرة العربية في هذه الفترة من ملاحقة هذه الأحداث الجسام أو بعضها أو المشاركة فيها، وكأن الجزيرة العربية برغم وجود الحرمين الشريفين فيها قد ظلت في معزل عن مسرح الأحداث الكبرى، وانشغلت بأحداث جانبية تتمثل في صراعات بعض الأسر الحاكمة على حكم تلك الإقطاعيات الصغيرة هنا أو هناك فالعيونيون أسرة ابن المقرب في الأحساء وآل بركات وبنو عمومتهم في مكة وما جاورها وبنو يعقوب أو الحراميون في حلي والغوانم والذرويون في المخلاف السليماني والقواسم في اليمن الأعلى والرسوليون في اليمن الأسفل وما جاوره، ولكل منهم أنصاره وأتباعه يوزع بينهم الإقطاعيات الصغيرة التي يتوارثونها حتى يأتي من ينتزعها منهم ــ سنة الله في خلقه ــ ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾. لذلك رأينا الشاعر ابن المقرب الأحسائي المتوفى[١] سنة ٦٢٩هـ برغم قربه من مركز ما تبقى من مسمى الخلافة العباسية وبرغم هجراته لبعض الحواضر الإسلامية التي تصطلي ببعض تلك الأحداث رأيناه يحصر شعره في الحديث عن الصراع القائم على السلطة المحلية، وما تعرض له الشاعر نفسه من حرمان المشاركة في الحكم، وما قد يتعرض له أقاربه

الحاكمون من هجمات المجاورين الطامعين، ولا يلمس أحداث الأمّة الجسام إلا لمساً خفيفاً ربما حين تتعرض لمصالح أسرته الحاكمة، أو حين يرغب في مدح أحد الزعماء المعاصرين ربما رغبة في نصرته (أو إعجاباً ببطولاته كما فعل حين مدح الملك الأشرف عقب انتصاراته[1] في دمياط) . ورأينا محمد ابن حمير شاعر اليمن من خلال بعض القصائد التي نقلها الخزرجي في العقود اللؤلؤية أو ما نقله الشامي في كتابه تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي من شعراء . رأينا ابن حمير ينشغل بمدح الرسوليين في اليمن والإشادة بانتصاراتهم على المناوئين دون أن يلمس جراح الأمة النازفة في شعره . ومثله منصور بن سحبان الضمدي فيما نقله الفاسي في العقد الثمين من شعره ... ورأينا ابن هتيمل يحصر شعره كسابقيه في الأحداث المحلية فيمدح أمير المخلاف السليماني ، ويشيد بانتصاراته على المناوئين، ومرة أخرى يمدح أمير حلي وأقاربه، ويشيد بانتصاراتهم وتارة يمدح أمير الرسوليين في اليمن الأسفل أو أمير القاسميين في اليمن الأعلى، أو أمير ظفار، كما يمدح أشراف مكة، وآخر من مدحه منهم أبو نمي المتوفى سنة ٧٠١هـ [2]. وهكذا طوّف

---

(١) ابن المقرب حياته وشعره ص٥٨ لعمران العمران . والأشرف هنا أحد المماليك في مصر وليس الأشرف الشريف .

(٢) تاريخ مكة للسباعي ص ٢٦١ الطبعة الرابعة ، واسمه محمد بن أبي سعد وليس محمد بن سعيد كما وهم العقيلي في الجزء المطبوع ص ٧٩، وقد مدحه ابن هتيمل بقصيدة يقول في مطلعها :

يقول متلفه في الحب واديه ... وليس من عزمه واديه واديه

إلى ان يقول مشيرا إلى اسمه :

يهني بني حسن ما سر سيدهم ... محمد بن أبي سعد ويهنيه

انظر الجزء المطبوع من الديوان ص ٧٩ . غير أن محقق هذا الجزء جعل اسم الممدوح محمد بن سعيد خلافا لاسمه الوارد في قصيدة ابن هتيمل بالمخطوطة .

ابن هتيمل في معظم أنحاء الجزيرة العربية ومدح أمراءها وأشاد بانتصارات بعضهم على بعضهم دون أن نجد له في شعره الذي وصلنا مشاركات عامة عدا أبيات معدودة تحدث فيها عن كسوة الكعبة المشرفة أثناء مدحه للملك المظفر الذي قام بهذه المهمة بعد أن اتفق مع شريف مكة أو أخضعه لسلطته .. حين قال :

وكَسَوْتَ بيتَ الله أشرفَ كِسْوَةٍ   نُشِرَتْ عليهِ وكَانَ كَالعُرْيَانِ[1]
وعميدُ مِصْرٍ مِنْكَ يَبْغِي نُصْرَةً   وأُخُوّةً في السِّرِّ والإِعْلَانِ

وعدا إشارة فيها دعوة إلى اتحاد محلّيٍّ ضد عُمَّال الرسوليين الوافدين على المنطقة وضد صنائع الشعوبيين .. وضد كل غريب على وحدة المسلمين، وهذه الإشارة نلمسها في قصيدة وجهها إلى كل من الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين والإمام أحمد بن الإمام المنصور بن حمزة صاحب ظفار حين ثارا مجتمعين على المظفر واستردا منه صنعاء عنوة وأجلياه إلى حصن براش فاهتبل الشاعر فرصة تعاون الأميرين المحلّيين ضد الوافد الأجنبي واستغلها فرصة وجَّه من خلالها الدعوة إلى بقية الأمراء المحليين للاتحاد والتعاون ضد الأجنبي فقال :

إنَّ الخلافةَ وجهٌ مابه كَلَفُ   بالأحْمدَيْن وعينٌ مَا بِهَا رَمَدُ
أضْحَتْ بفضلِهِمَا كالْكَفّ يعْضدُها   عُضْوان: ذَا ساعدٌ فيها، وذَا عَضدُ
تَكَامَلَتْ بِهمَا حتّى كأنّهُمَا   من التّمَازُجِ فيهَا الرُّوحُ والجَسَدُ

وحين فشلت الحملة وذلك بسبب عدم تعاون بقية الأمراء المحلّيين التفت إليهم معاتبا ولائما فقال :

---

(١) مخطوطة الديوان .
(٢) العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية ج١ ص ٩٥ ــ ٩٧ .

فَمَا لِبَعْضِ بَنِي المَنْصورِ طَوَّحَهُمْ عنكُمْ وَحَادَ بِهِمْ عنْ نصرِكُمْ حَسَدُ[1]

أمرٌ ثناهُ لكم ثانٍ فمن غَبَنٍ في الرأي أن يتساوىٰ الغيُّ والرُّشَدُ

أَحِينَ صَرَّحَتِ الأيَّامِ حَقَّكُمُ مَحْضاً وصَارَ جُفاء ذلِكَ الزَّبَدُ

وراسلَتْكُمْ تَعِزُّ مِنْ تَذَلُّلِهَا بالرَّغْمِ وانتظرتْكُمْ حَيْسُ والجَنَدُ[2]

وأَذْعَنَتْ فِرَقُ الإشْرَاكِ واعْتَقَدَتْ بالسيفِ مالَمْ تكن بالحقِّ تَعتَقِدُ

نِمْتُمْ وعَظَّمَ حالَ العُجْمِ كَوْنُكُمْ صدَدْتُمُ وَهَمُ في دَارِكُمْ صَيَدُ

وفيما عدا ذلك فشعر ابن هتيمل كسابقيه خِلوٌ من ذكر أي من تلك الأحداث أو المشاركة فيها، وكأن شعراء الجزيرة العربية ــ كما أسلفنا ــ قد شُغلوا بتلك الصراعات المحلية الصغيرة عن أحداث الأمة وصراعاتها الكبرى، فلم نجد لهم أية مشاركات جادة في تلك الأحداث عدا مشاركة الشاعر علي بن محمد التهامي في القرن الخامس الذي رحل إلى العراق والشام واعتقل في مصر ومات في سجنه سنة ٤١٦[3] وعدا مشاركة شاعر الجزيرة في القرن السادس عمارة الحكمي الذي شارك في بعض أحداث الأمة، فدفع ثمن تلك المشاركة بأن قتله الفاطميون في مصر سنة ٥٦٩هـ بعد ظهور الأيوبيين .[4]

---

(١) الجزء المطبوع ص ١٤٦ ــ ١٤٨ وبعض أبيات من مخطوطة الديوان لم يذكرها صاحب الاختيار برغم أهميتها .

(٢) حَيْسُ والجَنَد : مدينتان ساحليتان من مدن اليمن التي كانت تساند ثوار الجبال في صنعاء وما حولها .

(٣) مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن ص ٣١٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣١٧ .

٤ ـ مكانة ابن هتيمل بين محمد بن حمير ومنصور بن سحبان

والحديث عن مكانة الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل بين شعراء عصره أبناء الجزيرة العربية يعوزه كثير من الدقة، فابن حمير اليمني، ومنصور ابن سحبان الضمدي المخلافي ، قد فُقِدَ الكثير من شعرهما عدا ما ذكره الخزرجي في كتاب (العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية) من شعر محمد بن حمير حيث أشار إلى أن لابن حمير ديواناً عزيز الوجود .[١]

وما أورده أحمد محمد الشامي في كتابه تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي حيث توسع قليلاً في تلك النماذج[٢] . ومثله شعر ابن سحبان الذي لا نعرف منه إلا مقطوعات أوردها الفاسي في كتاب (العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين) وقد «ذكر أنه مات مقتولاً سنة ٧٢٥ من الأشراف الحرانيين كما يقول الخزرجي بعد أن هجاهم كما هجا بعض رؤساء العرب»[٣] . وإن كان منصور بن سحبان قد وضع مفاضلة تفتقر إلى الدقة وتحتاج كثيراً إلى التمحيص وبخاصة أننا نشمُّ منها رائحة التنافس بينه وبين مواطنه ابن هتيمل [٤] ـ وقديماً قيل : (المعاصرة حجاب) ـ فقد ذكر الخزرجي ما نصه : (ورأيت بخط الفقيه الإمام العلامة أبي العباس أحمد بن عثمان بن بصيص النحوي بيتين من الشعر وهما :

---

(١) انظر العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية للخزرجي ج١ ص ١١١ .

(٢) تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ج٤ ص ٩١ ـ ١١٥ .

(٣) العقود اللؤلؤية جَ٢ ص ٣٨ .

(٤) يوافقنا في عدم مصداقية هذا الحكم الناقد والشاعر والمؤرخ الأدبي أحمد محمد الشامي في كتابه: التاريخ الفكري لليمن في العصر العباسي ج٤ ص٤٦ حين قال:(أنا لا أستطيع أن أوافق هذا الناقد أو أن أتقبل حكمه) .

أمـا قصائـد قاسم بن هتيمـل فمذاقهـا أحلى من الصهبـاء

هو شاعـر في عصره فطـن وَلـ كِنّ ابـن حمير أشعـر الشعـراء

ويقال : إن هذين البيتين لابـن سحبان قالهما وقـد سئـل أي الشاعرين المذكوريـن أفصح؟[1] وقـد أنصف المؤرخ الأديب العلامـة أحمد محمـد الشامي بعد ذكر هذين البيتين حيث قال : (ولا أستطيع أن أوافق هذا الناقد أو أتقبل حكمه بسهولة ويسر...) إلى أن قال : (فابـن هتيمـل كأن أصفـى نفساً وأكـرم أخلاقاً) [2] كما يورد العقيلي رسالتين متبادلتين بين الشاعر محمد بن حمير، والشاعر القاسم بن علي بن هتيمل، يمتزج فيهما الشعر بالنثر وقد بدأها ابن حمير، وفي هاتين الرسالتين نجد اعتراف كل من الشاعرين للآخر بفضله وسبقه وإن كانت تلك الاعترافات تصب في ينبوع المجاملات نسمع محمد ابن حمير يعترف لابن هتيمل بالسبق فيقول :

أنت مولى الكرام لاغالك الدهـ ـر وفحل الكلام حيث الكلام[3]

وبيـوم السبـاق أنت المجلي كم جرى بعـدك الرجـال وقامـوا

ويقول في مقطع آخر :

وإنما الجهـل غطـى كل مثلبـة وشاعر الشام يرعـى شاعـر اليمن

يقصد بشاعر الشام ابن هتيمل ..

---

(1) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي ج١ ص ١١١ . ط الهلال بالفجالة سنة ١٣٢٩هـ .

(2) تاريخ اليمن في العصر العباسي ج٤ ص ٤٦ ــ ٤٧ لأحمد محمد الشامي .

(3) الأربعاء ــ ملحق صحيفة المدينة العدد ٤٩ في ١٤٠٤/٤/٢٢هـ ــ من مقال للشيخ محمد العقيلي وانظر الصفحات من ٥٢ ــ ٥٧ من كتاب تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ج٤ ص ٥٢ إلى ٥٧ .

كما نستمع لابن هتيمل وهو يجامل صاحبه فيقول معترفا بفضله :

إنَّما لابــنِ حميــرٍ قدمُ السَّبْــــ ـــق وحيــداً وتستــوي الأَقْدَامُ

أنا لَوْلاكَ ما عُرِفْتُ ومــا السَّيـــ ــلِ بِشَيْءٍ في الأصل لَوْلَا الغَمَــامُ

نَحنُ سيفَا غِمْدٍ وقد عَلِمَ العَــا لَـمُ أنَّــا ذُو النُّــونِ والصِّمْصَامُ[1]

وهذه وتلك مقارضات بين صديقين، أو سمها مجاملات لا يعولُ عليها في تمييز شاعر منهما على الآخر ولا يتحقق ذلك إلا بدراسة مقارنة بين شعر الشاعرين وذلك متعذر؛ مادام الحصول على ديوان ابن حمير لا يزال متعذراً في الوقت الحالي على الأقل .. فما أورده الخزرجي من شعره .. والنماذج المحدودة التي ذكرها[2] الشامي لا يكفيان للمقارنة أو إصدار الأحكام النقدية الحاسمه !!

وإذن فلم يبق أمامنا إلا علي بن المقرب العيوني الذي طبع ديوانه ونشر شعره ودرس من أكثر من دارس، ليس آخرهم عمران محمد العمران — صاحب كتاب ابن مقرب حياته وشعره ولا الدكتور علي بن عبد العزيز الخضيري الذي أصدر في عام ١٤٠١هـ كتابا عن ابن المقرب جعل عنوانه « علي بن المقرب حياته وشعره » وعقد في آخره فصلا تحدث فيه عن مكانة ابن المقرب بين شعراء عصره، وتناول ابن هتيمل المعاصر لابن المقرب فلم ينصف ابن هتيمل فكان لي مع الخضيري حديث طويل جعلت عنوانه : « الدكتور الخضيري بين ابن المقرب وابن هتيمل» [3] لا أجد علي غضاضة

---

(١) المصدر السابق ص ٥٦ .

(٢) انظر المصدر السابق الصفحات من ٩٢ إلى ١١٧ .

(٣) نشر بصحيفة المدينة عدد ٦٠٠٢ الصادر بتاريخ ١٤٠٣/١١/٢٤ وعدد ٤٠٠٩ بتاريخ ١٤٠٣/١١/١٨هـ صفحة التراث .

من سرده على الصفحات التالية مع إضافة أو إضافات جديدة ففيه نعرف أين يقف ابن هتيمل بين شعراء عصره ومن خلاله نتعرف على بعض مستويات شعر ابن هتيمل مقارنا بشعر معاصره ابن المقرب .

٥ ـ إجحاف الدكتور الخضيري في المقارنة بين ابن المقرب وابن هتيمل

من الدراسات الجادة، بل من البحوث الرصينة، صدر عن مؤسسة الرسالة ببيروت في عام ١٤٠١هـ كتاب بعنوان : (علي بن المقرب حياته وشعره) من تأليف الدكتور علي بن عبد العزيز الخضيري، وبرغم حرصي على الاطلاع على أمثال هذا الكتاب من الدراسات الت تعنى بالتراث ، إلا أنه لم يقدر لي العثور عليه إلا متأخراً.

والكتاب كما يقول المؤلف : « رسالة [٢] نال عليها درجة الدكتوراه» والحق أنه بحث جيد أتىٰ فية الدكتور الخضيري على مراحل حياة الشعر ، ودرس من خلالها مراحل شعره ، حيث استقصى كافة الظواهر الفنية في شعره ، وأوفىٰ الشاعر حقه من البحث ، وأوفىٰ شعره مايستحق من الدراسة والتمحيص ، فخرج بكتاب تزيد صفحاته عن أربعمائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، وهى صفحات ليست حشواً كما تطالعنا بعض الدراسات ، ولا تكرارا كما يصنع بعض الدارسين ولكنها دراسة متأنية من رجل جاد كالدكتور الخضيري ، وبإشراف جهبذ فذ هو أستاذنا الجليل الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، ولست بهذا أبرئه من الوقوع في الخلل أو الخطأ ، ولكنها هنات بسيطة لابد لأي عمل كبير كهذا أن يقع في شيء منها .

ولقد نال شعر علي بن المقرب حظاً لا بأس به من اهتمامات الدارسين فقد طبع ديوانه مايزيد على أربع طبعات ، وقد كتبت عنه العديد من الدراسات الأدبية لعل أهمها هذا الكتاب الذي نحاول أن نقلب صفحاته الى

---

(١) الصفحة الأولى بعد الغلاف .

جانب تلك الدراسة التي نشرها منذ فترة : الأديب عمران العمران .[1]

كما أشاد بذكر الشاعر عدد من الباحثين أمثال الدكتور شوقي ضيف والشيخ العلامة حمد الجاسر وسواهما ، وهذه وتلك اهتمامات يستحقها ابن المقرب وشعره الذي يسجل فترة نسي التاريخ تسجيلها في إقليمه . غير أنني وجدت الدكتور الخضيري انطلاقاً من هذه الاهتمامات قد بالغ في تفضيل الشاعر ، حتى جعله أشعر شعراء عصره ، ونابغة زمانه ، فهو حين قارنه ببعض شعراء عصره ممن يتفوق بعضهم على ابن المقرب ، لم يخف هذه العاطفة ، ولم يترك للقراء فرصة الحكم على مكانة شاعره ومن قارنه بهم بل نجده قد تدخل ـــ متأثراً بتعمقه في دراسة شعر ابن المقرب ـــ فاندفع إلى تفضيله على معاصريه دون إحاطة بشعرهم

وأبدأ أولاً فأذكر الدكتور الخضيري أن قرب أي شاعر من بلاط الحكم في عصورنا الأدبية كان سبباً في بلوغ عدد من الشعراء الى قمة الشهرة والمجد ، وإلى انطواء آخرين في زوايا الإهمال والنسيان ، ممن لم يقدر لهم الاتصال بالخلفاء والأمراء ولا نزال نعثر على شعراء ابتلعتهم طاحونة النسيان من أمثال ابن دنينير الذي عاش في العصر العباسي ، وبقي شعره مطموراً طوال هذه السنين حتي قيّض الله له من ينتشله أخيراً من ركام القرون بدراسة وافية ينتظر أن تري النور قريباً[2] ، وأمثال ابن دنينير ممن خرجوا إلى دائرة الضوء بعد عشرة قرون أو تزيد من عمر النسيان كثير وجميعنا نعلم أن ذاكرة الأدب العباسي لم تحفظ في دائرة لألائها إلا المتنبي ، وأبا تمام ،

---

(١) صدر كتاب عمران العمران عن ابن المقرب عام ١٣٨٨هـ عن مطابع الرياض والواقع أن كتاب العمران يعتبر من الدراسات الرائدة والمتعمقة في حياة ابن المقرب وشعره .

(٢) رسالة دكتوراه من إعداد الدكتور محمود شاكر رئيس قسم اللغة العربية بكلية إعداد المعلمين في جازان .

والبحتري ، وابن الرومي ، والشريف الرضي، إلى جانب عدد آخر ممن سموهم المولدين ، ولا يزيد عددهم على أصابع اليد، بما فيهم شعراء الغزل والمجون، في حين تؤكد لنا الدراسات أن العصر العباسي : هو العصر الذهبي للغة والأدب ، ومعنى ذلك أنه لن يكون شعراؤه بالعشرات ، وإنما لابد أن يكونوا بالمئات ممن طوتهم يد النسيان !

إذا فدوي صيت ابن المقرب يرجع سببه إلى نواح : منها : تدفق شاعريته ولكن إلى جانب ذلك انتماؤه إلى أسرة حاكمة من جهة، واتصاله بملوك زمانه في عاصمة الخلافة ، كالملك العادل وغيره من ملوك الأيوبيين من جهة أخرى .

على أنني أعود إلى دراسة الدكتور الخضيري فأجده قد بالغ في تفضيله على شعراء عصره الذين قارنه بهم أمثال الشاعر الدمشقي ابن عنين المولود سنة (٥٤٩) والمتوفى سنة (٦٣٠) [١] ، والشاعر العراقي سبط بن التعاويذي المولود سنة (٥١٩) والمتوفى سنة (٥٨٤)[٢] ، والشاعر الخلافي الضمدي القاسم بن علي بن هتيمل المولود في آخر القرن السادس تقريباً والمتوفي في آخر القرن السابع الهجري ــ كما تشير القرائن في شعره وربما كان الخضيري أقل إجحافا بابن هتيمل ومعاصريه من الأستاذ عمران العمران الذي جزم (بأن الجزيرة العربية في القرن السابع كانت في منتهى العقم الفكري حيث كانت تعيش عهداً متخلفاً[٣] في الأدب والشعر حتى جاء ابن المقرب

---

(١) علي بن المقرب حياته وشعره للدكتور الخضيري ص ٣٨٨ .

(٢) **المصدر السابق ص ٣٩٩ وفي معجم الادباء للحموي وفاتة سنة ٥٨٣ جـ ١٨ من ص ٢٣٥ إلى ٢٤٩ ، وكذلك في تاريخ آداب العرب** لجورجي زيدان ج٢ ص ٢٤ ومثل ذلك في أعلام الزركلي ج٦ ص ٢٦٠ .

(٣) ابن مقرب حياته وشعره للأستاذ/ عمران محمد العمران ص ٦ ط مطابع الرياض عام ١٣٨٨هـ .

ليجدد لها العهد بدولة الأدب وصولجان الشعر) .

والحق أنني برغم إعجابي بشاعرية ابن المقرب الثرة، فإنني كنت أشم في ثنايا شعره روح التقليد والمحاكاة ليس من قبيل وقوع الحافر على الحافر فقط، ولكن من قبيل وقوع الألفاظ على الألفاظ وكنت أتهمه بالوقوع بين أحضان المتنبي !! حتى جاءت دراسة الدكتور الخضيري ، فأكدت لي هذه الحقيقة ، وأضافت إلى معرفتي ومعارف القراء أن ابن المقرب يحاكي ويقلد شعراء آخرين أمثال أبي تمام ومعن بن أوس ، والشريف الرضي ، وبشار بن برد، وسواهم وأعجبني في هذا المقام قول الدكتور الخضيري (ص ٢٢٢) بعد أن يذكر اعتزاز ابن المقرب بالإمارة في قومه وبأمجاد أسرته : (ومع ذلك فإن ابن المقرب يقلد أبا الطيب ويتبع خطاه ، فإذا افتخر المتنبي بقوة شاعريته وانقياد المعاني له بقوله :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

فابن المقرب يفخر بمثل ذلك حين يقول :

ولأهدين إلى علاك مدائحا ... ينسيك شاديها الغريض ومعبدا
وإليك من در الكلام جواهرا ... يُعْيِي الفرزدق نظمها ومزردا[1]

ويستمر الدكتور الخضيري في سرد الأبيات التي يحاكي فيها المتنبي وليته استقصى كل محاكاته إذاً لخرج علينا بربع شعر ابن المقرب الذي يمثل صورة طبق الأصل من المتنبي، معاني وأفكارا وصورا [2] وينصف الدكتور

---

(١) علي بن المقرب حياته وشعره ص ٢٢٢ للدكتور الخضيري .

(٢) وكان الأستاذ عمران محمد العمران قد سبق الدكتور الخضيري في كشف تأثر ابن المقرب بشعراء العربية بل وأخذه عنهم وتوسع في ذكر النماذج التي قدمها الشعراء وبخاصة المتنبي حتى في الوزن والقافية وضرب لذلك أمثلة بشعر شعراء

الخضيري حين يستمر في عرض محاكاة ابن المقرب للأقدمين وأخذه عنهم فيقول في صفحة (٢٢٦) معلقا على أبيات ابن المقرب التي يذكر فيها صفحه عن جهال قومه حين قال :

وأصفح عن جهال قومي حمية ... وإن أسرجوا في هدم عزي وألجموا
وإن قطعوا أرحام بيني وبينهم ... وصلت وذو العليا أبر وأرحم

يقول الدكتور الخضيري تعليقا على هذه الأبيات : (فتلك صورة لأبيات معن بن أوس المشهورة :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلم[1]

وأضيف إلى ما ذكره الدكتور الخضيري أنها ربما كانت مأخوذة عن قصيدة المقنع الكندي التي يقول فيها :

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هم هووا غَيِّي هويت لهم رشدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

والبيت الأخير وثيق الصلة بالبيت الثاني من أبيات ابن المقرب كما ترى !! على أن الدكتور الخضيري قد اكتشف أن ابن المقرب قد أخذ عن بعض معاصريه الذين قارنه بهم فها هو يأتي على معان وأفكار لمعاصره سبط التعاويذي حين قال :

خجلت من عطائك الأنواء ... وتَجَلَّتْ بنورك الظلماء

في مختلف العصور ، انظر الصفحات من ١٣٧ ــ ١٥٩ من كتاب (ابن المقرب حياته وشعره للأستاذ/ عمران محمد العمران ط١ مطابع الرياض سنة ١٣٨٨هـ .

(١) علي بن المقرب حياته وشعره ص ٣٣٣ للدكتور الخضيري .

واستجـــابت لك الممـــــالك إذْ عانـــــاً وفيها على سواك إبــــــاء

وأهـــنت المال العزيـــز على غَيْـــــ رك حتـــى استـــوى الثرىٰ والثراء

فقد أتى ابن المقرب على هذا المعنى وحتى على الوزن والقافية والبحر فقال :

بمعـــــــاديك لابك الأسواء ولحسادك الثرى لا الثراء

ولك الناس والبلاد ومـــن جَـــا دَ وأكـــــدى من كل سوء فداء

يقـول الدكتـور الخضيري مؤكـدا هذه الحقيقـة : (لقـد تشابـه أسلـوب الشاعرين حتى بدا الثاني ــ أي ابن المقرب ــ وكأنه قد أخذ من **الأول**) [1].

وأضيـف إلى ما ذكـره الخضيري أن ابـن المقـرب قد أخـــذ الألفـــاظ والمعـاني والـوزن والقافيـة والبحـــر من معـــاصره الآخر ابـــن عنين حينما قال الأخير :

فألفيتـــه يهوى النـــدى فتـــرده عروق الى أخواله الـــزرق تنتمـــي

إذا أيقظتـــــــه نخوة عربيـــــــة إلى المجد قالت أرمنيتـــــــــه : نم

فقال ابن المقرب :

تسلطـــن بالحدبـــاء عبـــد بلؤمـــه بصير بلا عن نبـل مكرمـــة عَمِـــي

إذا أيقظتـــــه لفظـــــة عربيـــــة إلى المجد قالت أرمنيتـــــــــه : نم

فأنت تلاحظ أن البيت الثاني متفق الألفاظ عند الشاعريـن ما عدا كلمـة (نخوة) فقد غيرها ابن المقـرب بكلمـة: (لفظـة) ولـن يكـون كل هذا من قبيـل توارد الخواطـر ولا من قبيـل وقـوع الحافـر على الحافـــر ، وإنما هو من قبيـــل وقوع الحروف على الحروف .

---

(١) علي بن المقرب حياته وشعره ص ٤٠٠ للدكتـور الخضيري وانظر ص ١٨٠ من كتـاب شعـر علي بن المقـرب العيـوني دراسة فنيـة للدكتـور أحمد موسى الخطيب ط دار المريخ .

ومسألة المحاكاة والتقليد لا تحتاج إلى نقاش ندخل فيه مع الدكتور الخضيري فقد قرر ذلك بنفسه في غير ما موضع من كتابه ، فليراجع من شاء الصفحات (٢٢٠إلى ٢٢٧) وكذلك الصفحات من (ص ٢٥٨ ـــ ٢٦٠) وكذلك صفحة (٤١٦) وما بعدها وكذلك الصفحات (٣٠٦) ومابعدها ، كما أكد ذلك الدكتور أحمد موسى الخطيب في كتابه (شعر علي بن المقرب دراسة فنية) فقال : «وقد نتجاوز إعجابه بأبي الطيب ومعانيه إلى حد من التقليد البغيض في الصياغة والشكل» [(١)]

غير أنني كنت آمل وقد لمس هذه الحقيقة بنفسه ألا يفضله على شاعر كابن هتيمل الذي سماه شعراء الجزيرة في عصره، بأبي فراس عصره بل ربما فضله بعضهم على أبي فراس [(٢)] كما احتفى بشعره شعراء مكة وقدموه على كثير منهم[(٣)].

وقد ترجم له العلامة الحسن بن أحمد عاكش في كتابه : «الديباج الخسرواني» وعده من كبار شعراء عصره غير مدافع .[(٤)]

كما ترجم له صاحب كتاب تاريخ الفكر العربي والإسلامي فجعله من كبار شعراء عصره[(٥)] وقد طغت شهرته في عصره على شعراء آخرين أمثال ابن سحبان الضمدي الذي ترجم له صاحب كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين وأورد له عشر قصائد من جيد شعره .

---

(١) شعر علي بن المقرب العيوني دراسة فنية للدكتور أحمد موسى الخطيب ص ٢٣٣ .

(٢) كما فعل صاحب مطالع البدور الجزء الأول مخطوط عن نسخة غير مرقمة الصفحات .

(٣) المصدر السابق .

(٤) مخطوط الورقة ٥٧ وانظر الورقة ٢٦، ٢٧ من كتاب الجواهر اللطاف في أنساب أشراف صبيا المخلاف لمحمد حيدر القُبِّي .

وأمثال محمد بن حمير شاعر اليمن الكبير، الذي ترجم له صاحب كتاب «العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية» فقال: (هو أوحد شعراء عصره وشعره كثير وله ديوان شعر جيد عزيز الوجود) وقال: (ورأيت بخط الفقيه الإمام العلامة العباس بن أحمد بن بصيص النحوي بيتين من الشعر هما:

أما قصائد قاسم بن هتيمل — فمذاقها أحلى من الصهباء
هو شاعر في عصره فطن ولكنَّ ابن حمير أشعر الشعراء

ويقال أنهما لابن سحبان الضمدي قالهما وقد سئل أي الشاعرين أفصح؟) [1]

وابن هتيمل قبل هذا وذاك صاحب الإبداعات التي تجاوزها دكتورنا الفاضل، وأخذ ينتقي بعض الأبيات التي لا تتمثل فيها قوة شاعرية ابن هتيمل ـ والكمال لله سبحانه ـ نعم لم يقارن الدكتور بين جيد شعر ابن هتيمل وجيد شعر ابن المقرب وبين هزيل شعر ابن المقرب وهو كثير وهزيل ابن هتميل وهو قليل جداً فيما طبع من شعره.

ولأوضح للقراء أن الدكتور الخضيري قد تجنى على ابن هتيمل حين قارنه بشاعره الذي ربما فاقه في غزارة الإنتاج فقط، ولكنه تخلف عنه بمراحل في الجودة والإتقان!! ولو عاد الدكتور الخضيري إلى ديوان ابن المقرب لينتقي منه ما يستحق الوصف ـ في عرف نقاد الأدب ـ بالإبداع لوجدها قصائد قليلة لا ترقى إلى جودة شعر ابن هتيمل ولا تدانيها، وفيما عدا تلك القصائد القليلة فشاعره ابن المقرب إما محاك مقلد، وإما صاحب جلبة يختار أكثر الألفاظ قعقعة على حساب أصعب المعاني المكررة، وخاصة في

---

(١) انظر ص ٣٢٠ من كتاب مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن للحبشي.
(٢) العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية للخزرجي ج١ ص ١١١.

المديح [١] ، وإني لأحسب طول نفسه في بعض قصائـــــده حاصلا بسبب اهتمامه بسرد التفصيلات الجزئية التي يميل الشعر إلى إيجازها والتلميح إليها وإلى إلحاحه على المعاني بشكل يسترعي الانتباه وليس لذلك من تعليل سوى نضوب أفكاره أمام إصراره على الإطالة . [٢]

ولو أراد الدكتور الخضيري إنصاف ابن هتيمل ، لعاد إلى مخطوطة الديوان التي توجد نسخ منها لدى كل من الشيخ العلامة حمد الجاسر والشيخ العلامة عبد الله بن عقيل، وهما من هما علماً وكرماً وتعاوناً مع طلاب العلم، كما توجد نسخة ثالثة في مكتبة دار الكتب بمصر إلى جانب نسخ مخطوطة أخرى في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة إلى جانب نسخ أخرى في مكتبات صنعاء والهند وعُمَان ومصر وسواها ، نعم لو أراد الانصاف لرجع إلى إحدى مخطوطات الديوان، واختار بنفسه من فيض ابن هيتمل الزاخر ، المليء بالشعور الحي المتدفق ، دون الاعتماد على ما اختاره محقق الديوان الذي بتر كثيراً من مطالع القصائد ، وفصل بين بعض مقاطعها، ولو فعل ذلك فسوف يتراجع عن حكمه الذي أصدره على ابن هتيمل أثناء مقارنته بشاعره ابن المقرب حين قال : « وشعر ابن هتيمل متوسط الجودة من الناحية الفنية» [٣] ولربما سحب حكمه الآخر على مراثي ابن هتميل الذي يذهب فيه «إلى أن بعض معانيه مبتذلة كما في رثاء زوجته» [٤] لو عاد الدكتور إلى هذه القصيدة لأدرك بفطنته أن النص مبتور فلا يوجد مطلع القصيدة ولا خاتمتها ومع أن الابتذال يطلق ـ غالباً ـ على الألفاظ فإني

---

(١) علي بن المقرب حياته وشعره للخضيري ص ١٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ وانظر ص ١٨٨ من كتاب شعر علي بن المقرب دراسة فنية للدكتور أحمد الخطيب .

(٣) المصدر السابق ص ٤٠٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٠٧ .

أتساءل : أي ابتذال في قول ابن هتيمل في رثاء زوجته :

وحسبك أني حول قبرك كلما هت كبدي مستغفر مترحم[1]

ويأتي بعد هذا البيت مجموعة أبيات تصور مقدار ما أصابه من الحزن والأسى وتكون مجموعتين من التشبيهات الضمنية والبليغة المركبة، لا يدركها إلا صاحب ذوق بلاغي تمرس بتذوق أمثالها من عيون الشعر على أن لابن هتيمل مرثية أخرى في زوجته أورد شوقي ضيف جزءاً منها في كتابه : (عصر الدول والإمارات) وقال عن تلك القصيدة : (والمرثية تمتلىء بمشاعر صادقة)[2] ولم يقل : بمعانٍ مبتذلة!! بل قال عن ابن هتيمل وشعره قول الناقد الحصيف : (وفي الحق أن ابن هتيمل كان شاعراً مجيداً سواء في مراثيه أو في غزله ونسيبه أو مدائحه)[3].

ولعليّ أتساءل أيضاً مع الدكتور الخضيري فأقول : أيُّ ابتذال في شعر ابن هتيمل الآتي في رثاء أخيه وأخته والذي يقول فيه :

قُصَارَىٰ المرء ردُّ المُسْتَعَار وسائلةُ الحياةِ إلي قَرَار[4]

ولسْنَا بالخِيَار على اللّيَالي ولكنَّ اللّيَالي بالخِيَار

فَلَا يأمنْ عثَار الدّهرِ حَيٌّ فَلَيسَ الدَّهرُ مَأمونَ العِثَارِ

ويستمر على هذا المنوال إلى أن يقول :

رأيتُكُما أرقَّ عَلىٰ اليَتَامَىٰ وأرأَفَ في التَّحَنُّنِ من صوَارِ

---

(١) ديوان ابن هتيمل ص ٩٦ .

(٢) عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف ص ١٢٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ١١٧ .

(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ٨٨ .

وأحْفَظَ للحُقُوقِ إذَا أُضيعَتْ لِذِي قُرْبىٰ وأرْعَىٰ للجَوارَ[1]

بل أي ابتذال في قول ابن هتيمل في رثاء أخيه خليفة :

ما شاءَ بعدكَ فليأتِ به الزمنُ فلا السُّرورُ يواتِيني ولا الحَزَنُ
قد كُنتَ للدِّين روحاً يستقلُّ بهَا في أهلِه فتولَّىٰ الروحُ والبَدَنُ
آسىٰ عليكَ ومالي يَاخليفَةُ لاَ آسَىٰ وقَدْ صدَقَتْني بعدَكَ الفِتَنُ
تغيَّرتْ بهجَةُ الأيَّام وانتقَضَ الْـ ـعَهْدُ الوثيقُ وحَالَ الحَيُّ والسَّكَنُ

ويختمها بقوله :

أمَا وقَدْ قادَكَ الموتُ الذي يدُهُ لكلِ آب أبيٍّ جامح رَسَنُ
فاذهبْ حميداً وإن أصبحتَ مُرتَهَناً فرداً فكلٌّ بما لاقيتَ مُرتَهَنُ[2]

لا أظن الدكتور إن أعاد النظر في هذه الأبيات ومثيلاتها من شعر ابن هتيمل الذي يتماوج بالصور والظلال فيكوّن في مجموعه سلاسل ذهبية هي في سلاستها ووضوحها ما عبر عنه أسلافنا : بالسهل الممتنع إلا متراجعاً عن هذه الأحكام ولا أظنه إن قرأ قول المؤرخ والناقد الأدبي أحمد محمد الشامي عن شعر ابن هتيمل الذي جاء فيه : (من يقرأ شعر ابن هتيمل بتبصرٍّيحكم برسوخ قدمه وتمكنه من صناعة القريض وبرقة مشاعره وسمو بيانه وقوة خياله وغزارة مادته العلمية وسعة اطلاعه ومعارفه التاريخية والجغرافية ، ومع أنه من شعراء القرن السابع الهجري .. فإنك حين تصغى إلى ابن هتيمل لاتظن إلا أنك تستمع إلى شاعر فحل من شعراء القرنين الثالث والرابع الهجريين أوج ازدهار الشعر العربي)[3] أو تطوّع فقرأ قول الناقد الأدبي الكبير الدكتور شوقي

---

(١) المصدر السابق ص ٨٨ — ٨٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٩٨ — ٩٩ .
(٣) تاريخ اليمن الفكري ج٤ ص ٤٧ .

ضيف الذي قال عن ابن هتيمل : (وفي الحق أن ابن هتيمل كان شاعرا مجيداً سواء في غزله أو في مدائحه ، ونسيجه اللفظي متين قوي وكلماتـــه تروق السمع بجرسها وحسن انتقائها إذ كان يعرف كيف يصطفي لفظه وكيف يلائم بين كلماته ملاءمات تَلذُّ الأُذن حين تُصيخ إليها وتلذ اللسان حين ينطق بها وهو بحق ماهر صائغ)[1]. لاأظن الدكتور إن فعل ذلك إلاَّ مُتراجعاً عن تلك الأحكام القاسية.. ولعل السؤال الأخير في مراثي ابن هتيمــل هو : هل قرأ الدكتور قول ابن هتيمل الآتي :

أَرُكْبَانَ رسلاتٍ خِفَـافٍ خِفَافُهَـا ... طِوالٍ مَثَانِيْهَـا دَوامٍ أنوفُهَـا
بَرَىٰ نْحضَها[2] طُوْلُ السُّرىٰ فكأنَّهَا ... عراجينُ نَخلٍ مَالَ عنهُنَّ لِيفُهَا
تُواهِـقُ هُوْجَ الذَّاريـاتِ كأنَّمـا ... زَفِيفُ الرِّئَـالِ النَّافِـرَاتِ زَفِيفُهَـا

★ ★ ★ ★

لمن تخِذُونَ اليَعْمَلَات ومنْ لَكُـمْ ... إذَا الحرْ جَفُ النَّكْبَاءُ شفَّ شَفِيفُهَا
وقد ذَبلتْ حُمْرُ الشِّفَاهِ منَ الطَّوىٰ ... وعفَّىٰ على المِسْكِ الذكِيِّ خَلُوفُهَا
رويداً أياذَا الرَّكْبُ «قَاسِمُ» قُدْنَهُ ... حُتُوفُ المَنَايَـا لابَقيـنَ حتوفُهَـا
مضىٰ، فانزِلُوا من بِعدِهِ في منـازِلِ ... ضُيُوفُ القُبورِ الدَّارِساتِ ضُيُوفُهَا
أرى النـاس أمثالَ الدَّنَانيرِ تُنْتَقَـىٰ ... خُلاصَتُهَا نَقْـداً وتُنْفَىٰ زُيُوفُهَـا

إلى أن يقول :

أَبَا خَالِدٍ مَاشِيْنَ بَعْدَكَ فلْيَكُـنْ ... أمورُ القَضَا مأمُونُهَا ومخُوْفُهَـا[3]

فهل يستطيع الناقد الكريم أن يقابل هذا الدر النظيم بمنظومات ابن

---

(١) عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف ص ١٥ .
(٢) نحضها : اكتناز لحمها . أي أذهب عنها سِمَنَها طول السفر واستمرار السير تشوقاً لديار ممدوحه .
(٣) ديوان ابن هتيمل ص ٩٠ ــ ٩١ .

المقرب في الرثاء كقوله :

فصبرا بني مستور فالدهر هكذا ... وكل عليه للمنايا طلائع

ففيكم بحمد الله حصن ومعقل ... ونور مبين يملأ الأفق ساطع

فتىً لم يزل مذ كان قبل احتلامه ... يدافع عنكم جاهداً ويصانع

فما عاش فالبيت الرفيع عماده ... يطول على الأيام والربع واسع

تعز فكل سالك لسبيله ... وكل امرىء من خشية الموت جازع

ونحن سواء في المصاب وإن نأت ... بنا الدار فالأرحام منا جوامع[١]

لاشك أن القارىء المنصف سيدرك البون بين شعر ابن هتيمل الحيّ وشعر ركيك كهذا حتى لو قدر له أن يعد الفاءات والواوات التي امتلأت بها أبيات ابن المقرب الستة !!

ولقد حاول الدكتور الخضيري أن يستعرض حياة الشاعرين وما بينهما من بعض أوجه الشبه فقال [٢]: (وهناك ظاهرة يجتمع فيها الشاعران : وهي المصائب والمحن التي حلت بهما ، ولكننا لانجد في هذه الظاهرة مجالا للمقارنة بينهما لأنها لم تخرج بابن هتيمل عن إطار المراثي .)[٣]ربما كانت المقارنة بين الأحداث التي عاشها الشاعران غير منضبطة وإن تعرض كل منهما لجور الظروف إلا أن لكل منهما خصوصياته ، فابن هتيمل لم يؤخذ منه ماله قسراً!! ولم يطرد من بين أهله، ولم يحاربه أقاربه!! ولم تكن أسرته ذات سلطة وإمارة حرمت الشاعر من القيام بدوره فيها!! وابن هتيمل لم يقاس

---

(١) ابن المقرب حياته وشعره للدكتور الخضيري ص ٢٩١ وانظر أيضاً ص ٢٩٥ من كتاب شعر ابن المقرب العيوني دراسة فنية للدكتور أحمد موسى الخطيب .

(٢) كان الأولى أن يقول : يشترك بدلا من يجتمع .

(٣) ابن المقرب حياته وشعره للخضيري ص ٤٠٧ .

الحرمان، ولوعة النفي!! وإنما كانت أغلب مصائبه من لون آخر، هي أقدار الله في خلقه، حين يختار بعض أحباب الشاعر من أقاربه أو أصدقائه فيصوغ الشاعر أحاسيسه وذوب وجدانه في تلك الروائع ، لذلك كانت مواقف ابن المقرب حنيناً دائماً إلى السلطة التي حرمها حنين يشبه حنين ملهمه في الفكر والشعر ، بل أستاذه أبى الطيب المتنبي الى الإمارة ..

فابن المقرب إذاً مسلوب المال والجاه والسلطة، ومفارق **برغمه** الوطن فلا بد أن يأتي **شعره في هذه** الأغراض حتى وإن كان جُلُّه تقليديّا يحاكي فيه سابقيه من أصحاب هذه الشئون .

ولننتقل الآن إلى تلك المقارنة التي عقدها الدكتور الخضيري بين الشاعرين على أنني سأقدم للدكتور نماذج أخرى مقارنة فليفسح صدره لقراءتها بعد أن نستعرض مقارنته وبعض النماذج التي اختارها لتلك المقارنة .

ونبدأ بأول بيت اختاره لابن هتيمل :

يعاتبكم فما نفع العتاب ويسألكم وليس له جواب

يعلق عليه الدكتور الخضيري قائلا :

« ولكن هذا عتاب يختلف عن عتاب ابن المقرب فهو عتاب مصطنع يوجهه لأحبته كما يفعل في المطالع الغزلية» . ثم يقول :

«أما ابن المقرب فهو البارع في اختيار المطالع الشاكية ليس لأحبته وإنما لبني عمه وعشيرته» ..

ثم يورد قول ابن المقرب :

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد وهب لصروف الدهر ما أنت واجد[1]

١) المصدر السابق ص ٤٠٨ .

هذا هو رأي الدكتور الخضيري ، فما رأي القراء ؟ هل هذا الحكم لصالح ابن هتيمل أم لصالح ابن المقرب ؟؟ أما أنا فقد **فهمته على أنه لصالح** ابن هتيمل ، فهي شهادة من الدكتور تؤكد إبداع الشاعر ابن هتيمل وتجديده في المطالع فبدلاً من الوقوف على الديار أوالتشبيب بالخمر جدد في النسيب وحوله إلى عتاب رقيق مع الأحبة ، ومع ذلك فلابد أن نتساءل : ما ذنب ابن هتيمل إذا لم يكن منبوذاً من قومه محاربا من أسرته كما هو شأن ابن المقرب ؟؟[1].

وإذاً فظروف ابن المقرب ، جعلت عتابه قاسياً باكياً شاكياً مستعطفاً وأحياناً ناقماً ، وظروف ابن هتيمل جعلت عتابه صنعة جديدة وجميلة يقدمها باقة فواحة للأحباب !!

وننتقل إلى البيت الثاني الذي اختاره الدكتور الخضيري من شعر ابن هتيمل حيث يقول :

(ويخاطب ابن هتيمل أحد ممدوحيه وقد ملَّ وسئم رجاءه :

مَضَىٰ زمنٌ أُعلِّلُ فيه نَفْسي بِعَلَّ وغيرِها وعَسَىٰ ولَيْتِ

أما ابن المقرب ــ والكلام لازال موصولا للدكتور الخضيري ــ فقد استخدم هذا المعنى لصياغة مطلع أجود من بيت ابن هتيمل .. يقول ابن المقرب :

ألم يأن أن تنسىٰ عسى ولعلما **وتترك ليتاً للمُعَنَّى وربما**

برغم نصبه للحرف (ليت) والحروف كلها مبنية فإنني لن أتدخل في هذة المرة بإصدار حكم ولكني أترك ذلك للقراء ، وأوجه لهم هذا السؤال :

(١) يعقد الأستاذ عمران العمران فصلا رائعاً أسماه : (الحرمان وأثره في شعر ابن المقرب) يمتد عبر الصفحات ٧١ ــ ٨٥ وهو حرمان من نوع آخر لم يتعرض لمثله ابن هتيمل . انظر كتابه : (ابن المقرب حياته وشعره لعمران العمران) .

أي البيتين الماضيين أسلس ، وأقرب إلى المدارك ؟؟ وخاصة بعد أن ندرك أن ابن هتيمل لم يقتصر على أدوات التمني والرجاء بل شملها وقال : وغيرها مما قد يعتبره أرباب اللغة موحياً بترجٍ أو تمنٍّ !!

ويختار الدكتور الخضيري لابن هتيمل بيتين اتخذهما ابن هتيمل مطلعاً لإحدى روائعه فيقول الدكتور مقدماً :

(ويتحدث ابن هتيمل عن الهوى ، وكيف يكون شاهداً على صاحبه بادياً عليه فيقول في أسلوب مثقل بالضعف والتكلف :

تخفي الهوى وكفى بجسمك شاهداً وأبيك لا كنت المقر الجاحدا
مضغ القلوب تبيدها نار الجوى عدماً ولو كن القلوب جلامدا

وقد سبقه ابن المقرب ــ الكلام لايزال للدكتور الخضيري ــ إلى هذا المعنى بأسلوب أجود حيث يقول[1] :

تخفي الصبابة والألحاظ تبديها وتظهر الزهد بين الناس تمويها
ياعاشقاً تلفت في الحب مهجته كتمانك الحب في الأحشاء يؤذيها

ترى!! هل الضعف والتكلف في بيتي ابن هتيمل الرائعين ؟؟ أم في بيتي ابن المقرب المتهافتين اللذين يذكران بالمنظومات العلمية ؟ !!

وأية جودة يمكن أن ندركها في هذا الحكمة الهزيلة : (كتمانك الحب في الأحشاء يؤذيها) ؟؟ أما إن خُبراء الحب العذري ليرون أن الحب دواء للأسقام لَا تلف لها ومنهم ابن هتيمل الذي يقول في هذا المعنى :

سفه معالجة الطبيب لعاشق جعل السقام من السقام طبيبا[2]

(١) ابن المقرب حياته وشعره للدكتور الخضيري ص ٤٠٩ .
(٢) الديوان ص ١٦١ الجزء المطبوع منه .

وليت الدكتور الخضيري قد اختار لابن هتيمل في المعنى السابق قوله أيضا :

كمْ تَسْتَعِدُّ بصبرٍ مالَهُ مَدَدُ ... وكمْ تُجمِّدُ دَمْعاً والفراقُ غَدُ
فرِحْ فؤادَكَ واعلَمْ أنهَا نِيَّةٌ ... تُبلي هواكَ وأثوابُ الهوىٰ جُدُدُ[1]
أمَا يسرُّكَ أنْ تُلْفَىٰ وأنتَ علَىٰ ... إثْرِ الأحبَّةِ لا قلْبٌ ولا كبِدُ

ولقد وهم الدكتور الخضيري أن في بيتي ابن هتيمل اللذين يصور فيهما قوة ممدوحه وبطولة رجاله، وانتصاره على أعدائه إذ يقول :

أضْحَتْ حصُونُ محاربيكَ بلاقِعاً ... وسَقَيْتَ من عادَاكَ سُماً ناقِعاً
وبَرقْتَ للمُتَمرِّدينَ صواعِقاً ... مَطَرَتْ علىٰ المُتمرِّدِينَ صواقِعاً[2]

وهم الدكتور أن فيهما تكرارا لكلمة : (صواعقا) وكلمة (المتمردين) وليس الأمر كما وهم فلا يوجد تكرار في كلمة (صواعق) وإنما يوجد جناس غير تام — وشعر ابن هتيمل مليء بالمحسنات البديعية التي تأتي عفوا — فالأولىٰ صواعق والثانية صواقع . أما كلمة المتمردين فإنني أشك في تصحيفها .

ولعل الدكتور يتكرم بقراءة القصيدة كاملة قراءة متأنية ثم يبحث لها عن مماثل في شعر ابن المقرب من حيث الجزالة السلسة، لا جزالة القعقعة ومع ذلك فالبيتان أبلغ بكثير من أبيات ابن المقرب التي يقول فيها :

رماحُ الأعادي عن حِماكَ قِصَارُ ... وفي حدِّها عمَّا تَرُومُ عثَارُ[3]
وكلُّ امرِيءٍ ليستْ لهُ منكَ ذمَّةٌ ... يُضَام على رغمٍ لهُ ويضَارُ

---

(١) الديوان ص ١٤٦ .

(٢) الديوان ص ١٢٥ .

(٣) علي بن المقرب حياته وشعره .

ومـــا عزَّ من أمسىٰ سِواكَ معَـــاذَهُ ولـــو عصمتـــهُ يعـــربٌ ونِـــزَارُ

لأن أبيات ابن هتيمل جعلت ممدوحه قد دمر كل شيء على أعدائه ولم يبق لهم أثرا، في حين ظل أعداء ممدوح ابن المقرب قصار الرماح فقط أما هم وديارهم فلا يزالون ينعمون بوافر السلامة !! مع ما يشم من مبالغة تصل إلى مرتبة الشرك الأكبر ؛ فالعياذ بالله لا بسواه ، ولا عاصم إلا الله ..

وكأني بابن هتيمل ، وقد أدرك بثاقب فكره وإحساسه الشاعري ، أن هناك من سيأتي في يوم من الأيام ليدعي أن أحد معاصريه قد كان يدانيه في شاعريته الثرة وعطائه المتدفق، من أجل ذلك سمعناه يخاطب أحد ممدوحيه مقدما له إحدىٰ روائعه التي يفضلها على مدائح البحتري وأبي تمام فكيف بابن المقرب وأمثاله حيث يقول :

خُذْهَا وإنْ نُسِجتْ علـــىٰ منـــوالها حُلَلٌ ، فمَا الأسلوبُ كالأسلوبِ[1]
مِمَّـــا يُهجِّـــنُ بالوليـــدِ[2]. وربُّمَـــا عَبَقَتْ فبـــغَّضَ حبَّهَـــا بحبـــيبِ[3]

أجل يا أبا سلطان فليس الأسلوب كالأسلوب ولكن ما الحيلة ؟ وقد أريد منك أن تخضع لمثل هذه المقارنات حتى وإن كانت فرائـــدك بعضا مما تقول عنه :

خُذْ عَروساً يَقِـــلُّ إن جُعِـــلتْ قَـ ـلُوبُ كُلِّ الـــوَرَىٰ عليهَـــا نِثَـــارَا
صيغَـــةٌ مِنْ مُحقَّـــقِ سَبَكَ الـــدُّرْ رَ فأهْـــدىٰ للشمس منـــهُ سِوارًا[4]

ولكن شيئاً من الأحكام التي تصدر على بعض شعرك قد يكون فيها شيء من القسوة حتى وإن كانت من بدائعك التي تصفها بقولك :

---

(١) الديوان ص ١٦١ من الجزء المطبوع .
(٢) الوليد : أبو عبادة البحتري .
(٣) حبيب : أبو تمام .
(٤) الديوان ص ١٥٤ من الجزء المطبوع :

فالبسْ من الـذَّهب المُـوَشَّىٰ خلعْةً | للشّعـر وشَّتْ بالنُّجوم رَصَائعَـــاً[٥]
بِكـراً تَرىٰ الكُهَـل الحليــمَ تَهَـــزُّهُ | طَرَبــاً فيرقُصُ والغُـلَامَ اليافِعَـــا
لَوْ وشَّعتْ غُرَرُ البــرُودِ بوشيِهَـــا | كانتْ لأفْــوَافِ البُــرُود وشَائِعَـا

وبعد هذه المقارنـة التي لم تتحـر الإنصاف لا من حيث حسن الاختيـار لابن هتيمل ولا من حيث واقعية الأحكـام، فالدكتـور الخضيري لا يريـد إلا أن يجعـل شاعـره الـذي عنـي بدراستـه هو الأفضل، حتــى ولـــو كان ذلك على حساب شاعرية ابن هتميل المتدفقة وشعره الرائـع الجميـل .. بعـد هذه المقارنـة التي أجحـفت بمكانـة ابـن هتيمـل يسوق الدكتـور الخضيري ستـة أحكـام يميـز فيها شاعره على ابن هتيمل ويعلـم الله أنني لم أجـد حكمـا واحـدا منها يتحقـق فيـه منهج البـحث الـذي كان الأولى بالدكتـور التقيـد به ، وسأنـــاقش أولها ، وآخرها فقط، وأترك البقية ــ خشية الإطالة ــ لفرصة قادمة بإذن الله .

يقـول الخضيري في الحكـم الأول : (ابـن المقـرب أغـزر شعـراً، وأوفـر أغراضاً ، وأطول نَفَساً) .

وهذا الحكم منقوض بسبب عدم اطلاع الدكتور على شعـر ابـن هتيمـل كاملا لأن محقق الديوان قد اعتـرف اعترافا صريحاً في مقدمـة عمله بأنـه التـزم في تحقيق الديوان باختيـاره بعض شعـر ابـن هتيمـل حيث يقـول : (وبعـد هذه الدراسة الموجزة نقـدم ما اخترنـاه من شعـر الشاعـر) [٢] ولـن أعيـد ما قلتـه في ثنايـا هذه الـدراسة من أن العقيلي قد حرم محبي الشعـر من عطـاء أدبي دفـاق بحذفه وبتره واختيـاره، ولكنـي أؤكـد أنـه حرم الدكتـور من انضبـاط أحكامـه

---

(١) الجزء المطبوع ص ١٢٦ .

(٢) ابن المقرب حياته وشعره للدكتور الخضيري ص ٤١٠ .

(٣) ديوان القاسم بن هتيمل دراسة وتحقيق العقيلي ص٣١ وتوجَّ الطبعـة الثانيـة بعنـوان بارز على الغلاف وهو (مختارات)

الأدبية التي جاءت على مختارات من شعره ولم تكن منطبقة على كافة شعره الذي لا يزال رهين المكتبات مخطوطاً .

ويقول الخضيري في سادس أحكامه : (ومطالع ابن هتيمل كلها طللية) وهذا الحكم كما ترى غير مُنضبط أيضاً وغير واقعي فليست مطالع ابن هتيمل (كلها طللية) [١] كما عمم الدكتور ، ولو أراد الانصاف لقال نسيباً حينا ، وحديثا إلى الطبيعة حينا آخر وهو تجديد في المطالع، ومدحا مباشراً أحيانا أخرى .

ولعل من حق القاريء أن نعرض له نماذج مختارة من مطالع قصائد ابن هتيمل حتى يستطيع مشاركتنا في التذوق الأدبي وتكوين الحكم النقدي بعدئذ :

يقول القاسم بن علي بن هتيمل في مطلع إحدى روائعه :

قُلْ يانَسيمُ لأَهلِ الضَّالِ والسَّمُرِ ... مَا صدَّ سامِرَكُمْ عن ذِلِكَ السَّمَرِ [٢]

ويقول في مطلع آخر :

نَعيمُكَ ماأتَتْكَ بهِ النُّعَامَى ... ومَاشَرَحَتْهُ أَنفَاسُ الخُزَامَى [٣]

ويقول في مطلع ثالث :

حَياتُك بينِ أَهْلِ الذُّل حَبْسُ ... وَمَوتُكَ بين أهْلِ العِزِّ عُرْسُ [٤]

وقدْ بَايْعتَ نفسَكَ فاستقِلْهَا ... فقيمتُهَا بغيرِ العزِّ بَخْسُ

(١) ابن المقرب حياته وشعره للدكتور الخضيري ص٤١٠

(٢) العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية للخزرجي ج١ ١٥٨ وهي قصيدة طويلة تزيد عن أربعين بيتاً.

(٣) ديوان ابن هتيمل ص٧٦. والنعامي: الريح الجنوبية

(٤) ديوان ابن هتيمل ص١٧٢.

ويقول في مطلع رابع مخاطباً ممدوحه بغير مقدمات ولا طنين، وليس من شك في أنه مطلع للقصيدة ، لأنني وجدته في الديوان ووجدته في كتاب : العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية ج١ ص ١٩٥ كما وجدته كذلك في صور النسختين الخطيتين **اللتين** عثرت عليهما مؤخرا والمطلع الرابع هو قوله :

بَوَّأْتَ حزبَ الله دَارَ قَرَارِ وأحْلتَ حزبَ البَغْي دار بَوارِ
ووضعْتَ أوزَارَ الذُّنوبِ بِوقْعَةٍ مَاحَرْبُهَا موضُوعَةَ الأَوزَارِ
هيَ (كالفِجَارِ) الصَّعْبِ أو (كحُنَين) أَوْ (كالشِّعْبِ) أو(كبُعَاثَ) أَوْ(ذي قَارِ)

أو كقوله في مطلع آخر رائع :

أَرَاكَ تَرُوحُ ما ودَّعْتَ (نَجْدَا) وَلَا أَحدثْتَ بالعَلَمينِ عَهْداً[1]

أوكقوله في مطلع آخر سأكتفي به دون الاستمرار في عرض المطالع الرائعة:

لنْ يُدركَ المَجْدَ مَنْ في جِدِّه الَّلعبُ ولنْ يَفُوتَ العُلَا مَنْ همهُ الطَلَبُ
وَمَا علىٰ المرءِ أَنْ يَسْعىٰ لحاجَته **أَنَالَ** بُغْيَتَهُ أم نَالَهُ العطَبُ
والصَّفْوُ أَوَّلُهُ في ذاتهِ كَدَرٌ ورَاَحةُ العيشِ ما أُصفىٰ لهُ التَّعَبُ

وقد يطول بنا الحديث لو تعرضت لبقية الأحكام التي قسا فيها على ابن هتيمل فأكتفي في هذه المرة بهذا القدر ، لأنتقل إلى إجراء مقارنة بين بعض النماذج التي سأختارها للشاعرين في معان متقاربة تاركاً حق الحكم عليها لذوق القراء آملا أن نجد الحكم المنصف لأجود هذه النماذج أفكاراً ، وأسلسها عبارة ، وأحسنها سبكاً:

---

(١) الديوان ص٥٦

(٢) الديوان ص٣٩

يقول ابن المقرب في مجال الشكوى من زمانه وقومه :

إلى كم أداري بين قومي وأتقي ... وأصْدَي فأُسقَى الماء صابا وحنظلا
وقلبت هذا الدهر بطنا وظاهرا ... فألفيتهم ذئبا وهرا وتتفلا
وما اخترت خلا منهم أتقي به ... زماني إلا اشتقت أن أتبدلا

ويقول ابن هتيمل في المعنى نفسه :

أَوْفَى بَنِي الزَّمنِ الخَئُون وخَيرُهُمْ ... من قاضَكَ المكْرُوْهَ بالمحبُوبِ[1]
متلوِّنُونَ لهُمْ لِمنْ صافَاهُمُ ... رَوْغُ الثَّعالِبِ واختلَاسُ الذِّيبِ
عِدَةٌ كرقرَاقِ السَّرابِ كأنَّها ... مِنْ لهْوِ غَانِيَةٍ ومِنْ عُرْقُوبِ

ويقول أيضاً في المعنى ذاته :

سلْنِي وأَبْنَاءَ الزَّمانِ فإنَّنِي ... جرَّبْتُهُمْ فَقتَلْتُهُمْ تَجْرِيبَا[2]
فإذَا سَعَتْ حيَّاتُهُمْ فحِذرْتَهَا ... دَبَّت عقارِبُهُمْ إليكَ دَبِيبَا
وأخوكَ إنْ هُوَ لمْ يَكُنْ لكَ ثَعْلباً ... في سُرعةِ الرَّوَغَانِ كانَ الذِّيبَا

أفلا ترى أن ابن هتيمل قد أجاد في معناه ومبناه أكثر من صاحبه؟؟!!

ويستعرض ابن المقرب معرفته بالأعلام فيقول :

بك يامحب الدين طالت فاعتلت ... شرفا على الخطية الأقلام[3]
أحببت (بشرا) و(الجنيد) و(عامرا) ... زهدا و كل إذ يعد إمام
وأقمت (للقرشي) في آرائه ... حججا يقصر دونها (النظام)
لو أدرك (الثوري) أعلن قائلا ... أنت الغمام ومن سواك جهام

---

(١) الديوان ص ١٥٩ الجزء المطبوع منه . وقاضي:جاءت في أسناس البلاغة في باب قضى... تقول تقاضيته ديني انظر ص٣٧٠

(٢) الديوان ص١٦١ الجزء المطبوع منه

(٣) علي بن المقرب حياته وشعره ص١٥٩

كما يستعرض معرفته بالأعلام ويذكر موقفهم فيقول :

إنْ رشْتَنِي (فَزهيرُ) راشَ جناحَـهُ (هـرمٌ) وريشُ جنَاحِـهِ مُتَفَاقِـدُ[1]

و(الخالـدُ بنُ يزيـد) فاضَلَهُ (أبـو تَمَّـامَ) فاحْتَمَـل المشقَّـةَ (خالـدُ)

و(البحتـري) أنالـه (ابنـا صاعـد) مالايكفيـه الحساب فصاعـدُ

و(عِمَـارَةَ الحَدَقِـيُّ) قَامَ بحِالِـهِ في مصرَ مِنْ ولـدِ الحسيـنِ (العَاضِدُ)

وأفـادَ (فَـاضِلُ) من سماحِ (فُلَيتَـةٍ) أبـداً فوائِـدَ بعدَهُـنَّ فَوائِـدُ

ولقـدْ سمعتَ (بـراشِدِ بنِ مظفَّـرٍ) ما كَانَ يصنَعُ (لابـنِ حميـرَ) (رَاشِدُ)

ومع أن ابن هتيمـل لم يذكـر أسماء الاعـلام فقـط بل شرح مواقفهـم مع معـاصريهم بإيماءات شعريـة دون الدخـول في التفاصيـل، كما هي وظيفـة الشعـر مع ذلك فعدد أعلامه اثنا عشر علمـا في حين نرى أن أعـلام ابـن المقـرب ستـة فقط .. ولربما احتج الدكتور أن عدد أبيـات ابـن المقـرب أربعـة في حين كانت أبيات ابن هتيمل ستة !!

للدكتور الخضيري حق الاعتراض من ناحية عدد الأبيـات ولكـن ما هي حجته وقد ذكر ابن هتيمل ثمانية أعلام في ثلاثة أبيات فقط هي قوله :

طُلْتُمَـا يا(سِرَاجُ) في المُـلكِ والفَتْـ ـكـة عبـد الملـيك والحجاجـا[2]

ورأينَـا (أَبَاحنيفـةَ) في الحُجْـ ـجَة والديـن والخليـل احتجاجـا

قدمـاً ما نَرَىٰ (الجَنُيـد) ولا (الشِّبْـ ـلي) راق له ولا الحلاجـا

---

(١) الديـوان ص١٦٩ الجزء المطبـوع منه . ومن أراد توضيـح الأعـلام فليرجـع الى الصفحـات التـي أشرنـا الى أخـذ النصوص عنها ففيها بعض التعريـف بهؤلاء الأعلام.. وهي أعلام معروفة لأكثرية القراء

(٢) الديوان ص١٠٩ وعبـد الملك بن مروان .. والحجـاج بن يوسف .. والإمـام أبو حنيفـة في الفقـه .. وإمـام اللغـة الخليـل بن أحمد الفراهيـدي معروفـون لكـل شداة الفكر والأدب وكذلك أئمة التصوف : الجنيـد والشبلي والحلاج .. فلسنـا بحاجـة الى تعريفهم فهم معروفون

ولن نستغرب اهتمام الشاعرين بذكر أعلام التصوف والزهد كالجنيد والشبلي والحلاج-الذين ذكرهم الشاعران ــ كما رأينا ــ والشبلى وبشر بن الحارث والحلاج لن نستغرب ذكرهم إذا ما عرفنا أن القرن السابع هو العصر الذهبي للتصوف في سائر أقطار العالم الإسلامي آنذاك ..

وإذا كنت قد عرضت في الأسطر السابقة نماذج من مطالع قصائد ابن هتيمل التي اتهم فيها من البعض بالتزام المقدمات الطللية تؤكد أن ذلك الحكم غير واقعي ، إذا كنت قد عرضت بعض المطالع فلنستعرض الآن بعض خواتيم القصائد عند الشاعرين تاركين للقاريء المتذوق الحكم بإنصاف ،

يقول ابن هتيمل في خاتمة إحدى قصائده مخاطباً ممدوحه :

لاتجزَعَنَّ لكون قومِكَ أصبحُوا ... فئتَيْن بينَ أصادِقٍ وأعَادِي[1]

واصبرْ فمرجعُهُمْ إليكَ وإنَّما ... تَجْرِي الشِّعَابُ إلىٰ مسيلِ الوَادِي

ويقول في خاتمة أخرى :

ياأَبَا القاسمَ الذي أقْسَمَ الفضـ ... ـلُ بتلك الآباء[2] والأجداد

إن سَبَقْتَ الوَرَىٰ فقدْ قِيلَ في الأعْـ ... ـرَافِ يَوم الرِّهانِ تجْري الجيادُ

ويقول في خاتمة ثالثة مخاطباً أحد ممدوحيه :

جَاهِدْ بربّك أَوْ جَاهِدَ بسيفِكَ أو ... جَاهِدْ ببَالِغ إخْوَانٍ وأَوْلَادِ[3]

والْقَ المِئِينَ بأعْشَارٍ ولاحَرَجٌ ... قَدْ يَهْزِمُ النَّصرُ آلافاً بآحَادِ

ويقول في خاتمة رابعة :

---

(١) الديوان ص٥٥

(٢) الديوان ص١٥٠

(٣) الديوان ص١٥٢

جُعِـلْتُ فِدَاكَ أَنْ فَخَّـمْتَ قَدْرِي عَلَىٰ أهل الرِّيَـاسةِ والفَخَامَـةْ[1]
فَقَـدْ وَلَّـىٰ النَّبِـيُّ عَلـىٰ قُريشٍ وأَمَّـرَ دُونَ سَادَتِهِـمْ (أُسَامَـةْ)

ولعلنا لاحظنا في هذا النوع من خواتيمه أنه تعمد أن يختم روائعه بحكمة صائبة أو مثل سائر ولا أشك ـ بل إني أكاد أجزم بعدم اهتمام ابن المقرب بشيء من هذا فلم يهتم بهذا اللون كاهتمام ابن هتيمل ..

وهناك نوع آخر يتحدث فيه ابن هتيمل عن جمال قصائده وروعة فنه وبُدِلّ بذلك على ممدوحه معتزاً ، ولعل هذا النوع يحتل كثيراً من خواتيم قصائده .

يقول في خاتمة إحدى بدائعه مخاطبا ممدوحه باعتزاز :

فالبَسْ من السِّحر المَجلَّل وشْيَـهُ بُرْداً يُجـدِّدُهُ الزمـانُ قَشِيبَـا[2]
تَفْنَى أساليـبُ الـرواةِ ومَـارَوَوْا للشِّعـر في أسلُوبِهـا أسْلُوبَـا

ويقول في خاتمة مشابهة :

أتـاكَ وإنْ كُنتَ الغنـيَّ عِنِ الَّـذِي يَجيئُكَ تَفْوِيـفُ الصَّنَّاعِ المُمَجِّدِ[3]
مِنَ اللاَّءِ مَاغنَّىٰ (الوليـدُ) (ابْنَ بُلْبُلٍ) بهنَّ ولـمْ يُخْلَعْ علىٰ (ابـن المَدَبِّـرِ)
خَوالِـدُ يُفْنـي عُمْـرَ لُقمَـانَ عُمْرُهَـا وَلقْمَـانُ أَفْنَـىٰ عُمْـرُهُ سَبْـعَ أنسرِ

ويقول في خاتمة أخرى :

قد زَفَفْنَـا إلَـيكَ بِكـراً فأحِسنْ حالَهَـا في الطَّلاقِ أو فِي السَّراجِ[4]

أما الخواتيم التقليدية التي تتهافت خواتيم قصائد ابن المقرب فيها حتى

---

(١) الديوان ص١٥٧ ومعروف أسامة بن زيد رضي الله عنه

(٢) الديوان ص١٦٢

(٣) الديوان ص١١٩ـالجزء المطبوع.

(٤) الديوان ص١١٥ الجزء المطبوع.

يرفع الشاعر يديه الضارعتين بالدعاء للممدوح، فإننا نجد ابن هتيمل يختار من هذا النوع أفضله بل تجده يجعلك لا تحس بذلك الدعاء إلا في ثنايا همسه الشعريّ كقوله في إحدى خواتيمه :

فَلْيهنني بقدومِكَ الظَّفرُ الَّذِي فيهِ اللقَا بيني وبينك مَوْعِدُ[1]
أُثْنِي وأَحْمَدُ بالَّذي لا يَهْتَدي لَسِنٌ إليهِ ورُبَّمَا لا يحْمَدُ

ويقول في خاتمة أخرى مماثلة :

فلا عدِمَتْ سَرايَاكَ اللَّواتِي يُفَاجئْنَ العِدَا إذْ لامَعَاجَا[2]
فداؤُكَ كُلُّ محلولِ الأواخِي يَودُّ بأَنْ يُمادَحَ أَوْ يُهاجَى

ولاشك بأن أي قارىء لشعرهما لا يستطيع أن يقارن بين هذا النوع الأخير من الخواتيم وخواتيم ابن المقرب الدعائية التي يقول في إحداها متكلفا بل خطيبا :

فالله يسعده ويمتع خلقه بدوام دولته وطول بقائه[3]

وكقوله في خاتمة أخرى متهافتة :

وأراك المهيمن ابنك قد صَا رَ لأبناء نسله أبناء[4]

---

(١) الديوان ص١١٦ الجزء المطبوع.
(٢) الديوان ص١٤١ الجزء المطبوع.
(٣) علي بن المقرب حياته وشعره للخضيري ص٥٣٤.
(٤) أو قوله في خاتمة أخرى :

تعز فكل سالك لسبيله وكل امرىء من خشية الموت جازع
ونحن سواء في المصاب وإن نأت بنا الدار فالأرحام منا جوامع
ولاشك منا في التأسي وإنما نعزيك إذ جاءت بذاك الشرائع

انظر ص ١٢٣ من كتاب ابن مقرب حياته وشعره لعمران محمد العمران .

وبعد : فهل يراجع الدكتور أحكامه التي ألقاها دون إحاطة بشعر شاعر عملاق دوّى صيته في الآفاق وتمثل بشعره شعراء القرن الثامن والتاسع والثالث عشر وضمنوا شعره بعض قريضهم ؟؟ لاأشك في أن الدكتور الخضيري فاعل ذلك إن عاد إلى أصل الديوان ونهل من معينه الدفاق !! وإن هو راجع ماكتبه بعض نقاد الأدب عن شعر ابن هتيمل من أمثال الدكتور شوقي ضيف :(ونسيجه اللفظي متين قوي، وكلماته تروق للسمع بجرسها وبحسن انتقائها....) إلى أن قال (وهو بحق صائغ ماهر)[1] وأحسب أنني من خلال مناقشتي للدكتور الخضيري قد أوضحت أين يقف ابن هتيمل الشاعر ... من شعراء عصره في العراق.. والشام.. والأحساء.. واليمن.. وكيف استطاع شعره رغم بعده عن الأضواء أن يتجاوز حدود المكان ويعذب في سمع الزمان على مدى الحقب التى تفصلنا عن عصره..

(١) تأريخ الأدب العربي ــ عصر الدول والإمارات ــ للدكتور شوقي ضيف ص ١١٥ .

الباب الرابع

بَيْنَ يَدَيْ قَصَائِدَ لَمْ تُنْشَرْ

مِنْ شِعْرِ ابْنِ هُتَيْمِلٍ

١ ــ قال ابن هتيمل يمدح المظفر الرسولي

أَتنْسَىٰ ومــن أنسيتَــهُ لكَ ذاكــرٌ وتَرقُدُ عمَّــنْ طرفُـه لكَ ساهــرُ

وتحرصُ في صَرْمـي[1] إلىٰ غير غَايـة أمــالَكَ من ناهٍ أَمَــالَكَ زاجــرُ؟

خِفِ اللَّـــهَ في قتلي فمالَـــي قوةٌ تَردُّكَ عن قتلي ولَا لَيَ ناصرُ

أما تكْتَفي من فضلتــي بصبَابَــةٍ تراوحُهـا[2] أعلَالُهــا[3] وتُبَاكــرُ[4]

أَأَجْحَدُ داءَ الحب بعــد دلالـــةٍ مُخَامــرة والحبُّ داءٌ مخامِــرُ

وَلَا وأَبي[5] إنَّ الجسومَ صحائــفٌ يُغِبُّــونَ عنها ماتُسِرُّ الضمائـرُ

فكم باطن لم تشهـد الـعين سره دَنَـا دُونَـهُ في الجَهْر ماهوَ ظاهـرُ

ومـا ألسنٌ مَافُهْـنَ يومـاً فترجَـمَتْ[6] حَواجبُ عن حاجَاتِهــا ونَواَظــرُ

سل الريحَ إن هبَّت جنُوبـاً أحاجرٌ على العَهْدِ؟ أَمْ أَقْوَىٰ[7] وأقفَر حَاجِرُ[8]

---

(١) صرمي : هجري وقطيعتي . أساس البلاغة ص ٢٥٣ وفي لسان العرب ج٥ ص ٢٢٧ الصرم : القطع. والصرم : اسم للقطيعة .

(٢) تُرَاوِحُهَـا : الرواح نقيض الصباح وهو اسم لوقت العشيّ. لسان العــرب ج٣ ص ٢٩١ وفي نسخة (ج) «يراوحها» بالياء وليس بالتاء .

(٣) أعْلَالُهـا: بقية من صبابتها . قال الزمخشري : بقية كل شيء علالتــه ص ٣١٢ أساس البلاغة في نسخة (ج) «أغلالها» بالغين .

(٤) تباكر : الإبكار : اسم البكرة كالإصباح ــ باكره : أتاه بكرة . اللسان ج٢ ص ١٤٢ .

(٥) هذا قسم بغير الله كان الأجدر بالشاعر وهو العلاّمة أن ينزه عنه شعره ..

(٦) في نسخة (م) جاء الشطر ناقصاً هكذا : «وما ألسن يوماً فترجمت» .

(٧) أقْوىٰ : أقوت الدار : خلَت ــ القاموس المحيط ج٤. ص ٣٨١ .

(٨) حاجر : اسم موضع على طريق مكة . أساس البلاغة ص ٧٤ .
وقال صاحب القاموس : الحاجر : الأرض المرتفعة ووسطها منخفض وحاجر .. والعقيق .. ورامة .. أسماء مواضع يكثر التشبيب بساكنيها في الشعر القديم .

وهل سمراتُ الجِزعِ جزعِ مَتاعَة به من عذارىٰ الحيّ بعدي سامرُ

فقد طال من بعد النَّوىٰ ما التقتْ به أسودٌ على حُكْم الهوىٰ وجَآذِرُ[1]

ترى الدِّرْع[2] (تَعْنو)[3] للغُلالَةِ خِيفةً[4] وتأسِرُ عاديَّ[5] البُريك المعاجرُ[6]

إذا (ما تبدا)[7] البيض كانت خناجراً نَكَصْنَ على أعقابِهِنَّ الخناجرُ

أَمِنْ قِسْمةٍ ضِيزًا[8] فذوالْجَدّ صاعدٌ بلا سَبَبٍ مُغْلٍ وذُو الْجِدِّ[9] عَاثِرُ

---

(١) جآذر : جمع جؤذر . وهو : ولد البقرة الوحشية . القاموس لمحيط ج١ ص ٣٨٧ .

(٢) الدرع : اللباس الحديدي الذي يَدّرع به المحارب . لسان العرب ج٩ ص ٤٣٥ .

(٣) في نسخة : (ج) «يعنو» بالياء وليس بالتاء .

(٤) الغلالة : مسامير الدروع التي تجمع رؤوس الحلق لأنها تُغَلُّ فيها .. لسان العرب ج١٤ ص ١٥ . وهذا أقرب معاني الغلالة إلى سياق الفاظ النص الشعري .

(٥) عادي البريك : البريك : الفرس المجتهد في عدوه .. كما في اساس البلاغة ص ٢١ .

(٦) المعاجر : جمع مفرده : معجرة؛ وهو: ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها . لسان العرب ج٦ ص ٢١٨ .

وبهذا يصبح معنى البيتين : (فقد طال من بعد النوى ......) وما بعده : يصبح معناهما: لا غرابة في حكم الهوى وشرع أهل الغرام أن تتحكم عيون المها والجآذر في قلوب الأسود وعلل ذلك بأننا نشاهد الغلالة التي تجمع رؤوس الحلق تتحكم في مصائر الدروع رغم بأس الدروع وشدتها . كما نرى النساء ذوات المعاجر الملتفة على رؤسهن وقد ملكن قلوب الفرسان من ممتطي الخيول المجتهدة في عدوها وسيرها الحثيث .

(٧) في نسخة (ج) : «ماندي» وليست «تبدأ كما في نسخة (م) كما هو مرسوم بالمتن ولعل ما في نسخة (ج) أقرب للمعنى المراد .

(٨) قال صاحب القاموس المحيط : ضاز : جار ج٢ ص ٢٨١ وقال الزمخشري في الأساس قسمة ضيزا : ظالمة جائرة انظر ص ٢٧٣ .

(٩) ذو الجد : صاحب الحظ أو البخت القاموس المحيط ج١ ط ٢٨١ وذو الجِدّ

(وأوهنَ)[١٠] حتىٰ خِلْتُ أنّيَ واردٌ مَواردَ هُلْكٍ ماهنَّ مَصادِرُ

هو الحظُّ والمقــدارُ يحرمُ مسلــمٌ بُلَهْنِيَــةَ[١] الدنيــا ويــرزقُ كافــرُ

ومن عجب الأيَّــامِ إدْرَاكُ عاجــزٍ مطــالبَ لم يقــدْر عليــنَّ قَادرُ

وكم طُعْمَــةٍ مَانالَهَــا مُتطــاوِلٌ يَمــدُّ يديــهِ نَالَهَــا المُتَقَــاصِرُ

عسىٰ باحتلاف الأجْرِ تحصُلُ راحةٌ فَقدْ ينفع الانسانَ ماهــو ضائِــرُ

إلى الملك الحفنــيّ راحت كأنَّهــا سفائــنُ في لج السراب مَواخِــرُ

قِلاصٌ[٢] أبوهـنَّ الجديلُ[٣] وشدقمٌ وأُخوالُهَــا منها غزيــر[٤] وذاعــرُ

إذا (قد عدت)[٥] منها الأزمَّةُ كُلِّلَتْ من الزبد المَحْضِ البُراد المناخــر

فجاءت بنا الشمس التي لم يَدُرْبها من العجزِ أفْلَاكُ الملوك الدوائرُ[٦]

إلىٰ واهب الدنيَــا سماحــاً وعفَّــةً وفضلاً ومااَلْهَــاهُ عنها التكاثــرُ[٧]

هنيئــاً لنــفسي أن يُوسفَ مَوْئلي وأنّي بألطَــاف المظَفّــر ظَافــرُ[٨]

في الشطر الثاني : المجتهد في الأمر .

(١) في نسخة : (ج) : «بأوهن» .

(٢) بلهنية : قال صاحب القاموس : بلُهنيـة : بضم البـاء : الرخـاء وسعـة العيش ج٤ ص٢٨١ وقال الزمخشري في **أساس** البلاغة : البلهنية: العيشة الرضية ص ٣٠ .

(٣) قلاص : القلـوص من الأبـل الشّابـة أو الناقـة الطويلـة القـوائم. القامــوس ج٢ ص٣١٤ .

(٤) الجديـل وشدقـم : فحـلان من الإبـل كانـا للنعمـان بن المنــذر . الــلسان ج١٣ ص١١٢ والشاعـر يمتـدح نياقـه التـي حملتـه إلى ممدوحـه فيصفهـا بطـول القــوائم وبأصالتها لانتسابها إلى جديل وشدقم .

(٥) غزير وذاعـر : فحـلان منجبـان من الإبـل ج٥ ص٣٧٢ لسان العـرب . القامـوس ج٢ ص٢٩ .

(٦) في نسخة (م) : «قذعت» .

(٧) هذا بيت غير واضح في صورة النسخة الخطية (م) .

(٨) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ألهاكم التكاثر﴾ .

(٩) هذا البيت غير موجود في نسخة (م) .

مليكٌ وحقّ الله ماشادَ مجدَهُ   تبابِعُ أحيَا حمْيرٍ والأكَاسِرُ
وأغلبُ إنْ خاتَلْتَهُ بِمَكيدةٍ   أتاك وَحيّ الموت وهو مجاهر
يُطبق (ضرباً)(٩) والسيف شواهدٌ   ويُنفِذُ طعناً والرماحُ سوافرُ
إذا ارتعشَتْ أيْدِي الكُماة وما اهتدتْ   لِفوقٍ وغَصَّتْ بالقلوب الحَناجِرُ
وإن ورد الصِّيدُ الردَىٰ فَهْوَ أوَّلٌ   وإن صَدَرُوا عن معْرَكٍ فَهْوَ آخِرُ
ينافِسُ فيه (المسجدُ القصْرَ)(١) غَيْرَةً   عليهِ كما غارَتْ عليه الضَّرائرُ
ويَحْسدُ بعضُ الشيء بعضاً لأجله   وتَحْسَد عيدانَ السروج المنابرُ
إذا قال فاعلمْ أنَّ سحبانَ(٢) باقلٌ(٣)   وإنْ جَادَ فاقْطَعْ أن حاتمَ مادِرُ(٤)
أُمولَىٰ الورَىٰ لا واحدٌ دون واحدٍ   ومن عَبْدهُ في الخلق ناهٍ وآمرُ
تركتَ حصونَ المسرفين كأنَّها   مصابيحُ في أفق السماء زواهِرُ
يُنَاغي براشاً كوكبانُ ومسورٌ   ويشفَعُ وترَ الجاهليّ منابرُ(٥)

---

(١) في نسخة (ج) : «أرضاً» .

(٢) في نسخة (ج) تقديم وتأخير هاتين الكلمتين ولعله خطأ .

(٣) سحبان : أحد فصحاء وبلغاء العرب المشاهير يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة. فيقال : «أبلغ من سحبان وائل» .

(٤) باقل : رجل مشهور بالعي والحصر يقال : أعْيَى من باقل .

(٥) مادر : رجل اشتهر بالبخل حتى ضرب به المثل كاشتهار حاتم الطائي بالكرم .

(٦) براش حصن بصنعاء — انظر ص ٤٧ ج١ من العقود اللؤلؤية. وهناك براش صعدة أيضاً انظر ص١٧٠ ج١ من المصدر نفسه. ومسور — وكوكبان ...الخ) إسماء حصون ومعاقل لخصوم ممدوح الشاعر .
يذكر بأن ممدوحه قد حطمها على رؤوس اعدائه .. لشجاته واقدامه .

وما زلتَ حتّى أهطَعَتْ لك صَعْدةٌ[1] وأذعَـنَ دمَّـاج[2] وذَلَّ الحناجـرُ
ولـو لم يَدِنْ أهـلُ الحجاز ويرهَبُـوا لظل عليهمْ مِنْك (يومـاً) قُمَاطِـرُ[3]
لَكَ الخيرُ إنّي خائـفٌ لك آمِـنٌ علـيَّ وقلبـي لايـمٌ لك عاذِرُ[4]
وغيـرُ عظيـمٍ أن غفـرت صغيرةً فقـد غُفِـرَتْ للمذنبيـنَ الكبائـرُ
تَكَنَّفَنِي أهـلُ الزمـان فحـاسدٌ، وقـالٍ، وساعٍ لي إلـيك وبايـرُ[5]
بُلِـيْتُ بهمَ بَلْـوَاء مَا أَنـا مُبْتلـىً بأعظـمَ منها يوم تُبلَـى السَّرائـرُ
ومـا قولُهُـمْ لي يَاابْـنَ ألْأَمِ والـدٍ بأنْـقَصَ لي من قولهم أنتَ شاعـرُ

---

(١) صعدة ـــ مدينة مشهورة بجبال اليمن منذ عهد الشاعر في القرن السابع بل ربما كانت شهرتها أسبق من ذلك ولازالت حتـى هذا العصر تعـد من مدن اليمن الشهيرة .. وكانت معقلاً لأئمة الزيدية في اليمن .

ومعنى أهطَعَتْ : خضَعَت وذلت ونكس أهلها رؤوسهـم ورد في التنزيـل : **(مهطعين مقنعي رؤوسهم) لسان العرب ، ١٠ ص ٢٥١ .**

(٢) دماج : أحد حصون اعداء الممدوح .

(٣) قماطر : جمع قمطريرا: الوارد في القرآن الكريم وصفاً للمفرد؛ وفي نسخة (م) جاءت كلمة (يوماً) بدون ألف (يوم) وهو خطأ .

«يوماً عبوساً قمطريراً» ومعناها بالافراد أو الجمع تقطيب الوجه وعبـوسه وإسنادها إلى اليوم لوصف شدته وقوته انظر لسان العرب ج٦ ص٤٢٩ وأساس البلاغة ص٥٥٧ .

(٤) في هذا البيت تبدو قدرة الشاعر على التلاعب بالألفاظ فأنت تراه قد حشد فيه ألواناً من المقابلات التي يحفل بها شعره كبقية المحسنات البديعية .

(٥) باير : الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه انظر القاموس المحيط ج١ ص٣٧٧ .

٢ ـ وقال يمدح أبا خالد : قاسم بن علي الذروي وقد أهداه مهراً

أعـــــــاذ لَهُ ما آنَ أَنَّكَ عاذرُه — وخاذِلَــه هلْ أنتَ بالدمــع نَاصِرُهْ

دعِ اللَّـوْمَ عن صدر حُرقْـنَ ضُلُوعُـهُ — غَرامـاً وعـن جفـنٍ قُرِحْـنَ مَحَاجِرُهْ

فَو اللهِ ماقــــلبُ المحبِّ قوِّيــــةٌ — قُوَاهُ ولا مُسْتَـحْصِدَاتٌ مَرائـــرُهْ

ومـالك فيمَــنْ ليس قَلْـبَكُ قلبُـهُ — يُخامِـــرُهُ من دَآئــهِ مَا يُخَامِـــرُهْ

أَصبْرٌ وقـد أقْـوىٰ وأقْفـرَ خِيفَـةً — مُحجَّـــرُهِ ممَّـــنْ أحبَّ وحاجـــرُهْ

وَخَـفَّ من الربـع الـذي عَبِـــثَتْ به — صُرُوْفُ النَّـوىٰ غزلانُـهُ وجـآذرُهْ[١]

وقـد كان أدهـىٰ ما يُحـاذِرُهُ النَّـوىٰ — فكـانت فقـلْ لي أيُّ شيءٍ يُحَـــاذِرُهْ

وفي الحيّ ممنـوعُ[٢] الستائـرِ أَنْ يُرىٰ — يُحَـــرِّكُ من مرِّ النَّسيـــمِ ستائِـــرُهْ

أغنُّ يفيض العطفُ والردفُ إنْ رخَتْ — غَلائلُــــهُ ضَاقَتْ عليـــــه مآزرُهْ

أُجيْـعَ وشَاحَـاهُ نُحُـــوْلاً وأُشبِـعَتْ — خَلاخِيْلُــهُ من نعمـــةٍ وأَساوره[٣]

أُمُتْلِــفَ نَفْسي بالصَّبَابَــةِ خلِّهـــا — تُساورُ من أغــــــلالها ماتساوِرُهْ

وكِلْنِي إلىٰ وجدٍ سرىٰ في حشَاشَتي — أوآئلــه مسمومــــةٌ وأوآخـــــرُهْ

فمـن لي بقـــلبٍ لا يَمُــنُّ مَلِيكُــهُ — عليـــه ويستحييـــه في الأَسْرِ آسرُهْ

إذا الغيثُ أرخىٰ مُرجَجِـنَّ سحابةٍ[٤] — على بلـــد أو أَمْطَرتْـــهُ مواطِــــرُهْ

---

(١) جآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية .

(٢) ممنوع الستائر : كناية لطيفة عن امتناع وحصانة حمىٰ محبوبته التي تضيق حتى بمر النسيم .

(٣) كأن ابن هتيمل في هذا البيت يشير إلى قول الشاعر :

أبت الــروادف والثـدي لقمصهــا — مسّ البطــون وأن تمس ظهـــوراً

(٤) مرجحن السحاب : يقال هذه رحى مستديرة للسحابة الثقيلة! انظر أساس البلاغة ص ٢٢١ .

فراحَتْ علىٰ أيكِ الحُسَيْني (١) أوسَرَتْ — رَوايحُـهُ أو باكرتْهَـا بواكِـرُهْ

فتىً زَعْزَع الأرضَ الوقورَ وأُنفِذَتْ — نواهيـه في أقطارِهـا(٢) وأوامـرُهْ

وجَاهَدَ حتىٰ أوضحَ الحقَّ سيفُـهُ — وأرشدَ (عَاديهِ)(٣) وأسلَـمَ كافُـرهْ

يَخِرُّ له الجبارُ ذو التـاج ساجـداً — وغيـرُ عظيمٍ أن تَخـرَّ جَبابـرُهْ

أماط ملوكَ الدَّولتين (فَطْحَطَحَتْ)(٤) — مفاخرَ أهـلِ الدولـتين مفاخـرُهْ

ولو رَامَ مُلكَ الرُّوم والفرس قصَّرَت — قيـاصرُهُ عن ملكـهِ، وأكاسره

ولـو أنـه ألقـىٰ مخافـةَ بأسِهِ — على الفـلكِ الـدوَّارِ مادارَ دائـرُهْ

خِضَمُّ نِزَالٍ ماتـغبُّ هباتُـهُ — وهَضْبُ أنَـاةٍ ماتُخـافُ بوادرُهْ

وضَيغَمُ حرب(٥) ماتَـزالُ خَضيَبـةً — ومُحْمَـرَّةً أنيَابُـهُ وأظَافِـرُهْ

سَوَاءٌ عليـه السرُّ والجهـرُ دَرْيُـهُ — وباطـنُ خافي المشكـلاتِ وظاهِـرُهْ

أطلَّ علىٰ ما في القلوب وحَصَّلَتْ — ضَمائرَ ما تخفي الصدورُ ضمائـرُهْ

فكـلُّ امـريءٍ تُبلىٰ وتُعْلـمَ عنـده — سرائرُهُ من قبل تُبلـىٰ سرائـرُهْ(٦)

---

(١) الحسينى : بلدة ممدوحه القاسم بن علي الذروي ولازالت معروفـة بهذا الاسم وتقع شرق مدينة صبيا بما لا يزيد عن الميلين أو الثلاثة .

(٢) أقطارها : نواحيها، انظر أساس البلاغة ص ٢٢١ .

(٣) في نسخة (ج) : «غَاوِيْه» .

(٤) في نسخة (ج) : «وطَحْطَحَتْ» .

(٥) ضيغـم: اسم من اسماء الأسد . واسنـده إلى الحرب واتى بأوصاف وكنايـات تؤكد شجاعة ممدوحه وبأسه إلا أنه بالغ كثيراً ــ كعادة الشعراء في وصف بأس ممدوحيهم حيث ادعـى مبالغـا أن بأسه قد يتسبب في توقـف دوران الفـلك الدوار .. وهذه مبالغة غير مستساغة!! .

(٦) في هذا البيت وما قبله مبالغات لاشك أنها غير مستساغة .. فالله وحده هو الذي علم ويعلم سبحانه ما تكن الضمائر وهو الذي يبلو السرائر لا ممدوح الشاعر .. ولكنها عادة الشعراء في التهويل والمبالغات .

فدعْ عنكَ كحلاناً وخَلِّ منابراً ... فكحلانُهُ سُمْرُ القنا ومنابرُهْ

أبَا خَالدٍ أسْرفْتَ في الجود باللهى ... وأمْعَنْتَ حتى إنَّ حاتمَ مادِرُهْ

فهلْ لك في شَخْتِ[1] الجُزارة مُضْمرٍ[2] ... رُواءٌ أعاليه[3] ظِماءٌ حَوافِرُهْ[4]

أَقَبُّ[5] كسرحان الغَضَا متمِطِّرٌ ... سليمُ الشَّظَى[6] والأوْبِ[7] شعر أشاعرُهْ

لهُ غُرَّةٌ سَالتْ فطَالتْ فسلَّمَتْ ... جحافله من سَيْلِهَا ومَناخِرُهْ

يُصَرِّفُ فيه الفارسُ الليث زَعزعاً ... ويَعصِرُ من أطرافه (الصدر)[8] عاصرُهْ

هَدِّيةُ ماضي العزمِ فَوَّض أمرَهُ ... إليك وصارتْهُ إليكِ مصايرُهْ

هنيئاً لِهَذَا الدهر أنَّكَ شَمْسُهُ ... وعصمةُ أهليه وأنِّيَ شاعرُهْ

---

(١) شخت الجزارة : يصف الفرس المهدىٰ له بأنه : شخت لجزارة أي دقيق القوائم من أصل الخلقة لا هزالا . انظر اللسان ج٢ ص ٣٥٥ .

(٢) مضمر : مظمأ .

(٣) رواء أعاليه : شديد بنية الأعالي .

(٤) ظماء حوافره : كناية عن دقتها وقلة اللحم حولها .

(٥) أقب : ضامر البطن والخصر .

(٦) سليم الشظى : شظىٰ الفرس : دوَّىٰ شظاه . يقال فرس سليم الشظى : أي عظيمٌ لازق بالوظيف. انظر أساس البلاغة ص ٣٣٠ .

(٧) الأوْب : القوائم . ويطلق على ترجيع الأيدي والقوائم أثناء ركض الفرس انظر اللسان ج١ ص ٢١٤ .

(٨) في نسخة (ج) : «السدر» .

٣ ـ وقال يمدح الأمير أحمد بن علي العقيلي الحرامي صاحب حلي

أنَهاك مافَعَـلَ الهَـوىٰ أنَهاكَـا؟ ... زَجَـرَتْ أوامِـرُه الـذي ينهاكَـا
فَغَـدَا (رِفـاقُكَ)[1] بين باكٍ ضاحكٍ ... ممَّـا فعـلتَ وضاحكٍ يتباكـىٰ
طلبـوا فِكَاكـاً من يَديْ مُتباعـدٍ ... هيهات أعْـوَزَ ما بَغَـوْهُ فِكَاكَـا
دُمْ مااستطعتَ علىٰ التمسُّكِ بالهوىٰ ... إيَّـاكَ ماأَمَـرُوا به إيَّاكَـا
سُقْـمٌ بِطَـرفِكَ لو يُعالِـجُ دَاءَهُ ... خَدَّاكَ أو شَفَتَـاكَ ما شَفَتَاكَـا
أخَذَ الهوىٰ درجاً إلىٰ ما يُجتَنـىٰ ... منـه المسرةُ والنـوىٰ إدراكَـا
جُعِلَ البَشَامُ فِدَا الأرَاك فَمَا الذي ... ضَرَّ البشَامـةَ أن تكـونَ أرَاكَـا[2]
أخفي الحبايلَ والشباكَ لِعَوْهَـجٍ[3] ... جَعَلَ (الجمالَ)[4] حبائلاً وشِبَاكَا
ذاكَ الفريـقُ أراكَ ما حدَّثْتنِـي ... عمَّـا تَجـدَّدَ منـه ياذيَّاكَـا
وَالنَّازِلين أهُمْ على عَهْدِي علىٰ الدَّ ... دَكـداكِ أمْ قَدْ فارقُوا الدّكدَاكَا؟[5]
أمُطَـار حي طَرَف السلام مَخافـةً ... أطلِـقْ لسانَكَ بالسلام فِكَاكَـا
اللَّـهَ في كبـدٍ بحبك صينـةٍ ... حَرَّي تنسّاهـا فلا تنساكا
عطَشٌ علىٰ عَطَشٍ علىٰ عَطَشٍ على ... ضرب بِفيـكَ تُعلُّـهُ المسواكَـا
وجـوىً إذا هدت العيـون أثـارَهُ ... سهـرٌ يجرُّ علـىٰ الغـرام دِرَاكَـا

---

(١) في نسخة (م) : «فراقك» والكلمة لا تنسجم مع المعنى .

(٢) الأراك .. والبشام : شجران معروفان .. ويستخدم اللدن من أغصانهما للسواك والبشام طيب الرائحة .. لذلك يدعو الشاعر أن يكون البشام ذو الرائحة الطيبة فدىً للأراك .. ولعله يوري بشيء آخر .

(٣) لعوهج : العوهج : الطويلة العنق من الظباء والنعام . وقيل المرأة الحسنة اللون الطويلة العنق . يقال امرأة عوهج : تامة الخلقة . تاج العروس ج٢ .

(٤) في نسخة (ج) غير موجودة كلمة «الجمال» وترك مكانها بياضاً .

(٥) الدكداك : اسم موضع . لعله من معاهد الشاعر لذلك نجده يتكرر ذكره. في شعره في غير موضع .

شَمَخَتْ بفَخْرِ أبي عمارةَ هِمَّةٌ سَمَكَتْ على كبد السماء سِمَاكاَ

ملكٌ أخو ملكٍ يُبيدُ بسيفه شُمَّ الملوك ويبهرُ الأمْلاكاَ

وفتىٰ اذا اشتجَرَ الوشيجُ[1] بمأزقٍ جعل الحياةَ لذي الحياة هَلاكاَ

متباينُ الصِّنفين لانَ وشَدَّ في الْـ ـحَالَيْن منه عريكةً[2] وعِراكاَ

مَحْكُ الصنيعة ماألذُّ فِكاهَهُ فوق الخِوانِ وماأشدَّ محَاكاَ

وأشمُّ ليس مُشَبِّهاً لَعَّانَةً أبَداً، وليس (عُضَيْهَةً)[3] أفّاكاَ

فالشمسُ في فَلكٍ يُدَبِّرُ حزمَهُ (يومَ الوغىٰ)[4] من دبَّر الأفْلاكاَ

ولأحمدَ بن عليّ[5] كف لم تَرَ الْـ إمْسَاكَ منهُ فتعرفَ الإمْساكاَ

ضَرَبَتْ جلالَتُهُ عليه سُرَادِقاً حَجَبَ النواظرَ دُوْنَهُ الإدْراكا

ياأحمدُ بن علي دَعْوةِ خادمٍ لَوْ مَاتَ ثُمَّ دعوتَهُ لبَّاكاَ

ماذا أقولُ؟ وماأقولُ؟ وماالذي أُثني عليكَ بِهِ جُعِلْتُ فِدَاكاَ

مَلَّكْتَني أعناقَ خيلِكَ أنتقي حُصُناً مقبَّبةً[6] الكلا ورِماكاَ

لو أنَّني وطِئتْ بِطَانَةُ أخْمَصِي ظَهْرَ المجَرَّةِ ماجَحَدْتُ وَلاَكاَ

فالبسْ مُنَمْنَمةً[7] يُغادِرُ وَشْيُها جَزْلَ المَدائح والمِلَاح رِكَاكاَ

---

(١) الوشيج : السيف . يقال توشج بسيفه أي تقلده . محيط المحيط ص ٩٧٠ .

(٢) عريكة .. وعراكا : العريكة : الخلق والطبع الحسن . والعراك : القتال . يقول عن ممدوحه إنه جمع الشدة في قتال أعدائه والقسوة عليهم .. إلى جانب صفة أخرى تناقض الأولى يتبعها مع أصحابه وهي حسن الخلق .

(٣) عضيهة : قذافاً بالباطل انظر المعجم الوسيط ج٢ ص ٦٠٧. والكلمة في نسخة (ج) غير موجودة .

(٤) بياض في نسخة (ج) .

(٥) أحمد بن علي الحرامي : ممدوح الشاعر صاحب حلي .

(٦) حصنا مقببة الكلا أي ضامرة البطون .. ورماك : سريعة وفي هذا البيت والبيتين اللذين بعده مبالغات غير مستساغة !!

(٧) منمنمة : موشاة .

لمْ يَحْكِهَا حَاكٍ[١] ولم يُسْمَعْ لَهَا   مثلٌ وليسَ يَحُوكُهَا مَنْ حاكَا

---

(١) حاك : من الحكاية أي لم يروها راو .. وحاكا : من الحكاية في نهاية البيت . وهكذا تكررت لفظة حاك ومشتقاتها بمعان مختلفة دون أن تصيب البيت بقلق أو اضطراب وهذه خصيصة من خصائص شعر ابن هتيمل .

٤ ـ وقال يمدح شمس الدين أحمد بن الحسين

أَعَلـيكِ لو حَيَّـيْتِ مَنْ حيَّـاكِ؟ رُدِّي السلامَ عَلَـيَّ كنتُ فِدَاكِ

وخـذي لثـامَك عن ثنايـا حُرِّمت رشَفَاتُهـا إلاَّ على المسواكِ

حَجَرَ العفافُ عَلَيَّ فَاكِ ولم يكُنْ حَرَجاً لعمـرُك أَنْ أُقبِّـل فَاكِ

صورت ليل دجـىً ورملـة عالج رَاب وشَمْسَ ضُحَىً وخَوْطَ أَراكِ[١]

سقـم بطـرفك لو يُعالِـجُ دَاءَهُ خداك أو شفتـاك ما شفتـاك

أشكـو إليك الحب وهـو قضيّـةٌ لايُـنصِفُ المشكوّ(فيها)الشّاكـي[٢]

كم لجَّ فيَّ وفيـكِ من مُتعـرِّضٍ وسعـى رجـالك بيننـا ونِسَاكِ

ولقـد كَتْـمتُ هواك لولا عَبْـرَةٌ نَمَّتْ علـيَّ بلوعتـي وهـوَاكِ

فأمَـا وبَـرْدِ لَمـاَكِ فهوأليـةٌ صراء أوجبها علـيَّ لَمَـاكِ

ومَحَاسنٍ كَمُـلَتْ فكـان كمالُهـاَ لقلوبنـا شَرَكـاً من الأشْرَاكِ

وَأَبِيكِ [٣]ماخَطَرَ السُّلُوُّ بِخَاطِرِي بَعْـدَ الفـراق ولاهمَـمْتُ بذَاكِ

وعلى الـغَضَىٰ باكٍ وآخَـر ضاحِكٌ في الـرَّكب من مُتَضَاحِكٍ متبـاكِ

سُقِيَى العَمِيْمُ[٤]حَيَا الغمام فلم تَزَلْ مشتَقَّـةً ريَّـاهُ مِنْ ريَّـاكِ

---

(١) لم يأت في هذا البيت بجديد ولكنه أعاد الينا معنى قول الشاعر :

﴿بدت قمراً ومالتْ خوطَ بان وفاحت عنبراً ورنت غزالاً﴾

(٢) في نسخة (م) : فيه .

(٣) ما كان أغناه عن القسم بغير الله في معني مطروق . ومثله قسمه ببرد لما حبيبته في البيت السابق له والقسم بغير الله شرك به .

(٤) العميم : قرية مندثرة كانت على ضفة وادي نخيلان المعروف حالياً بالخيلان وهي إحدى ضواحي مدينة ضمد ويقوم على أنقاضها حالياً حيٌ حديث التكوين وقد سبقت الإشارة إليه .

وسَرَتْ علىٰ الدَّكداك أو بَكَرَتْ على الدْ   دكداك أو رَاحتْ علىٰ الدكداكِ[١]

نفحـــاتُ شمسِ الديـــنِ أحمدَ إنَّهَـــا   في الرّيِّ أَخْصَبُ مِنْ أحشٍّ سِمَاكِ

الصارمِ البتاكِ والحامي حِمَىٰ الْـــ   إسْلامِ وابـــنِ الصَّارِمِ البَتَّـــاكِ

وفتـىٰ يؤيـد فرعـه ونصابـه   من فرع دوحتـــه بزاك زاك

محك،ألـدّ[٢]،يظـلُ خصم جدالـه   حيران بين إبـــاً وبين محاك

كف تعودت السمـاح فلـم تزل   مذكان ممسكـــة عن الامساك

وإذا الرفاق(تَيَمَّمَتْـــة)[٣]لنائـــل   نزلت على المتـبسّم الضحّـاكِ

وأَشَمُّ[٤]لاوَكِـلٌ[٥](ولاصرع)[٦]ولا   وغـــدٌ[٧]ولا بعضيهة أفَّـاكِ

عَالِـي الرقـاء إذا تجاوزَ غايـةً   قالتْ لهُ الأُخْـــرَىٰ دَرَاكِ دَرَاكِ

طمـح الطغـاة وكان أيَّ موفِّـرِ   لهُـمُ وأيَّ شَكيْمَـةٍ وشَحَـاكِ

ولقوُهُ بالجيْهـاتِ ثُمَّتَ عَايَنُـوا[٨]   مَاهَالَهُـــمْ فَلَقُـــوْهُ بالأوراكِ[٩]

---

(١) الدكـداك : سبقت الإشارة إلي أنـه اسم موضع، ربما كان من مواطـن ذكريـات الشاعر .

(٢) محك ألـد : المحك : اللجـوج في مخاصمتـه . والألـد: القـوي الشديـد في خصومته .

(٣) هذه الكلمة لا وجود لها في نسخة (ج) وتركت بياضاً .

(٤) أشم : ذو عزة وأنفة وشمم .

(٥) وكل : الوكل : العاجز البليد . تاج العروس ج٨ ص ١٥٩ .

(٦) ولا صرع : الصرْع : الذليل . وهـذه العبارة لا توجد في نسخة (ج) ولم يترك لها فراغ .

(٧) ولا وغد : الأحمق الضعيف الدنيء . تاج العروس ج٢ ص ٥٣٨ .

(٨) الجيهات : الوجوه : يقال أنظر بجيه سوء أي بوجه سوء. تاج العروس ج٩ ص ٣٨٥ .

(٩) الأوراك : ما فوق الأفخاذ والمعنى واجهه الأعداء طامعين في هزيمته وحين رأوا شدة بأسه ولوا الأدبار .

يابَهْجةَ الأيَّــامِ بِلْ يامُصلِــحَ الــــ إسلام بَلْ يامُفْسِدَ الإشْرَاكِ

هلكَتْ بجندك عُصْبَةٌ ما إنْ تَنِـــي تَجْرِي إلىٰ غصْبِ لَهــا وهــلاكِ

٥ ـ وقال يمدح الشريف قاسم بن علي الذروي صاحب صبياء

هبَّتْ لنا سحراً والصبحُ ملتثمٌ ... والليلُ قد عاثَ فيه الشيبُ والهرمُ

ضعيفةٌ من رياح الشرق أضعْفَهَا ... عن قُوَّةِ السّير لما هبَّتِ السقمُ

فبلَّغتْ بلسان الحال إذْ نَسَمتْ ... تحيّةً ما يؤدّيها إلىَّ فَمُ

سرٌّ لغانيةٍ يَسرِي إلىَّ به ... من النسَّيم رسولٌ(ليسَ يُتَّهَمُ)[1]

إذا تَضَمَّخَ مسكاً من ذوائبِها ... ألمَّ بالقلب من إلمامه ألمُ

أُصافحُ الريحَ إجلالاًلما حَمَلتْ ... إلىَّ من ريح بُردَيْها وأستلمُ

ضَنَّتْ بِزَوْرَتِها إذْ دارُهَا أَمَمٌ ... فكيفَ تَسْمَحُ إذْ لادارها أَمَمُ[2]

كيف الغَضى[3]ياصبا نجدٍ ومافعَلَت ... تلكَ الخيامُ وذاكَ الضَّالُ والسَّلَمُ

للبرق مكرُمَةٌ،إن شقَّ في إضَمٍ ... جَيْبَ الغَمَامَةِ أو تُرْوىٰ به إضَمُ[4]

ما كان أحسن أيّام خَلَوْن بها ... كأنَّها (من)[5] تقضيٍّ عهدها حُلُمُ

وعاشق شقّةَ الأخطار مرتكباً ... هوْلَ الخَطارِ وجلبابُ الدُّجى فَحَمُ[6]

---

(١) في نسخة معهد المخطوطات العربية ذات الرقم ٣٠٤٨ وردت العبارة هكذا : «لَيسَ مُتَّهَمُ» .

(٢) هذا البيت انفردت به النسخة المصورة عن نسخة معهد المخطوطات العربية رقم ٣٠٤٨ .

(٣) الغضى : هكذا وردت في النسخة المصورة وصواب كتابتها هكذا (الغضا) .

(٤) أضم : في الشطر الأول معناها في غضب قال أصحاب المعجم الوسيط : أضم عليه: أضمر حقده ج١ ص ٢٠ وأضم الثانية اسم للوادي الواقع في المدينة المنورة على سكانها أفضل الصلاة وأزكى التسليم وأوفى الشطر الثاني بمعنى حتى . القاموس المحيط ج٤ ص ٧٥ .

(٥) في نسخة (ج): ما .

(٦) فحم : شديد السواد : قال أصحاب المعجم الوسيط : فَحْمُ الشيءِ : أسوَدُهُ ج١ ص ٦٧٦ .

يستعرضُ الركبِ والأنضاءُ أذرعُها وسائقُ الرَّكب ملويّاً بها الخُطُمُ[1]

بدرٌ مشى بالثريَّا زانَهُ قَدَمُ والبدرُ ليس لهُ ساقٌ ولا قدمُ

فالورد والجلّنارُ الغضُّ وَجْنَتُهُ حُسْناً وأنْمُلُهُ العُنَّابُ والعَنَمُ[2]

أمسَى ضجيعي وما فوقَ النطّاقِ لَنا حِلٌ، وأمَّا سَرا[3] وِيَلاتُهُ حَرَمُ

ياطالبَ الرِّزْقِ بعدَ الله من بَشَرٍ الرِّزْقُ من قاسِمِ الذِّرْوِيِّ مُقْتَسَمُ

انْزِلْ عليه إذا اسْتَسْمَنْتَ ذَا وَرَمٍ إنْ غرَّ غيركَ جسمٌ شَحْمُهُ[4] وَرَمُ

لا يُطْمِعَنَّكَ غيمٌ مالَهُ مَطرٌ ويخدعنَّكَ آلٌ[5] وَجدُهُ عَدَمُ

فالبحرُ أغْزَرُ من أن يُسْتَقي وشلٌ[6] واللهُ أكبرُ منْ أنْ يُعبَدَ الصَّنَمُ

أمَا لِعَقْلِكَ نورٌ يُستَضَاءُ به منْ أَيْنَ تَشْتَبِهُ الأنوار والظُّلَمُ

لولا التفاضلُ بالأفعال ما شَرُفَ الْـ إنْسَانُ فالناسُ لحمٌ كلهُمْ ودَمُ

وللعُلوِّ دَلاَلاتٌ يُبيِّنُها[7] في العالم البَشريِّ الهمُّ والهِمَمُ

---

(١) الأنضاء : الابل المهزولة من شدة السير القاموس المحيط ج٤ ص ٣٩٦ .

(٢) الْعَنَم : شجر له ثمر أحمر يشبه به البنان المخضوب، القاموس المحيط ج٤ ص١٥٥. قال أصحاب المعجم الوسيط : عنّم البنان : جعله مخضوباً ج٢ ص ٦٣٢ .

(٣) (سرى ويلاته) : هكذا وردت في النسخة (م) وفي نسخة (ج) كتبت بشكلها الصحيح كما رسمناها في المتن .

(٤) يذكرنا هذا البيت بقول المتنبي (أعيذها نظرات منك صادقة .:. أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم) وقد ورد الشطر الثاني في النسخة ذات الرقم ٣٠٤٨ على النحو الآتي : (ولا يَغُرَّنْكَ جسْمٌ شَحْمُهُ وَرَمُ) .

(٥) آل : الآل : السراب .

(٦) وشل : الوشل : الماء القليل : القاموس المحيط ج٤ ص ٦٤. قال أصحاب المعجم الوسيط :
الوشل : الماء القليل يُتَحَلَّب من جبل أو صخر ولا يتصل قطره ج٢ ص١٠٣٥ .

(٧) ورد هذا الشطر في نسخة رقم ٣٠٤٨ على النحو الآتي : (وللمعالي آيات تبينها).

انظُرْ إلى الطّيـرِ في تفصيـلِ جَارِحِهَـا (بالصد)[1]، هل تستوي العُقْبانُ والرَّخَمُ

والناسمُ بن عليّ المحض[2] جَوْهَرُه الدْ سُدنْيَـا ولا عَرَبٌ فيها ولا عَجَـمُ

خلاصةُ السَّبْكِ إنْ كيَّـفْتَ هيْأَتَـهُ فإنّمـا هِيَ معنـىً والـورىَ كَلِـمُ

أَغَـرُّ تكسرُ عيـنَ الشّمسِ غُرَّتُـهُ أشمُّ، سائلُـهُ في مالِـه حَكَـمُ

بالسيـفِ معتـزمٌ، بالحقِّ ملتَـزِمٌ باللهِ معـتَصِمٌ(في)[3] للّـهِ مُنْتَقِـمُ

إذَا انْتَضَى الخذمَ الصمصامَ يوم وغا لم يُدرَ أيُّهمـا الصِّمْصَامـةُ[4] الخذّمُ

مصغ إلى دعـوة الداعـي فيسمَعُـهُ قبـلَ التّكلُّـم سمعٌ مابـهِ صمَـمُ

يلقى[5] السيوف كما يلقى الضيوف فما ينْفَكُّ في حَالتيـهِ وهـو مبـتسم

لا يذبحُ الشاةَ (إجلالاً)[6] لطارقـهِ ولا كرامـةَ مالـمْ تُنْحَـر النَّعَـمُ

سماحـةٌ مَا أتاهـا حاتِـمٌ أبـداً في طيءٍ، لَا. ولا في مُرَّةٍ هَرِمُ[7]

فمـا يعـدُّ لعمـرو عامـرا مَعَـهُ فضلاً ولا لكليـب بعـده حَشَمُ

فخـراً أبـا خالـدٍ فالفخر أنتَ ومَـا تحوْي، وفخرُ سواكَ الأعظُمُ الرِّمَمُ

هيهات ما كل سيفٍ ذو الفقار ولا كُلُّ البـلاد[8] **استحيائهـا** إرم

---

(١) هكذا في نسخة (م) وفي نسخة (ج) : «بالصيد» .

(٢) في النسخة ذات الرقم ٣٠٤٨ : (الندب) .

(٣) في نسخة: (ج) : «بالله» .

(٤) الصمصامة : السيف الباتر الذي لا ينثني .. والخذم : القاطع : القاموس المحيط ج٤ ص١٠٣ .

(٥) هذا البيت غير موجود في نسخة (م) .

(٦) في نسخة (ج) «إكراماً» بدل كلمة : «إجلالاً» .

(٧) يبالغ فيصف ممدوحه بتفوقه في السماحة على حاتم الطائي وهرم بن سنان قِمّتي السخاء العربي .

(٨) يبدو أن هناك قلقاً في وزن الشطر الثاني مما يدل على أن هناك كلمة ربما تكون =

إن الشهور لمعنىً لا يَعُمُّ شُهُو … رَ الْحَوْل؛ **أفضلُهُنَّ** الأشهرُ الحُرُمُ

وصلت آل رسولِ اللّـــهِ مَرْحَمَـــةً … في السِّرِّ والْجَهْرِ إذْ لا تُوصلُ الرَّحِمَ

وقُمْتَ دونَهُمَ بالسيف مُصْطَلِيـاً … نارَ الوغى وهُمُ القومُ الذيـن هُمُ

لا تحسبَـنَّ بنـي العبـاس أنهُـم … إلا كمنْ وَلَـدَ المَرْوانُ[1] والحكـمُ

تداولُــوا رتبـةً أنْتُـم أحـقّ بها … منهمْ بأهْويَـةٍ صَموُّا بهَـا وعَمـوُا

وكيف (ترجع)[2]عنكمْ إرثُ جدكُمُ … (فيهمْ)[3]، وفاطمة الزهراء أمّكُـمُ

البُردُ ياابن عليٍّ والقضيبُ لكـمْ … والبيتُ والحجرُ والبطحـاءُ والحرمُ

أما الغِمَارُ[4] اللــواتي لا يتـمُّ بها … ريٌّ ، فَطَـمَّ[5] عليها سيْـلُكَ العَرِمُ

أمْطَرْتَني نِعمـاً من بعدهـا نِعَـمٌ … كأنَّهـا دِيَـمٌ، من بعدهـا دِيَـمُ

مالٌ لديَّ، ومـال في الطريـق إلى … بيتي، وآخـر يدعـوني فأحتشمُ

لذَّت على ألسن الأحيـاء غيرك لا … واستعذبوها فمـا تحلـو لهم نعم

أصبحتَ أملك لي مني بعارفـةٍ … جوارحـي لك من عرفـانها خَدمُ

سقطت أثناء النسخ نرجح أن تكون كلمة (لدى) ومكانها بعيد كلمة : (البلاد). وقد جاء بياض في النسختين . وقد وجدناها مؤخراً في نسخة ثالثة مصورة عن معهد المخطوطات ذات الرقم ٣٠٤٨ وهـي الحرف : (على) وهكـذا يصبح الشطر على النحو الآتي : «كلُّ البلاد على استحيائها إرَمُ» .

(١) في نسخة ثالثة مصورة عن معهد المخطوطات بالقاهرة ذات الرقم ٣٠٤٨ورد البيت هكذا :

لا تحسبـن بنـي العبـاس أنهم … إلا كَمَـنْ ولـدَا مروان والحكـم

(٢) في نسخة (ج) «يرجع» بالياء بدلاً عن التاء .

(٣) في نسخة (م) . فيهم . وفي نسخة (ج) فيكم .

(٤) الغِمَار : الأرض الخراب، القاموس المحيط ج٢ ص١٠٤، قال أصحاب المعجم **الوسيط: الغامر** من الأرض خلاف العامر وهو ما غَمَرَهُ ماء أو رمل أو تراب فصار لا يصلح للزرع، ج٢ ص ١١٦ .

(٥) طَمَّ : غمرها وأرواها . قال أصحاب المعجم الوسيط : طما الماء : ارتفع وملأ النهر، ج٢ ، ٥٦٧ .

فالفكرُ ينظـرُ والأفكـارُ طائفـةٌ   والقـلبُ والكـفُّ والقرطـاس والقلـمُ

لَينـدَ مَنَّ على التفريــط من قِبَلي   أهـلُ الريـاسةِ إذ لا يَنفـعُ النَّـدمُ

فالبسْ من الحُلل التِّبْريـنِ أعْلَمَهَـا   حَبكُ اليراعـةِ حتـىٰ كلُّهـا علَـمُ

فالنـاسُ مَنْ فاخرُ الديـاج بِزَّتُـهُ[1]   ومنهُـمُ مَنْ رِدَاهُ[2] الصوفُ والأَدمُ

---

(١) بِزّتُه : هيئته، المعجم الوسيط ج١ ص ٥٤ .

(٢) رِدَاهُ : أصلها رداءه فخفف الهمزة لوزن الشعر .. والرداء ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة.. المعجم الوسيط ج١ ص٢٤٠.

٦ ــ وقال أيضاً يمدح القاسم بن علي الذرويّ ويذكر أن بعض قومه اختلفوا عليه

حييت (من طللٍ ومــن رسم)[١] — كالرَّقــمِ، أو كبقيَّــةِ الرَّقْــمِ
مَحَتِ الريــاحُ سطــورَ آيِهِمَــا — دَرسُوا فمــا يُعْرفْــن بالوَهْــمِ
يبــدو لعيــنك من عِراصِهِمَــا — كَفٌّ كمثــل دوائــرِ الــوشْمِ
فكأنَّمــا كانت ربوعُهمُــا — لثمــودَ أو لجديسَ، أو طَسْم
ياهــل ترىٰ الأيــامُ معقبــةً — زمنــاً يقــيض[٢] الــوصل بالصرِّم
ما عيشُنــا الماضي بذي سَلَــمٍ — إلاَّ كأضغــاثٍ من الحُلْــمِ
أسَفِــي على نعــمٍ ولا حرجٌ — إن قلْتُ وآآسفــاً على نُعْــمِ
رودٌ[٣] يضمُّ المسكُ صورَتَهــا — تحت الغلالــة[٤] أيّمــا ضَمِّ
غَنَّــي الشبــابُ بها وحكَّمهــا — في الحسنِ فانْتَهبتْــهُ بالحُكْــمِ
صنَــمٌ توشَّحَ خصرُهَــا هيفــاً — وأَغَصَّ حَلْــيِ ساقُهــا الفَعْــم[٥]

(١) في نسخة (ج) ورد هذا الشطر هكذا : «حيت من رسم ومن طلل» ولعل الصواب هو ما جاء في نسخة : (م) وهو مارسمناه .

(٢) يقيض : المبايعة بالمبادلة والمعاوضة شيء بشيء القاموس المحيط ج٢ ص٣٤٣. يبيعه بيع المقايضة فيستعيض عن الصرم بالوصل .

(٣) رود : من معاني رود : كثرة الارتياد تمشي على مهل .. وقيل المرأة الطوافة في بيوت جارتها . القاموس المحيط ج١ ص٢٩٦ . وانظر ص٣٨١ من المعجم الوسيط ج١ .

(٤) الغلالة : شعار تحت الثوب يباشر الجسد ويلبس تحت الدرع ايضاً .. محيط المحيط ص ٦٦٤ .

(٥) ساقها الفعم : أي ساقها الضخم الممتلىء قال أصحاب المعجم الوسيط : فعم الإناء : امتلأ ج٢ ص ٦٩٦ .

تسقيكَ من يَدِها ومن فَمِها خمرَيْن من عِنبٍ ومن ظَلْمِ[1]

ضنَّتْ[2] بها وبكأسِها أفلا بنْت الكُروم ولا ابنةُ الكَرْمِ

جِسْمي بلا رُوحٍ (وروحُكِ)[3] يا ذاتَ اللَّمى رُوحٌ بلا جِسْمِ

هيهات منك علوُّ مرتبةٍ إنْ نمتَ[4] أو فرَّطتَ في الحَزْمِ

فاعزِمْ ولا تَنْظُرْ لعاقبةٍ إنَّ النَجاحَ نتيجةُ العَزْمِ

من لم يَشِدْ مَجداً بمكرُمةٍ وبسَالةٍ، فَبناهُ كالْهَدْمِ

لا غَرْوَ إنْ حلمت من سَفَهٍ إنَّ العضى[5] فرع لذي الحلم

فإذا سَفُلْتَ فلا يفيدك من شيء علو الخالِ والعمٍّ

هذا عصامُ جرىٰ لِطيّتهِ ما نالَ، لا بأبٍ، ولا أمٍّ[6]

....

---

(١) ظلم : الظلم: ماء الاسنان، القاموس المحيط ج٤ ص١٤٦ قال اصحاب المعجم الوسيط : الظلم ماء الأسنان وبريقها والثلج. ج٢ ص ٥٧٧ .

(٢) ضنت : بخلت قال أصحاب المعجم الوسيط : الضنين البخيل بالشيء النفيس ج١ ص٥٤٥ .

(٣) في نسخة (م) «وراحك» وكذا في النسخة المصورة عن معهد المخطوطات ذات الرقم ٣٠٤٨ .

(٤) أوْ نمْتَ : هكذا في نسخة (م) و «أو» لا تلائم المعنى وإنما ملائمها حرف «إن» كما هو مثبت أعلاه وكما هو في نسخة (ج) : «إنْ نمْتَ أو فرطتَ في الحزم.» .

(٥) العضى : جزء الشيء. عضا الشيء : جزَّأه . المعجم الوسيط ج٢ ص ٦٠٧ وفي نسخة ١٦٩٢ «إنَّ العَصَى قُرِعتْ لذي الحلم» .

(٦) يشير في هذا البيت إلى قول الشاعر (نفسُ عِصامٍ سوَّدتْ عِصاماً .'. وعلمته الكرَّ والإقداما)

دولُ الكـــــرام تقسَّمتْ شرَفـــاً ... ونَـــداً، ودولـــةُ قاسمٍ[1] قَسْمـــي

مَلِكٌ إذا كُشِفَ الحجـــابُ لَنَـــا ... أزْرَىٰ ببـــدر التَّـــمِّ في التَّـــمِّ

وإذا تَتَـــــوَّج ظلَّ في فرحٍ ... تيجَانُـــــه والبـــــيض في غمِّ

متـــــواضعٌ براً ومـــــرحمةً ... وهـــو المُعَظَّـــمُ غايـــةَ العظـــمِ

يُقْـــرِي إذا أقْـــرَىٰ الـــورَىٰ لَبَنـــاً ... أشهـــىٰ الثَّريـــدِ وأطـــيبَ اللَّحْـــمِ

وينـــوبُ عن تقبيـــل راحتِـــهِ ... لثـــمُ الأشاجِـــع[2] قُبْلَـــةُ الكـــمِّ

قطبٌ تدورُ رَحَـــىٰ الأمـــور بِهِ ... في طَحْنها والحرْبِ والسلـــمِ

خَصْمٌ ألـــدُّ إذا اعـــتصمتَ به ... أيقَـــنْتَ أنَّكَ فالـــجُ الخصمِ[3]

طلْـــقٌ إذَا الزمـــنُ العبـــوسُ غدا ... جَهْـــمَ السنين فلـــيس بالجَهْـــمِ[4]

ثبتٌ يسدُّ الثغرَ منهُ بِعَـــا..... ... ديّ الجلادة ماجـــــدٍ قرمٍ[5]

إيـــهِ أبـــا الصيّـــاد[6] ملـــكُكَ ما ... أوتيتـــــه إلاَّ على عِلْـــــمِ

---

(١) قاسم : هو القاسم بن علي الذروي ممدوح الشاعر وقد سبقت ترجمته .

(٢) في النسخة الثالثة المصورة من معهد المخطوطات ذات الرقم ١٦٩٢ بدل كلمة : «الأشاجع» البساط .

(٣) فالج الخصم : الفلج : الفوز والظفر ومعناه : فائز على الخصم وظافر عليه، القاموس المحيط ج١ ص٢٠٢ .

(٤) الجهم : الغليظ الكريه ــ القاموس المحيط ج٤ ص ٩٢. وفي أساس البلاغة : وجه جهم : غليظ كثير اللحم ضيق الخلقة ص ١٠٨ . في النسخة الثالثة ذات الرقم ١٦٩٢ جاء الشطر الثاني هكذا : «جهم الجهات فليس بالجهم» .

(٥) قَرْم : سيد .. ومن معانيها صار كبيراً ج٤ ص ١٦٢ القاموس المحيط . والقَرْمُ من الفحول : الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للضِّراب ومن الرجال السيد المعظم، المعجم الوسيط ج٢ ص ٧٣٠ .

(٦) الصيَّاد : أحد أبناء ممدوحه القاسم بن علي الذروي .

عزَّتْ بعزِّكُــــمُ بنـــــو حسنٍ	واللحـمُ معتمـــدٌ على العظـــمِ
وأراهـــــمُ عن مُعْجِزَاتِكُـــمُ	قسمين من عُمـــيٍ ومـــن صُمِّ
سخِـــطَ الـــذي أعطيتَـــه نَفَـــرٌ	عنهم وقـــد قَبضوه بالرغـــم[1]
داويتَ (علَّتَهـــمَ)[2] بعلَّتِهـــم	يامـــن يُداوي السقـمَ بالسقـــمِ
وسقـيتهم كأساً ومـــا شعـــروا	حتـــى علَـــلْتَ السُّمَّ بالسُّمِّ
إنْ طَاوَلُـــوكَ لغايـــةٍ بَعُـــبدتْ	عنهم فلـــيس الحرْفُ كالإسْمِ
أَوْ أَحْدَثُـــوا فِعْـــلاً برأيهـــمُ	مستقبَـــلاً فابـــدأهُ بالجزم[3]
لا تستَشِرْ في فرصَةٍ عَرَضَتْ	فالحزمُ دفـــعُ الظّلـــم بالظُّلـــمِ[4]
وأرَىٰ توقّـــي الظّلـــم في فئـــةٍ	من غير حزبِكَ غايـــةَ الإثْـــمِ
يَامَـــنْ غنـــيتُ بفضلِ نعمتِـــهِ	(في الأرضِ)[5] عن عَرَبٍ وعن عُجْمِ
حَسْبـــي وحسبُك عن ولـــيّك ما	(قَدَّمْتَـــه في دِقَّـــةِ الــجِسْمِ)[6]

---

(١) في النسخة ذات الرقم ١٦٩٢ جاء الشطر الثاني هكـذا : «وزعيمهـــم فرضوه بالرغم» .

(٢) في نسخة (ج) «غلتهم» بالغين .

(٣) يؤكد هذا البيت ثقافة الشاعر وحذقه باللغة العربية فيشير إلى عمل حرف الجزم إذا دخل على الفعل المضارع مستوفياً ذلك من ناحية اللفـظ . ومـن ناحيـة المعنى .. والشاعر يحضّ ممدوحه على اتخاذ الحيطة والحذر مع قومه .

(٤) كأنَّ الشاعر يؤكد المعنى الذي ذهب إليه المتنبي حين قال :

والظلـم من شيم النفـوس فإن تجد ... ذا عفـــةٍ فلعلـــةٍ لا يظلِـــمُ

وقد جاء هذا البيت في صورة المخطوطة الثالثة رقم ١٦٩٢ هكذا :

وأرى توقي الظلـــم في فئـــة ... فالـــرأي دفـــع الظلـــم بالظلـــم

(٥) جاء في النسخة المصورة عن معهد المخطوطات رقـم ١٦٩٢ كلمـة : «وَنَـدَاهُ» بدل : «في الأرض» .

(٦) وفي النسخة رقم ١٦٩٢ ورد هذا الشطر هكذا : «أَوْ ليتَهُ مِنْ دَفْعَةِ الوَسْمِ» .

٧ ــ وقال يمدح الشيخ علي بن محمد الخواجي (*) بصبياء

علــــيَّ صنيعــــــــةٌ لنسيم نجدِ ... بما أهــــداهُ من نفحــــــات نجدِ
أتــىٰ بالمسكِ تَحْمِلُــهُ النُّعامـــى ... ومــاء الــورد في شيـــحٍ ورنـــدِ
وعـــرَّضَ لي لسانُ الحال عنْهـــا ... بردٌّ تحيَّــــــــــــــــةٍ من غير رَدِّ
فأهـــلاً يانسيــــمُ بما أَتَتْنـــا ... به النَّفحـــاتُ من هزْلٍ وجــدِّ
أَقِــيْضُ مُعَذِّبــي حبّاً ببــــغضٍ ... وأَجْــزِي هاجِــرِي وَصْلاً بصدِّ
وأَقْضيهِــمْ ليــــوم غدٍ وحُبِّـــي ... كما عَهِـــدُوهُ في قُرْبٍ وبُعــــدِ
صبيبُ جَوًى فلا فجْعٌ كفجْعــــي ... لمن أهْـوىٰ، ولا وَجْدٌ كوَجْــدِي[1]
ولا والله لأنسا وداعـــــــــــــاً ... ظفرتُ به ولا خطائي وعمــدي[2]
وقــد شبك النــوى كفــاً بكــفٍ ... وألصَقَ وَشْكُـــــهُ خدّاً بخـــــدِّ
فلـــيت الحب أطلَـــقَ كُلَّ عانٍ ... وأفردَنِــــي بداءِ الحبِّ وحـــدي
أيــدري النــاسُ ألّا قبــلَ قَبْلي ... لِذي مِقَةٍ وأنْ لا بَعــدَ بَعْــدِي؟[3]

(*) في نسخة (ج) لا وجود لكلمة الخواجى فقد جاء العنوان هكـذا: «وقـال يمدح الشيخ علي بن محمد بن مرير» ولم أجـد له ترجمة فيمـا وقـع تحت يدي من مصادر ولعله أحد أقارب ممدوحه الذروي .

(١) هذا البيت والبيت الذي سبقه غير موجودين في نسخة (ج) .

(٢) ولا خطأ وعمد : هكـذا وردت في النسخــة المصورة (م) كذلك كلمــة : (لا أنسا) في الشطر الأول هكـذا وردت في هذه النخسة وصواب الأولى : (لا أنسى) والثانية : ولا خطائي وعمدي ــ كما أثبتناها . أما في نسخة (ج) فقد أتى بدلاً عن الكلمتين (خطأ وعمد) بكلمتي : (وجد كوجدي) وهما موجودتان في البيت السابق له ولكن صاحب هذه النسخة حذفه!!

(٣) لذي مقة : لامريءِ ذي مقة : والأمقة : الذي يهيم على وجهه لا يدري أيـن يتوجه المعجم الوسيط ج٢ ص ٨٨١ .

وسَبْسبــةٍ تَكِـلُّ الريــحُ فيها — وتعُيى البُدنَ من عنَـق ووَخْـدِ[1]

نصبتُ لحرِّهـا وجهــا ترامَــىٰ — به الفلـــواتُ في حرٍّ وبَــرْدِ

إلى علـم الـذي عكـفت عليـه — قبائـل يَعْـرُبٍ وبَنُــو مَعـدٍّ

متى عَلِقتْ بحبـل علـيّ كَفِّـيْ — فَقـدْ عُوِّضتُ من نَحْسٍ بسعْـدِ

ولو بِعْتُ الـوَرىَ بوفَـا علـيٍّ — لبـعتُ **نسيَّةً** منهم بنقـدِ[2]

سليلُ محمـد بنِ (مريـر) أزكَـىٰ — بنـي حوَّاء في غَوْرٍ ونجدِ[3]

فتًىٰ كالسيـفِ يَقْطـعُ بين غمـدٍ — ولـيس السيفُ يَقْطَـعُ بين غمـدِ

وأبلـج كفــهُ يَهمِـي نُضَاراً — على العـافي بلا بَرقٍ ورعـدِ

جوادٌ صيـغَ من مُرٍّ وحُلـوٍ — له طعمـانِ من صَبِـر وشَهْـدِ

يهولُكَ في المَقالـةِ وهْـوَ فيها — يُعيـدُ بوصلِ عزمَتِـةِ ويُبْـدِي

فأيُّ دريَّـةٍ للطعـن حلين[4] — وأيَّ مَنَيِّـةٍ والخيـلُ تُردي

فَدَعْ سطواتِ عنترةَ بن عمـرو بْـ — ـنِ شدَّادٍ،ودعْ عمـرو بن مَعْـدي

حيـاءٌ تَقْطُـرُ الوجْنَـاتُ منـة — (ونصلٌ[5] يُحـبسُ بالفِرنْـدِ)!!

---

(١) عنق : السير المسبطر للابل ، القاموس المحيط ج٣ ص ٢١٩ . والوخد : إسراع الابل في سيرها وسعة خطوها القاموس المحيط ج١ ص ٣٤٤ .

(٢) لبعت نسيئة : يؤكد ثقافته الدينية فيشير الى نوعين من أنواع البيوع المعروفة في كتب الفقه الإسلامي .

(٣) سليل محمد بن (مرير)أزكى بني حوىٰ كلمة (حوىٰ)هكذا وردت في نسخة (ج)وفي نسخة (م)كما رسمناها

(٤) فأي دريّة للطعن حلين : هكذا جاء الشطر الأول وكما يبدو في اضطراب الوزن فالمعنىٰ غير مستقيم مع ماجاء في الشطر الثاني ممايدل على أن البيت دخله بعض التصحيف في شطره الأول.

(٥) وفي الشطر الثاني كلمة سقطت في النسختين ربما تكون كلمة(ظل)بعد كلمة ونصل

اَلَـــدُّ إذا اعـــــتصمتَ به نصيرا   نُصِرتَ بة على الخصمِ الألَـــــدِّ
أبـــا حسنٍ وأنتَ رئـــيسُ قومـــي   ورأسُ الصِّيد في حَكَم بن سعد[1]
ومـن فخـرت به يَمَـــنٌ وألــقَتْ   إليـــه الأمـــر في حلٍّ وعقـــدِ
فكَمْ لكَ من صَنيعٍ عندَ صِنْوِي[2]   وكـــمْ لَكَ من يدٍ بيضاءَ عِنْـــدي
فتعزيـــــــزٌ وتوقيــــــــرٌ،ووُدٌّ   ورفـــدُ بعـــد رفـــدٍ بعـــد رفـــدٍ
وأنت أجـــلُّ من أوفـــا بعهـــد   وجادَ فلم يَخُنْ بضمانِ عَهْـــدَ[3]

---

(١) لعله يشير الى القبيلة المشهورة التي تنتمي الى :سعد العشيرة اللذين يسمون مذحج ولد مالك ابن أدد.الاشتقاق لابن دريد ص٤٠١ ط مكتبة الخانجي مصر.

(٢) صِنْوِي:الصنو:يطلق على الأخ الشقيق ويطلق على **ابن العم** -القاموس المحيط ج٤ ص٣٥٣

(٣) هذان البيتان الأخيران لايتضح منهما سوى الكلمات الأولى في نسخة (ج)ولا توجد في هذه النسخة الأربعة الأبيات التي تسبق هذين البيتين مع أن في تلك الأبيات المحذوفة بيت القصيد كما يقال.

٨ ــ وقال يمدح الشريف أبا المهدي عز الدين قتادة بن راجح(*) الحسنى صاحب مكـة

غَصَبْتِ بغير ما سببٍ فُؤادَه ... ومَلَّـكتِ الهوى قهـرا قِيـادَه

لقـد أمرضْتِ ما أبقيتِ منـه ... فهـلْ لَكِ في معـاودَة العيـادة[1]

بَخلتِ فزوديـه! ولاتَضنِـي ... عليـه بنظـرة، لتكـون زاده

فربَّمـا قضى نَحبـا وأودَتْ ... حشَاشَتُـهُ ولم يَبْلُـغْ مرادَه[2]

ومَـالَكِ قضيتِـهِ سَهـرا بنـوْمٍ ... فصارَ سُهـاد نَاظِـره رُقـادَه

أعيـدِي قلبَـه نِضوا[3] حبيبـه ... فلـيس عليـك ذنبٌ في **الإعـ**ادة

أجائلـةَ الـوشاح صِلِـي غويّـاً ... يبيـعُ بغيِّـه منكُـم رشَادَه

وكيف سَرى خيـالُك من أنـاحٍ ... فحيّا الرَّكْبَ من جَبلَيْ جِيَـادَة[4]

(*) هكذا ورد اسم أبيه في مخطوطات الديوان ، وربما تصحيف أو خطأ في النسخة الأصلية التي نقلوا عنها ذلك أن قتادة هذا هو: قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين... إلخ يكنى بأبي عزيز ولي إمارة مكة عشرين سنة بدأت من سنة ٥٩٧ كما ذكر عدد من المؤرخين وكانت له صولات وجولات حتى اتسعت ولايته فشملت قراح من اليمن وبلغت اطراف المدينة المنورة كان أدهى وأشهر من ملك مكة من ابنائه : راجح وحسن وعلي ويقال إنه قتله ابنه حسن سنة ٦١٨هـ .

(١) العيادة : زيارة المريض ويقال : عاد المريض عيادة وعوادة . محيط المحيط ص ٦٤٢ .

(٢) هذا البيت غير موجود في نسخة (ج) وكذلك الأمر بالنسبة للبيت الذي يليه : «ومالك قضته...» .

(٣) نضواً : هزيلاً . قال أصحاب المعجم الوسيط ج٢ ص ٩٢٩ : النضو : الهزيل من الحيوان، ويقال فلان نضو سفر : أي مجهد .

(٤) (جبلي جيادة) هكذا وردت كلمة (جبلي) في نسخة (م) أما في نسخة (ج) فقد وردت هكذا : (خيلي) .

ألـــذُّ العـــيش نشوةُ كسرويٍّ وصبـوةُ أغيـدٍ يَصبُـو لِغَـادَة

تبـيتُ وطوقُهـا يَدُهُ وتُـمْسي قلائدُهـا للبَتِّـه قِلادَة

وساعدُهـا لمفرقِـهِ وِسادٌ وساعِـدُهُ لمفرقِهَـا وِسَادَةْ[1]

إذا ما الـحُبُّ عُوْلـجَ بالـتَّصابي فلـيسَ صلَاحُـه إلَّافسادَه

فسلِّ القـلبَ عن نُعـمٍ وهنـدٍ وخـلِّ نوارَةً واهجـرْ سُعـادَة

فإن لكـل ذاهبـةٍ معـاداً وآخـرةُ الصِّبـا لَيْسَتْ مُعـادَةْ

عرفتُ النـاسَ حتـى كدتُ أدْري بمافي (البطـنِ)[2]من قبـل الـولادَةْ

فلـم تَزِدِ الريـاضةُ في نَفـيسٍ ولم تُغْـنِ الريـاضةُ في البـلادَة

عليكَ بكرمـة الكـرم احتـذِيها[3] إلـيك فإنّ كرمَتَهـا قتـادة[4]

فتـىً شرُفَ الخصيبُ به فأنسي سويقـةَ مثـل ماأنسي جيَـادَه[5]

وأروعَ من بنـي الحسن المثنَّـىٰ أفـادَ طريفَـهُ ونَفَـىٰ تِلادَه[6]

سِدادَ الثَّغْـر لو خَرجتْ ألـوفٌ من الأُمـراءِ ما كانُـوا سِدَادَه

إذا نَكصَتْ[7]جِيادُ الصَّيـد خوفـا لحَـوْض الموت أورده جيـاده

---

(١) هذا البيت لا وجود له في نسخة (ج) .

(٢) في نسخة (ج) «القلب». وفي نسخة (م) وردت كما ذكرنا أعلاه : «البطـن» ولعلها أقرب للصواب .

(٣) في نسخة (م) هكذا وردت بالحاء والياء. وفي نسخة (ج) وردت بالجيم والباء الموحدة : «اجتذبها» .

(٤) هذا هو بيت التخلص كما يسميه دارسو الشعر . قتادةَ : هو ممدوح الشاعر في هذه القصيدة وهو : أحد أشراف مكة في القرن السابع .

(٥) سويقة .. وجياد : أماكن مشهورة في مكة المكرمة بلد الممدوح وعاصمة ملكه آنئذٍ .

(٦) الطريف : المستحدث ، والتليد :قديمه .

(٧) نكصت: أحجمت ورجعت على عقبها خوفاً القاموس المحيط ج٢ ص٣٢٠ . وفي المعجم الوسيط : نكص نكصاً : رجع إلى خلف أو عن الأمر أحجم ج٢ ص ٩٥٣ .

(....)[1]راجـح بن أبي عزيـز	وسار بهديـه ما شاد شاده
تعـود ضرب أعنـاق الأعـادى	وجـز رؤوسهـم والخير عادة
فهـم كالـزرع أحصد فاستبـدت	عليه(عـاده)[2]فكفـوا حصاده
ترعـرع سيـداً ونشا رئـيساً	فحسبك في الريـاسة والسيـادة
تمنـى[3] السادة[4] العـرنين[5] لما	نشا[6] في الفضل لو كانوا عبـاده
إذا قابـلت طلعتـه صباحـاً	محوت رسوم نحسك[7] بالسعـادة
سعى وجرى الكرام ففـات عنهم	وقـد جهـدوا ومابلغـوا اجتهاده
وأورى زنـده وكبـوا زنـاداً	فلـم يشبـه زنادهـم[8]زنـاده
فكيـف يقـاس أعظمهـم إليـه	ولـيس عتاد أعظمهـم عتـاده

---

(١) كلمة غير واضحة في النسخة المصورة عن مخطوطـة معهـد المخطوطـات وفي مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز «تُقَبِّل» .

(٢) هكـذا جاءت هذه الكلمة من غير تنقيط في نسخـة (م) وفي نسخـة : (ج) : «عبيده» وهي توضح المعنى المراد وتقرّبه .ج

(٣) «تَمَنّى» هكذا وردت الكلمة في نسخة (م) وفي نسخة (ج) : «تَمَنَّتْ» بتاء التأنيث وليست بالألف المقصورة .

(٤) «السادة» هكـذا جاءت معرّفة بالألف واللام في نسخة (م) وفي نسخة (ج) : (سادة) دون أل التعريف

(٥) (العرنين) هكذا وردت في نسخة : (م) وجاءت في نسخة : (ج) العربين بالباء وليست باالنون .

(٦) «نشى» هكـذا وردت في نسخة (م) وجاءت في نسخـة «ج» نشا كما رسمناه وهي الصواب .

(٧) «النحس» : كلمة تطير ضد كلمة : (الفأل) الواردة في قول رسولنا الكريم محمد صلي اللة عليه وسلم : (ويعجبني الفأل) بعد قوله عليه السلام : (لاعدوى ولا طيرة) .

(٨) في نسخة (ج) «زيادة» بالياء ولعل الصواب ما نقلناه أعلاه من نسخة :(م) .

فإنْ تعدل به الثقلين جوداً ... فليس البحر يعدل بالمزادة[1]

أعِزّ الدِّينِ يابحرَ المعالي ... ويا بحرَ الفوائد والإفادة[2]

شَهِدْتُ لقد كَمُلْتَ، فإن يَغِظْني ... أخو حسدٍ حلفتُ مع الشهادة

فيومُكَ للطراد وللأيادي ... وليلُك للتِّلاوةِ والعبادة

مدحتُك يا أبا المهديّ حُباً ... لوجهِكَ لا لجَائزةِ الإفَادة

فكنتُ كمثلِ قُبَّرةٍ تَوَخَّتْ ... فأَهدَتْ لابنِ داوُدٍ[3] جَرادَةْ

ولولَا جُودُ كفِّك للبَرَايا ... لقامَ عليهِمُ عامُ الرَّمادَة[4]

وَقِفْ شِعرِي عليكَ! فكلُّ شعرٍ ... أتاكَ سِواهُ ما يسْوىٰ مدادَه

فلم يَحملْ أبُو تمّامَ[5] شِعري ... ولا الَّلسِنِ البليغ أبو عُبَادَة[6]

---

(١) المزادة : هي الراوية التي تصنع من الجلد أو شبهه ليتزود فيها المسافر بقليل من الماء القاموس المحيط ج١ص٢٩ ، ولاشك أن المقارنة بين ماتستوعبه من الماء وبين عباب البحر منعدمة كانعدام مقارنة جود ممدوحه بجود الآخرين على حد مبالغة الشاعر .

(٢) (الإفَادَةْ) هكذا وردت في نسخة (م) وجاءت في نسخة (ج) الوفَادَةْ ولعلها الأصوب

(٣) ابن داود : يقصد سيدنا سليمان بن داود عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وقد جدد الشاعر في المثل هنا فقد ألف الناس القول : كبائع التمر في هجر فنقلنا إلى صورة أجمل و أجد فالمهدية : قبرة ، والمهدي إليه سيدنا سليمان الذي آتاه الله ملكاً لاينبغي لأحد من بعده ، أما الهدية فهي على قدر مهديها إنها : جرادة..

(٤) عام الرمادة : هي سنة أصابت الناس فيها مجاعة شديدة وجدوب وقحوط قد حصلت في السنة الثامنة عشرة من الهجرة ، تاريخ الطبري ج٢ ص٥٠٧ .

(٥) أبو تمام : هو الشاعر العباسي الشهير : حبيب بن أوس الطائي .

(٦) أبو عبادة : الشاعر الشهير أبو عبادة : هو : الوليد بن عبيد البحتري الطائي وقد عرف الشاعران بالطائيين وبلغا بالشعر منزلة رفيعة في عصرهما .

وإنْ سَبَقَـا زَمانــاً أوْ أَجـادَا   فإنّــي ماقَصَرْتُ عن الاجــادَة

فلا نَقَصَتْ سَعــادَتَكَ اللّيالِـي   وزادتْكَ الكمــالَ على السعــادَة

٩ـ وقال يمدح الشريف سلطان بن علي القاسمي صاحب ضمد:

تَشبَّـــــثَتْ بِتَلابِيْبِــــــي وأَرْدانِي ... وعَوَّقَتْنِيَ عن نَهْجِــي وعَــنْ شَانِي
وحـاولَتْ عقْلَتِي عَنْ نيَّـةٍ حَمـلَتْ ... على تَبـدُّلِ أوطــانٍ بأوطـــان
باتَتْ تُغالِطُنــي والعــزمُ يأمــرُني ... بِرِحْلتي،واغترابي،وهْــيَ تَنْهــاني
فحينَ عاصَيْتُهَـا في أمرِهَـا وكَـفَتْ[1] ... على ترائِبِها عَيْنَــان عيْنـانِ
فاسْتَيْـأسَتْ وأمــدَّت في صَواحِبِها ... شجـواً[2] بشجـوٍ وإرْنانـاً بإرْنَـان
وَطَــرَّرَ الدَّمْــعُ خَدّيهَــا فلؤْلُــؤهُ ... في صحـنٍ وجنَتِها سِمْطَـان سمطـان
من أَبْيَضٍ فوق خدٍّ أبـيضٍ يَقَـقٍ[3] ... جارٍ، ومـن أحْمَــرٍ قَانٍ علــى **قاني**
كالسِّلك بتَّتْ قُواهُ الكفِّ فانحدَرَتْ ... منــه بوادِرُ من دُرٍّ ومرجــان
شَمسٌ من العـالم النـوريّ فس غَسَقٍ ... من الأثيثِ[4] على غُصنٍ من البَــانِ
حوريــةٌ قصبــاً إنسيــةٌ نسبــاً ... جنيةُ الطبــع من إنسٍ ومــن جان
إذا رَمَـىٰ طرفُهـا عن قوسِ حاجِبِهَـا ... أصمَتْ بِنَافِـذَةٍ من غيــرِ مرنَــانِ[5]

---

(١) وكَفَتْ : ذرفت دمعاً غزيراً . (أساس البلاغة ص ٦٨٨) وقال أصحاب المعجم الوسيط ج٢، ص١٠٥٤ : استوكف الماء : استقطره واستدعى جَرَيَانه .

(٢) شجواً بشجوٍ وإرناناً بإرنـــان : الشجـــو : الحزن .. القامــوس المحيـــط ج٤ ص٣٣٧. والترنيم: التطريب، القاموس المحيط ج٤ ص ٣٤٧ .

(٣) أبيض يقق : أي أبيض شديد البياض، القاموس المحيط ،ج٣ ص٢٩١ .

(٤) الأثيث : الشعر الكثيف العظيم، القاموس المحيط ج١ ص١٦١. قال أصحاب المعجم الوسيط : أثَّ: كثُرَ وعَظُمَ، والنبات : تكاثف والتفَّ،.. والشَّعَرُ : غَزُرَ وطال فهو أث وأثيث . ج١ ص٥ .

(٥) من غير مرنـان : من معاني مرن : لآن في صلابة القاموس المحيط ج٤ ص٢٧١ فطرف حبيبة الشاعر يصيب قلب العميد برغم صلابته وتخشنه. وإصابته تكون برداً وسلاماً على فؤاد المحب .

ياهذه ما كأنّي في القناعة بالـــ ـعيش المُرَمَّقِ[1] إلا طيُّ حِرْمَانِ

المرءُ يفنىٰ ويُبْلِي الدهرُ جِدَّتَهُ وعمرَهُ والجديدان الجديدان

لاتَكْرَهِي لِيَ سَعْياً أستفيدُ به زيادةً وكالاً بعد نُقْصَان

فإن إتيَانَ نارِ الطُّورِ أظهرَ بُرْ هَانَ النُّبُوَّةِ في موسى بن عمرانَ

وصارَ مُستعْدياً سيفُ بن ذي يزنٍ فردَّ كسرىٰ عليه ملكَ غمدانِ

وابن المُهَلَّب أبْلَىٰ في تَطَلُّبه حتى استقامَ أميراً في خُرَاسَانِ[2]

وشارفَتْ فارسٌ ملكَ الخلائفِ بالْـ ـفضْلِ بنِ يحيىٰ وبالفتح بن خَاقَان

لا يَطْمَع الناسُ في إسقاطِ منزلَتِي فما بأيديهُمُ رزقِي وحِرْمَاني

فرب شؤْم أتىٰ من باب مَلأَمَةٍ ورب ربحٍ أتى من باب خُسْرَان

ياقائِضاً ــ وبقاعُ الأرضِ تَلْفظهُ ــ أهلاً بأهل وجيراناً بجيرانِ

طنّبْ[3] بدُورِ بَنِي يَحْيىٰ بن قاسمَ أهـ ـل العِزِّ من حَيّ قحطان وَعَدْنَانِ

وانزل بأركَان ثَهْلانٍ[4] فإنَّهُمُ أوْفَىٰ وأمنَع من أركان ثَهْلان

المطعمونَ إذا ما أخلَفَتْ[5] سَنَةٌ والمانِعُونَ بأيدٍ، إنْ جَنَىٰ جاني

---

(١) المرمق : العيش الرمق : الضعيف ، القاموس المحيط ج٣ ص٢٣٨ وفي المعجم الوسيط ج١ ص٣٧٣ : المرمق من العيش : اليسير الدون .

(٢) في هذا البيت والثلاثة الأبيات السابقة له يبرر شدة سعيه في طلب الرزق بِسِيَرِ هؤلاء العظماء الذين نالوا مكانتهم التأريخية وحققوا طموحاتهم عن طريق سعيهم الحثيث، وشتّان بين ما حققه الشاعر الذي مات فقيراً وما حققه أولئك الأعلام من أمجاد خالدة وعلى رأسهم سيدنا موسى بن عمران عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم الذي كلمه الله وآتاه النبوة .

(٣) طَنّبَ : أقام إقامة دائمة، القاموس المحيط ج١ ص٩٨ وفي المعجم الوسيط : طَنّبَ بالمكان : أقام ج٢ ص ٥٦٧ .

(٤) ثهلان : الأولى اسم قبيلة وثهلان الثانية الجبل المشهور / أساس البلاغة ص ٧٩ .

(٥) أخلفت سنة : أي أجدبت فأخلفت المطر / القاموس المحيط ج٣ ص ١٣٨ .

هم أَمَّنُوا آل رحَّال وهـم مَنَعُـوا بالسيف أملاك حسّان بن سرحان

وهـم أجاروا سليمانـاً وأخرجـه سادات (حازم) خوفاً من سليمان

وهم حَمَواْ بالقَنَا سرْحَ ابـن أختِهـمْ من ابن حيِّدَ في حيْل ابـن عبـدان[1]

وأَقدَمُوا وصدورُ الخيْـلِ جانِحَـةٌ عن التقـدم ميـلاً، يَومَ جازان

مثلُ ٱلأُسُودِ الضَّواري في سروجِهـمُ آساد بِيْشَةَ أو آسادِ خفَّـان

من كلّ أَرْوَعَ مِطعـامٍ إذا نَزَلَتْ به الضيوفُ سفيهِ الرمح مِطْعَانِ

وليس أَعْلَىٰ ولا أَسمَىٰ وأشرفَ منْ جار السّمَـوْأل إلاَّجار سلطـان

ما الأَسْوَدُ بن قنـانٍ؟ أو معاويـةٌ؟ وما ٱلمُعَلَّى؟ وماحصنٌ؟ وماهـان؟

ومـا جوار ابن همام بن مرةَّ؟ أو جَسَّاس وائـل؟ في ذهـلِ بنِ شيبانِ؟

دع السماعَ ففـي تحصيل رُؤْيتـه كفايـةٌ لكَ عنْ قَاضٍ وعـنْ داني[2]

الأبيضُ الوجـه والمقـدامُ إن بَرَقَتْ تحتَ البـوارِقِ أَقْـرانٌ لأَقرانِ

يَلْقَـىٰ المنيَّـةَ طَلْقـاً والمنـونُ لها طعمـان في قَصَبِ المُرَّان مرَّان

عفُّ الأزار، عمٍ عن بيت جَارَتِـه عفُّ الضمائـرِ في سرٍّ وإعـلان

أشَمُّ تَخْلُـفُ عَيْنَ الشمسِ طلعتُـهُ أَغَـرُّ، غُرَّتُـهُ والبـدرُ سيَّـان

---

(١) في هذا البيت والبيتين السابقين له أعلام انقرض أصحابها : (آل رحّال ــ حسان ابن سرحان ــ ابن حيدّ) وهي أعلام لمعاصرين لابن هتيمل، بل لمواطنيه في ضمد انقرضوا ولم نجد لهم ذكرا فيما بين يدينا من المصادر أما سادات آل حازم فلازالت بيوتاتهم عامرة بالعلم والسيادة ولا يزال فيهم رجال ذوو علم وفضل وسؤدد تتناقل تراجمهم في الماضي والحاضر كتب التأريخ وكتب التراجم المطبوعة والمخطوطة ويشرف صاحب هذه الدراسة أنه ينسب إلى هذه القبيلة .

(٢) في هذا البيت والأبيات الثلاثة السابقة له أسماء لاعلام مشهورين بالشجاعة والكرم وحماية الجار يبالغ الشاعر فيجعل ممدوحه اعظم منهم وأجل في تلك الصفات .

انْظُرْ إلى قَمَرٍ قد صيغَ من بَشَرٍ فِي الحُسْن أوْ مَلَكٍ في خَلْقِ إنْسانِ

كأنَّما فيضُ كفيه بنائِلِه .... وجودُ كفيه سيحان[1] وجيحان

يجزي المسيءَ ويجزي المحسنينَ به سوءًا بسوءٍ وإحساناً بإحسان

خلائقٌ كسحيق المسك نَفْحَتُها **أُمْنِيَّةُ السُّروح من رَوْحٍ وريحان**

ياابنَ الفواطمِ لولا لطفُ بِرِّكُمُ ما كنتُ فارقتُ أولادي وإخواني

ولا سلوتُ ــ وأرض الله واسعة ــ بأهل عَوْسجَةٍ عن أهل نجران[2]

وإنما لكُمُ أيدٍ تُبَاكِرُني بالنَّيل والنَّيْل من مَثْنَى ووحدان

فإن عَرَفْتُم وداري بين أظهُرِكُمْ حقّي، ومُوجب حقّي أيَّ عرفان

فآل جَفْنَةَ لم يَمْنَعْ تَنَصُّرُهُمْ وبُعْدُ شُقَّتِهِمْ مِنْ بِرِّ حَسَّان[3]

وكان عندَ بَنِي بْدرٍ لجارِهُمُ الْـ ـبَاقِي وكان لَهُمْ مِنْ مالِه الفَاني

وفي الحميَّة والإحسان قَدْ قَتَلَتْ ساداتِها وتفانَتْ قيسُ عيلان[4]

---

(١) سيحان وجيحان : النهران العظيمان المعروفان بـ (سيحون وجيحون) .

(٢) نجران : بلدة الشاعر وممدوحه سلطان القاسمي التي اندثرت كما يقول الحسن ابن أحمد عاكش في كتابه : الديباج الخسرواني ورقة ٨٢: (وضمد القديم كان بموضع مختارة التي بنى فيها الوزير الحسن بن خالد الحازمي قلعته وهو الذي سماها بهذا الاسم وكان **سالفا يسمى نجران**) .

(٣) جفنة : هو والد ممدوحي الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه الذي قال عنهم :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

(٤) في سائر النسخ الخطية (غيلان) بالغين .

وهذه قصيدة أخرى من مطولات ابن هتيمل التي لم تنشر ضمن مختارات العقيلي ولكنها نشرت ضمن كتاب (العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية ج١ ص١٥٨ المطبوع سنة ١٣٢٩هـ بمطبعة الفجالة بمصر كما نشرت أيضاً في كتاب قصة الأدب في اليمن لأديب اليمن وشاعره الاستاذ/أحمد محمد الشامي، وتعتبر من غرر قصائده التي لا يوجد مبررٌ لبترها .

١٠ ـ قال ابن هتيمل يمدح المظفر الرسولي[*]

قل يانسيم لأهل الضال[١] والسَّمُرِ[٢] ... ماصد سامركم عن ذلك السَمَر

واشرح حديث الغضا والنازلين به ... وإن بخلت بشرح الكل فاختصر

وهات عن عطرات الحي ما حملت ... من مسكهن حواشي ذيلك العطر

ناشدتك الله لا وَرَّيْتَ[٣] عن خبر ... مما علمت ولا موهت في خبر

(*) المظفر الرسولي : هو يوسف بن عمر بن علي بن رسول أحد الملوك الرسوليين الذين وفدوا على اليمن في صحبة طغتكين بن أيوب من أصحاب جيشه وقصة تسميتهم بالرسوليين وقصة استيلائهم على الحكم مبسوطة في كتب التواريخ . انظر ص ١٩٣ من كتاب تاريخ اليمن الميمون للواسعي وانظر ج١ ص ٢٦ ـ ٤٤ من كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي . والمظفر ولد سنة ٦٢٠هـ تولى الملك في اليمن مدة تزيد عن أربعين عاماً توفى سنة ٦٩٤هـ . انظر ج١ ص ٢٨٣ من العقود اللؤلؤية .

(١) الضال : قال صاحب القاموس المحيط ج٤ ص٦ : الضال من السدر ما كان عذيا .

(٢) السَّمُر : بالتحريك شجر به شوك .. ولعلك تلاحظ ما بين السَّمُر والسَّمَر من جناس يكثر في شعر ابن هتيمل .

(٣) وَرَّيتَ : التورية أحد أبواب علم البديع وهو أن يذكر المتكلم شيئاً ويريد غيره . ومثله التمويه .

فتــحت رمـــزك سر ما نممت به | إلا وأنت من الـــــواشي على حذر
ما كان من سرحة الوادي أهل هصرت | أغصانها[1] لتعاطـــي ذلك الثمـــر
وهـل نشجـن[2] قلــوب اليهم غلتها | من طلها الطلق أو من مائها الخصر[3]
ياصفْقَـةَ الغَبْــنِ غَرَّتْنــي جُوَيْرِيَــةٌ | فبعتُ قلبــيَ منها بيعــةَ الغَــررِ[4]
باتَتْ تُروِّعُنِــي بالبَيْــن طالبــةً | قَتْلي فلــم تُبــقِ في قتلي ولم تَذَر
خوطيــةُ القــدّ لا طولٌ ولا قصرٌ | في قدِّها فهيَ بين الطُّولِ والقِصَرِ
حَيِيَّةٌ في مغيبِ الشّمسِ يَحجُبُهَــا | عن أمِّهــا وأبيها قُوَّةُ الخَفَـــر
حُوريّـةٌ شَهِــدتْ آيـاتُ بهجَتهــا | ونورِهـا أنَّهــا ليسَتْ من البــشرِ[5]
كأنَّمــا هيَ في تركيبهــا خُرطَتْ | من صُورة الشّمسِ أو من صُورة القَمرِ
جسْمٌ أرقُّ من الخَمْرِ الشَّمُول على | قلبِ قساوتُـــهُ أقسى من الحجـــرِ
إذا رمَى طرفُهـا عن قوسِ حاجِبِهـا | أصمتْكَ بالرَّمْي عن قَوْسٍ بلَا وتـرِ
ما أطيبَ العيشَ لولا علةٌ حكَمَتْ | فينـا بموت الصبًّا من ميتة الشعــر
فجَانبِ الناسَ وانظُرْ في تفاضُلِهم | إلى الطِّبـاع ولا تَنظُــر إلى الصُّوَرِ[6]
فإن طمــعتَ بفضْلٍ من يديْ مَلَكٍ | فاطلبْ من اللّهِ واطلبْ من أبي عُمَرِ[7]

---

(١) في نسخة (ج) «أعصانها» كما أثبتنا بعاليه وفي نسخة (م) «غصونها» .

(٢) نشجـن :قال صاحب القاموس المحيط ج١ ص ٢٠٩ : النشج محركـة : مجرى الماء .

(٣) الخصر : من الماء البارد . وعليه يصبح معنى البيت : هل رويت الإبـل من ماء سرحة الوادي البارد المتفيّء بظلالها الوارفة؟؟

(٤) بيعة الغرر: نوع من أنواع البيوع المحرمة في علم الفقه وهـو بهذا يعرض لنا دليلاً على ثقافته وسعة علمه وإحاطته بمعارف عصره .

(٥) هذا البيت غير موجود في نسخة (ج) .

(٦) يشير الشاعـر بهذا إلى معنـى الحديث : (إن الله لا ينظـر إلى صوركم وأبدانكـم ولكن ينظر إلى قلوبكم) .

(٧) كان الأولى والأوجب أن يأتي بثم بعد قولـه : فاطلب من الله . لأن الـواو تقتضي التشريك وهو شرك بالله .

مولىً الملوك الذي لو أنَّهم وُزِنُوا بظُفرهِ نقصُوا وزْناً عن الظُّفُر[1]

أَغرّ بالشرف العْلويّ رُتبتُه كرُتبةِ الخيلِ بالأوضَاح والغُرَرِ[2]

مُظفَّرٌ ما أَتتْ من وقعةٍ يَدُهُ إلا مسوَّمة الأظفار بالظفر

ترى المصانعُ والغيطانُ منه بشَمْسيِّ العداوةِ ليليِّ السُّرىٰ نَهِرِ[3]

لا يستريحُ ولا يُفْضي به سفرٌ من بعد همّته إلاَّ إلى سَفَر

هديٌ كهدي رسول الله مُتَّبعٌ ما سارَ آل رسول الله في السِّيَر

وعزمةٌ كُلُّ حدٍّ من صرامتِها أمضى[4] من الموت أو أمضى من القدر[5]

لو أن هيبته أو بعض هيبته تلقى على الفلك الدوار لم يدر[6]

أحيا التبابع والأذواء فاشتملت[7] بالعدل دولة قحطان على مضر

---

(١) هذه مبالغة لا تخرج عن مبالغات الشعراء الذين يذهبون بممدوحيهم كل مذهب ويرفعونهم إلى أعلى من السماكين .

(٢) الغرر : بياض في مقدمة الوجه تتزين به الخيول. والأوضاح : بياض في اليدين والرجلين منها .

(٣) ليلي السرى نهر : أعماله وجهاده مستمرة ليلاً ونهاراً .. وهذا الشطر يذكرني بقول الشاعر الراجز: لست بليلي ولكني نهر .

(٤) أَمْضَىٰ : هكذا بالميم وردت الكلمة في نسخة (ج) أما في نسخة (م) فقد وردت بالقاف : أقضى .

(٥،٦) في هذين البيتين مبالغات في المدح فليس هناك أمضى من القدر ولا من الموت لا ممدوح شاعرنا ولا ممدوحو سواه من الشعراء وكذلك فلن يتوقف الفلك عن الدوران وتعاقب الليل والنهار من هيبة ممدوح ابن هتيمل ولا هيبة ممدوح أي شاعر سواه ولكنها المبالغة التي يذهب اليها كثير من الشعراء وترتفع إلى ظلالها خيالاتهم . والكلمة الأخيرة في البيت : (لو أن هيبته ...) : (يدر) جاءت في نسخة (م) بالتاء : (لم تدر) .. ولعل ما رسم بعاليه هو الصواب والأقرب للمعنى .

(٧) التبابع والأذواء : التبابعة بعض ملوك اليمن قبل الإسلام وكذلك الأذواء ومنهم : ذو يزن .. وذو رعين.. .

وجال في الأرض حتى قال ساكنها هذا خليفة ذي القرنين [1] والخضر

يايُوسُفَ الحُسْنِ والإحْسَانِ يَامَلِكَ الدُّ نْيَا وَمَالِكَ أَهْلِ البَدْوِ وَالْحَضَرِ

إنّ الخلافةَ قد أمَّتْ وقد فَنِيَتْ [2] عَنْهَا مُلُوكُ بني العباس والتَّتَرِ

وإن طلبتَ مطاراً للتّي **عضلتْ** فقد وَجَدْتَ جَنَاحاً طَائِراً فَطِرِ

هذا قميصُكَ إمَّا قُدَّ من قُبُلٍ كابنِ النبيِّ وإمّا قُدَّ من دُبُرِ [3]

فانهضْ لعذرتِها واعلَمْ بأنكَ إنْ أهملتَها كانت الإحْدَىٰ من الكُبَرِ

وما أظنُّ قناةَ الدّين إن عُجِمتْ إن لم تطاعن بها تخلُو عن الخَوَرِ

يَهَنَّىٰ دُثينةَ أنَّ اللهَ ظَفَّرهَا من الدآدي [4] ببيض البيض والغُرَرِ

غُرٌّ الجحافلِ حِصْنَيْهَا وماعِلِمُوا أنَّ الزُّجَاجَةَ لا تَقْوىٰ على الحجرِ

أَرْسلْتَ صاعقةً في غيم بارقةٍ تُرْدِي وتَبْرُقُ في رعدٍ بلا مطرِ

فسلَّمُوا الخيلَ واعتاضُوا بها حُمُراً فاعجبْ على حُمُرٍ مِنْهُمْ على حُمُرِ

أعميتَهُمْ فتمنَّوا أنَّهم خلَصُوا عُوْرَ العيونِ ومَنْ للعمي بالعَوَرِ

جاءوكَ ياشمسُ أرسالاً وقد بَذلُوا لكَ الحكُومةَ في الأُنثىٰ وفي الذَّكَرِ

---

(١) ذو القرنين والخضر عبدان من عباد الله الصالحين ورد ذكرهما في سورة الكهف. والأخير كانت له قصة ذكرها القرآن مع سيدنا موسىٰ عليه السلام.

(٢) أمَّتْ: أصابها الضعف والوهن الذي آل بها إلى الفناء والزوال.

(٣) **يشير إلى الآيتين الكريمتين ويضمنهما:** ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين،وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ [سورة **يوسف ٢٦،٢٧] في قصة سيدنا يوسف عليه السلام.**

(٤) الدآدي: قال صاحب لسان العرب ج٤، ص ١٤٧ هي آثار أراجيح الصبيان. ومعنى البيت أن الله عوضهم عن بقايا الأراجيح ببيض السيوف. وتأتي الدآدي بمعنى الليالي المظلمة .. والبيض: الليالي البيض، وهي ليالي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر فهي ليالٍ مقمرة، ويصبح المعنى حينئذ: إن الله عوض دثينة عن الليالي المظلمة **بالليالي المقمرة** أي أنها قد حصلت على عوض أفضل .. وخرجت من الظلمات.

اسمعْ بقيتَ مصُوناً عَنْ منافَسةِ الْـ أَغْيَارِ في المُلْكِ محْروساً (من الغِيَرِ)[1]

إنّي أمرؤٌ في فَمِـي[2] ماءٌ وفي كَبِدِي جِراحَــةٌ من أميــرٍ غيــرِ مُؤْتَمِـرِ

قدْ ذُقْتُ من غُصَصِ الدنْيا وفجْعَتِهَا ما كان منه جميلُ الصَّبْرِ كالصَّبِرِ[3]

إنْ جَرْجَرَ[4] العَوْدُ[5] فانظرْ مابِغَارِبِهِ[6] فإنَّـهُ إنْ رَغَـىٰ[7] يَرْغُـو مِنَ الدَّبَـرِ[8]

---

(١) (من الغير) هكذا جاءت (مـن) في نسخـة (ج) أمـا في نسخـة (م) فقـد أتى الحرف (عن) بدلاً من الحرف (من) والأغيار : جمع (غير) ومعنى الكلام : بقـيت مصونـاً عن منافسة غيرك أيا كان .. الغير : من تغير الحال وهـو اسم من التغـيير . يقـال : غَيِّر الدهر أحواله المتغيرة : بتصرف عن لسان العرب ج٦ ص ٣٤٥ .

(٢) إني امـرؤ في فمـي ماء : تعبير بلاغـي جميـل ومعروف ولكنـه قد اكـتسب جمالا بحسن المقابلـة التـي أجراهـا الشاعـر حين قابـل برودة الماء في فمـه .. بجراحــة في كبده .

(٣) الصبر كالصبر : جناس غير تام تغير الشكـل ؛ فالأولى الصبر على الشدائـد والثانيـة شجر مُرٌّ المذاق .

(٤) جَرْجَرَ : قال صاحب لسان العرب ج٥ ص ٢٠١ : الجَرْجَرَة ترديد الفحل للهدير وهو صوت يردده البعير في حنجرته. وقال أيضاً : والجرجرة : صوت البـعير عنـد الضجر . وفي المثل (إن جرجر العود فزده وقرا) .

(٥) العَـوْدُ : الجمـل المسن ، قال الجوهـري في الصحـاح : هو الــــذي جاوز في السن البازل . وقيل هو الذي مضت له ثلاث سنين أو أربع بعد بزوله .

(٦) الغَارِب : قال صاحب لسان العرب ج٥ ص ١٣٧ : الغارب : الكاهـل من الخف .. وهو ما بين السنام والعنق .

(٧) رغىٰ يرغـو : اسم صوت البـعير ، يقـال : رغـاء الابـل ــ والمقصود يرغـو البـعير مُتَألِّماً من شدة جراحه .

(٨) الدبـر : قال صاحب القامـوس المحيـط : بالتحـريك : قرحـة الدابـة وقـال صاحب لسان العرب ج٥ ص٣٥٩ : الدبر : الجرح الـذي يكـون في ظهـر الدابـة ويقصد الشاعر تشبيه حاله وقد لجلـج عن بعض معاناتـه التـي لم يساعـده على شدة تحملهـا سوى كبر سنـه وطـول خبرتـه بالحياة والأحيـــاء .. بحال الجمـــل المسن الـــذي يتحمل الأسفار المتواصلة ويتحمـل الأثقـال حتـى إذ زادت الجراح بمقدمـة سنامـه

لا تَقْصدَنْ غيرَ وجهِ اللّهِ في النَّظَرِ فَانْظُرْ إليَّ بعينٍ منكَ رَاحمةٍ

يُنسيكَ مُذْهَبها موشيَّةَ الحبَرِ والبَسْ من الحبرِ الموشِيّ مُذْهَبَةً

= جَرْجَر من شدة الضجر . وهو يطلب من ممدوحه أن يدرك حاله ويداوي جراحه .

١١ ـ وقال يرثي شجاع الدين : القاسم بن علي الذروي صاحب صبيـــاء

الـرُّزْءُ أَهْــونُ أَنْ يكــونَ عظيمــاً ... والحُــزْنُ أقْلِــلْ[١] أن يكــون أليما

فَقْـدُ العيــونِ الشَّمْسَ أودَىٰ علَّــةً ... من فقدهـــنَّ أهلَّـــةً ونُجُومَـــا

ومصائبُ الثقـــــلين إلاَّ هذِهِ ... جَلـلٌ ، وإنْ رُزِئَ الحميـــمُ حميمـاً

روحُ النَّدىٰ قُبِضَتْ وكان بقاؤُهَـــا ... في الخَلْــقِ أرواحــاً لها وجُسُومــاً

وهـي الحيـاة تَرَحَّــلَتْ أَفَــلَا تَرَىٰ؟ ... ذَافي حَيـاتِك ظَاعنــا ومُقيمَـــا؟

أُفاً[٢] علي الدنيا فما خُلِقَتْ لأَنْ ... تَبْقَــىٰ لخَاطِبِهـــا ولا لِتَدُومَـــا

تَرْعَـىٰ المنايَـا السائمــات نُفوسَنَــا ... رَعْـيَ السوامِ الشّيِّـحَ والقيصُومَـا

وتَلُسُّ[٣] عُمْـرَ صغيرنَــا وكبيرنَــا ... لسَّ البهائم بَارِضاً وجَميمــــاً[٤]

لا يُشبِـعُ الـرطبُ الجنــيُّ جياعَهَـا ... عن أَكْلِهَا الْخِيطَانَ[٥] ... والتَّنُّومَـا[٦]

وَمِـنَ البليَّــة في الرزيَّــة أَخذُهَــا ... منِّي الشُّجَاعَ[٧] وتركُهَا العُلْجُومَـا[٨]

---

(١) هكذا في **النسختين** المصورتين ولعلها : **(أفٍّ)** .

(٢) تَلُسُّ : تأكل . لسَّ البهائم : أكل البهائم .

(٣) بارِضاً وجميمـا : البـارض : أول ما يظهـر من نبت الأرض قبل أن تعرف أنواعـه قال لبيـد : (يلمـج البـارض لمجاً في النـدى ... من مرابيـع ريـاض ورجـل) لسان العرب ج٩ ص٣٨٥ . الجميم : مرحلة ما بعد البـارض؛ فإذا تعـاون بارض الأرض وطال تبين نبته صار جميما . المصدر نفسه .

(٤) الخيطان : جمع خُوط . وهو الغصن الناعم .

(٥) التنُّوما : شجـر له حمل صغـار كمثـل حب الخروع ويتفتـق عن حَبٍّ يأكله أهـل البادية اللسان ج١٤ ص ٣٣٨ .

(٦) الشجاع : وصف للشديد المقدام من الرجال ومـن معانيـه ذَكَـرُ الحيّـة . القامـوس المحيط ج٣ ص٤٣ .

(٧) العُلْجُومَا : من معاني العلجوم : الضفـدع الذكـر. أو الثـور المسن . وقيـل الجماعـة من الناس اللسان ج١٥ ص ٣١٦ كأنَّ الشاعر يريد القـول : من رزايـا البلايـا أن =

بَكَـرَتْ عليَّ تَلُـومُ في نَوْحِـــي وفي		جَزَعـي وفي ولَهِـي وَلَسْتُ مَلُومَـا
عَذْلٌ تُحَمِّلُنـــي به من جَهْلِهـــا		ومِـنَ السفَاهـةِ أن تكـونَ حليمَـا
قالتْ تأَسَّ فقبْـــــلَ قاسمَ جدُّهُ		ما يومُ آزَرَ مثـــل إبْراهيمَــا
ياقَاسمُ بنَ علـيِّ مَنْ لخَصَاصَةِ الرَّ..		كْبِ الخَمَاص ومـن يبلّ الهِيمَـا[1]
ومَـنِ الزَّعيـمُ إذَا سليمـانٌ غَدَتْ		فَوْضَىٰ ولم يرَ للخمـيس زَعيمَـا[2]
ومَـنِ المغيثُ إذا الجهاتُ تعـذَّرَتْ		بَنوالِـــه المرزوقَ والمحرومَــا
ماذا؟ إذا أمُّ الكتـائب أقبَـلتْ؟		للحـرب ردَّ أَمَامَهُـــنَّ أَمِيمَـا
(وأبيكَ)[*] ماخلَّفْتَ بعدكَ سيِّداً		في الخافقيْـنِ ولا تَرَكْتَ كَريمَـا
وَلَــدَتْكَ أمُّ الجود ثُمَّتَ أُعقَـمَتْ		بَعْـداً فكـانتْ والـداً وعَقيمَـا
ولقـد وزنتُ بكَ الورىٰ فوزَنْتَهُـمْ		حِلْماً وهـم زِنَةُ الجبـال حُلُومَـا
فإذا اختُبِـرْتَ فأنتَ أغـزرُ ديمةً		وأجـلُّ أبهة وأكـرَمُ خِيمَـا[3]
جهلـتْكَ أمـةُ أحمد إذ ضيَّـعت		بركـوبك الْخَطَر العظيـمَ عَظيمَـا
لَوْ أنَّهـم وفَّـوْكَ حقَّكَ كُلَّـهُ		صَلُّواْ عليـكَ وسلَّمُـوا تسليمَـا

= تسلبني الثعبان وتترك لي الضفـدع أي أنها تأتي على ذوي المكانـة والسطـوة وتَغْفَلُ عَمَّنْ لا أهمية لهم.

(١) الخصاصة : الحاجة ـ الركب الخماص : الجياع . يبل الهيما : يروي ظمأهم .

(٢) سليمان : نسبة المخلاف السليماني ـ إلى سليمان بن طرف الحكمي ويقصد الشاعر بالسليمانية هنا آل سليمان بن داود أجداد الممدوح ـ الخميس : الجيش .

(*) هذا قسم بغير الله غير جائز وهو شرك به تعالى .

(٣) خيما : الخيم : أكثر موقع في البحر عمقا . فممدوح الشاعر ديمته غزيرة وبحره عميق عميق: وهاتان كنايتان عن كرم ممدوحه وسخائه. وفي بعض النسخ الخطية جاءت الكلمة بالخاء : (خيما) ومعناها : سجية فممدوحه أكرم سجية .

لَخُلِقْتَ نِحْرِيـراً لَبيبـاً حازمـاً ... براً ـ رؤوُفـاً بالعبـاد رحيمـا[1]

فَكَفَـلْتَ أطفـالَ المعـالي بَعْدَمـا ... يَتُـمَتْ، ورَبَّـيْتَ السمَـاحَ يتيمـا

فكأنَّمـا كانتْ علـيك أَلِيَّـةٌ[2] ... ألاَّ تمُوتَ ومَا وجَـدْتَ عَدِيمـا

بؤساً لدهـرٍ غيبَّـتْكَ صُرُوفُـهُ ... عنَّـا فمـا تَرَكَ النعيـمَ نَعيمَـا

قَنَصَ البـزاةَ الشُّهْبَ في أَشْرَاكِـهِ ... بالغـدر واخْتَـرَمَ القَطَـا والبُومَـا

أَرْدَىٰ كلـيب وحـاجبَ بنَ زرَارةٍ ... فَضْعـاً ودَمَّـنَ وائِـلا وتَمِيْمَـا

وذَوَتْ علَىٰ الأَذْوىٰ[3] وأتْبَعَ مكْـرهُ ... كِسرْىٰ وأَتْبَـعَ قيصراً والرُّومَـا[4]

وسطَـا على لَخْـمٍ وآل مُحـرِّقٍ ... فَتخَـرَّمَ النعمـانَ[5] واليَحْمُومَـا

ودهَـا بيـوم الطَّـفِّ آل محمـدٍ ... رُزْءاً. وهـدَّ بخالـدٍ مَخْزُومَـا

وبنـو أُميَّـةَ لم تَزَلْ نكباتُـهُ ... يَهْمِيـنَ أو ترك الأَغَرَّ بَهيمَـا

وتناولَ السفـاحَ والمنصورَ والـ ... ـمهـديَّ والمأْمُـونَ والمعْصُومَـا[6]

صورٌ ملكْـنَ الأَرضَ ثُمَّتَ أصبَحَتْ ... أشلاؤهَـا تحت التـراب رَمِيمَـا

---

(١) في هذين البيتين مبالغات غير مستساغة جعل ممدوحه من المصطفين الاخيار بل تمادى في المبالغة فجعله «براً رؤوفاً بالعباد رحيماً» .

(٢) ألية : قسماً أو عهداً .

(٣) الأذوى : عرفت دولة الأذواء باليمن . ومن أشهرهم : (ذويزن) .

(٤) في هذا البيت والستة الأبيات التي تليها : (أردى كليب ...)الى : (تحت التراب رميما) في هذه الأبيات يستقريء الشاعر تاريخ الأمم وأحوال الملك ممن أتى الدهر على سلطانهم وكأنه يحاول التأسي عن ممدوحه الذي يرثيه أو يواسي ذويه فيه

(٥) النعمان بن المنذر : أحد ملوك الحيرة العظام . واليحموم اسم فرس كان للنعمان ابن المنذر سمي يحموماً : لشدة سواده . انظر لسان العرب ج١٥ ص٤٧ وقيل فرس للحسين بن علي وقيل فرس لهشام بن عبد الملك وقيل فرس لحاتم الطائي . والأول أقرب الى قصد الشاعر . القاموس المحيط ح٤ ص١٠١

(٦) ربما يكون قصد الشاعر بالمعصوم الخليفة المعتصم .

أَغْنَـيتَ عن ملكٍ سواكَ فلـم أَزرْ مِصراً ولا حلبـاً ولا إحميمَـا[1]

ووردتُ بحرَكَ فاغتـرفتُ بحصرمٍ[2] يُمسي ويُصبِـحُ لجُّـهُ مَوْغُومَـا

فَحَبوتَني المطْبوعَ والملبُوسَ والْـ ـمَرْكُـوبَ والمشْرُوبَ والمطْعُومَـا

ولـو انَّ عُمـرِي تَمَّ فيـه قِسمـةٌ بَيني وبيـنَكَ كنْتَ فيـه قَسيْمَـا

سَأقِيـمُ بعـدَكَ مأتَمـاً أبكـي به عقلات[3] عيشي طَارِقـاً ومُقيمَـا

وحديقـةً غنـاءَ أصبـحَ بيتُهَـا بَنـواكَ تذروهُ الريـاحِ هَشيمـاً

رَضاً لفيَّ[4] إن اغتذىٰ من بعـدِ مُخْـ ـخِ الحنطـةِ الغسليـنَ والزَّقُّومَـا

ومنيتُ بعَـدَكَ إن بقيـتُ لسيِّـدٍ لَحْـزٍ[5] يبدِّلُنـي بيُمْـنِكَ شُؤْمَـا

وكَفىٰ بطـول حيـاةٍ من خَوَّلتَـهُ لَوْماً[6] علـىٰ طول الحيـاة ولُوْمَـا

---

(١) إحميماً : بلدة بالشام، لسان العرب ج١٤ ص ٤٩ .

(٢) حصرم : ملأ القربة .. وقيل بحصرم : بماء زَبَدُه مُتَفَرِّقٌ لشدة برودته . محيط المحيط للبستاني . ص١٧٣ .

(٣) عقلات عيشى : العقل الدية : يقال عقله : وَدَاه ص ٣٧ تاج العروس ج٨. والمعنى : يقول الشاعر : سأقيم بعد موتك مأتماً أبكي فيه ثمن عيشي الهانيء بجوارك والذي مات هناؤه مع موتك .

(٤) رضًا لفيَّ : يدعو الشاعر على فمه بالرضوض إن استعاض عن ممدوحه بممدوح آخر يجعل حاله كحال من يستعيض عن الغذاء بالحنطة بالغسلين والزقوم .

(٥) لَحْز : من معانيها : بخيل . انظر المعجم الوسيط ج٢ ص ٨١٧ ولا شك أن معناها : البخيل هو الأقرب إلى المعنى الذي يقصده الشاعر فالبخيل هو الذي سيبدل حياة الشاعر بعد النعيم شؤماً .

(٦) لؤما .. ولوما هنا جناس وأكثر ما نجده في شعر ابن هتيمل .

١٢ ـ قال يرثي الإمام[1] المهدي صاحب ذيبين (*)

أقسمتُ أحلفُ صادقاً وأنَا الذي ... ماقــطّ أحلــفُ آثما بيمنــي

أن الشجاعةَ والسماحــةَ والنَّـدىٰ ... حلَّت بقبرٍ في رُبَـا ذِيبَيْــن

في الدَّرب لا بَرِحَ الغَمَامُ يَجُـودُه ... قَبـرٌ به علـمُ الهدىٰ والديــن

حيثُ الإمامُ ابنُ الحسيـنِ مُخيِّمٌ ... ياحبَّــذَا من طاهــرٍ وأمين

حيث ابنُ فاطمةَ الإمام مضمَّـخٌ ... بَدَم الشهـادة ثاويـاً في الـطين

ذاكَ الـذي أحيـا شريعــةَ جده ... بحُسَامــه وأَذَلَّ كُلَّ قريــن

ونَفـىٰ الضلالَـةَ والجهَالَـة وانثنـىٰ ... لجهـاد أهـل الشرك والتَّبْـطِين

فَبـغَتْ عليـه أُمَّـةٌ ضِلِّيلَـةٌ ... ظُلمـاً بغير دَلَالَــةٍ ويــقين

قَتَلَتْ إمامـاً كان سيِّـدَ مَجْدِهـا ... وأعزَّهـا من هاضِمٍ ومـهين

وجَـرَتْ على الأعمىٰ[2] معاد سنائه ... ونَفَتْ عن المجنون طيـف جنـون

ما كان يوم فراقــه في عصرنـا ... إلاَّ كَيَـوْمِ الطَّـفِّ أو صِفِّين

ماكان أحمدُ حائـداً عن ضِدِّه ... كلاَّ، ولا عنـد المدىٰ بضنين[3]

(*) **هذه القصيدة نقلتها عن مخطوطة : (مطلع البدور ومجمع البحور) لأحمد بن أبي الرجال ولا توجد لدى صورة لها من المخطوطة . وقد قال ابن أبي الرجال بعد البيت الأخير هذا ما حضرني من القصيده . وقد بحثت عنها في صور المخطوطات الخمس المتوفرة لدى من ديوان الشاعر فلم أجدها .. وربما تكون في قصائد لا يضمها الديوان .**

(١) الإمام المهدي :هو أحمد بن الحسين بن القاسم بن عبد الله المهدي أحد أئمة اليمن في القرن السابع الهجري كان من أعلم أهل زمانه وأخبرهم بالأمور وكان كريماً جواداً مات شهيداً سنة ٦٥٦هـ انظر تاريخ الواسعي ص١٩٧ ج١ الدار اليمنية والعقود اللؤلؤية ج١ ص١٢٤ـ١٢٥ . وانظر ج٣ ص١٨٢ من كتاب تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي لأحمد محمد الشامي .

(٢) في الأصل كتبت هكذا : الأعما

(٣) ضنين : بخيل وشحيح .

أَغْنَـــىٰ الفقيــرْ ولم يردَّ مُؤمِّــلاً لَمَّـــا أتـــاهُ خائبـــاً بظنـــون

بل كانت الأيـــامُ مشرقـــةً له وسنينُـــهُ أَزْرَتْ بكـــل سنين

فَثَوىٰ فأظلمت البـــلادُ وعُطِّـــلتْ تلك السنـــون وخـــابَ كلُّ أمين

فعليـــه منّـــي ألـــفُ ألـــف تحيـــةٍ وعـــدوُّهُ المسجُـــونُ في سجِّين

من لم يزرْ قبر النبِّـــــي بيثربِ فعليـــه بالمهـــديِّ في ذيـــبين[1]

---

(١) بالغ الشاعر في زيارة قبر ابن الحسين مبالغة غير مقبولة وإن كانت زيارة القبور عامة سنة للرجال دون النساء وزيارة قبر الرسول عليه السلام من القرب لأنها تأتي بعد زيارة المسجد النبوي الذي جعله الرسول ثاني ثلاثة مساجد لاتشد الرحال إلا إليها فهي أفضل من زيارة قبر ممدوح الشاعر ولاشك أن هذه مبالغة من الشاعر غير مقبولة .

١٣ ـــ وقال في العتاب : معاتباً قومه

أَبَىٰ الله أن يمضِي الزمــانُ وأنتـــمُ ... عليَّ يدٌ يَاآل عمــرو بن عامــر[١]

تُلاقُونَنِـــيْ كُلّ مِصرٌ ضَغِيْنَـــةً ... بَوَاطِنِكُــمْ فيها خِلَافُ الظّواهِـــر

رجالُكُم مثل الطّلا[٢] ونساؤُكُـمْ ... لَهُنَّ اصطخْابٌ كاصطخَابِ الضرائر

أمن خيفة المولىٰ اقشعرَّتْ جُلُوْدُكُمْ ... وصارَتْ قلوبٌ منكُمُ في الحَنَاجر

دعُوني فما أَرتَابُ مِنْ خَذْلِ خَاذِلٍ ... ولا أَتَرَجَّــىٰ منكُــمُ نَصْرَ ناصر

فو الله ماطــيبُ الحيــاة بِنَافِــعٍ ... ذليلاً ولا خُبْثُ المَمَــات بَضَائِــر

مع الــعُسْرِ يسرٌ والأمــورُ يَحلُّهــا ... عن الحالةِ الأَوْلَى صُرُوفُ المَقَــادِر

وفي الله لي ظَنٌّ فَيــارُبَّ عاجِـــزٍ ... أُديــلَ على مَاضِي[٣] الْعَزِيمَــةِ قادر

وطالعــةُ الأفْــلَاك غيــرُ طَوَالــعٍ ... ودائــرةُ الأَفْلَاك غيــرُ دَوائـــرِ

إذا كان حلوُ العــيش تحتَ مذلَّـــة ... سَعَيتُ لمُرِّ العيش تحتَ الحَوافِــرِ

فإنْ لم يكــنْ لي من جِوَار بَنـــي أبي ... رفاهيــةٌ جاورتُ أهــلَ المَقَابـــر

---

(١) الشطر الثاني غير مستقيم الوزن وكذلك مضطرب المعنى لخلل وقع فيه ربما بسبب سقط بعض الحروف .

(٢) الطّلاء : تأتي بمعنى: الذئاب وحذفت الهمزة للضرورة الشعرية !

(٣) ماضي العزيمة : مضى السيف مضاء صار حاداً سريع القطع، يقال : هو أمضى من السيف (المعجم الوسيط ج٢ ص ٨٧٥) والمعنى (رب عاجز ضعيف نصر على نافذ الغريمة قويها فهزمه) .

١٤ ــ وكتب إلى موسى بن علي الكناني في حلي يعاتبه قائلاً

مَدَحْتُكَ مدحاً لو مَدَحْتُ ببعْضِه وأدناهُ صُمَّ الصَّخْرِ جَادتْ جَنَادِلُه
فما زادني حَظًّا لديكَ فَصاحَتي ولا أَنْزَلَتْنِي منزِلاً أنَا نازِلُه
فو الله ما أدري لأيِّ إرادة جفاؤك لي أو أيَّ أمرٍ (تُحَاوِله)[١]
وَمَالَكَ لاَ سَاوَيْتَ بي من رَفَعْتَهُ عَلَيَّ، ولا مَاثَلْتَ بي مَنْ أُمَاثِلُه
فهِبْنِي فَهّاً[٢]، لا أَفُوهُ بِلَفْظَةٍ ولا أُحْسِنُ القولَ الذي أَنا قائِلُه
أَمَا بينَنَا وُدٌّ قديمٌ مؤكدٌ ؟ أوآخِرُهُ مَحفوظَةٌ وَأوائِلُه

١٥ ــ وقال يعاتب الأمير علي بن محمد الخواجي[٣]

عجباً يامحمدُ بن علي بن أبي طالبِ بنِ عبد مَنَافِ
ياصلاحَ الصلاح ياأجْودَ الأجْواد حقاً ياأشرفَ الأشرَافِ
كيف أخلفتَنِي ومثلُك لا يقدِمُ في وعده على الإخلافِ
ليس ضدّ الوفاء من شِيَمِ الحُرِّ ولا من شرائِطِ الإنْصَافِ
أَتَعمَّدتَ قطع جاهي؟ أَمْ أَغراكَ في قطعِهِ أُبُو العُرَّافِ

---

(١) في نسخة (ج) بالألف «أحاوله» والاسناد هنا للشاعر بخلاف ما في نسخة (م) المثبت أعلاه .

(٢) فهّاً : الفهاهة : هي العيّ . جاء في أساس البلاغة : رجل فَهٌّ وامرأة فَهَّة ص ٤٨٦ .

(٣) في نسخة (ج) لا ذكر للكلمة : «الخواجى» وإنما جاء فيها العنوان هكذا : «وقال يعاتب الأميرعلي بن محمد ويعاتبه » ومطلع القصيدة يشير إلى أن المعاتب اسمه : محمد بن علي وليس علي بن محمد وهذه الشخصية لم أجد لها تعريفاً فيما بين يدي من المصادر .

غَشٌّ في نُصْحِهِ، وقد يَحْطِمُ الصَّعْدةَ[1] حِيناً مُقيمَهَا بالثِّقَافِ

فإذا كَانت القَوَادمُ[2] لا تعرفُ حقّي بَسطتُ عذرَ الخَوافِي[3]

وتَـفضَّلْتَ بالمئين وأُتْبَـعْتَ هِبَـاتِ الأُلُـوف بالآلاف

وملأتَ المِخْلَافَ جُوْداً، فِقارُوْنُ فَقيرٌ في سَاكِني المِخْلَافِ

كرم ما (جمحْتَ)[4] فيه إلى القَصْدِ فأَسرْفتَ غاية[5] الإسراف

ومَسَاعٍ كَسرن كسرىٰ وعفّينَ مَسَاعي سَابُورَ ذِي الأَكْنَافِ

كلَّما جرَّ مُتْرَفُونَ .. ذُيُولَ الفسْقِ تِيْهاً.. جَرَرْتَ ذَيْلَ العَفَافِ

ياأبا عبدِ اللَّهِ أحلَلْتَ في الحج الجَدَا والنَّدَا بترك الطَّواف

قَدْ لَعمري خَفَّفْتُ عنكَ فَمَا سَلَّمتُ حتَّىٰ هَمَمْتُ بالإنصرَافِ

وتَجَافيْتُ عن سؤالك حتى إنَّنِي قَدْ حَمِدت غِبَّ التَّجَافِي

جئْتُ مستلطِفاً فكنتُ كمستَسْقِي عادٍ في سورةِ الأَحْقَافِ

وبِوُدِّي لوْ اعتذرتَ لسامحتُ ولكِنْ أسعفتَ بالإِسعَافِ

هبةً كنتُ حاملاً جَبَل الطور بهَا أو مُكَلَّفاً حملَ قافِ

---

(1) الصعدة : القناة المستوية التي تستخدم للرمح القاموس المحيط ج١ ص ٣٠٧ .. والثقاف : ما تسوى به الرماح يقال : ثقّفه تثقيفاً : أي سوّاه . القاموس المحيط ج١ ص ١٢٠ يقال ثقف الرجل ثقافة : أي صار حاذقاً .

(2) القوادم : ريش في مقدمة الجناح/ القاموس المحيط ج٤ ص ١٦٢ قال صاحب محيط المحيط : هي ريشات عشر في مقدمة الجناح واحدها قادمة . محيط المحيط ص ٧٢٠ .

(3) الخوافي : ريش في مؤخرة الجناح! قال الزمخشري : وليس القوادم كالخوافي . أساس البلاغة ص ١٧١ .

(4) في نسخة (م) : جمعت . بالعين وليس بالحاء .

(5) في نسخة : «أشرفت» بالشين . ولعلها بالسين أصوب .

هيَ في القَدْرِ طُعْمَةُ الشَّاحِذِ المَرْذُولِ مثلَ أُجْرةِ الإسكَافي[1]

خطرٌ تافِهٌ وقد كُنْتُ لو تَمَّ أُجَازي عنْ مثلِه أو أكافي

بعقودٍ من لُؤْلُؤِ الفكر أَنْهَى من عُقُودٍ من لُؤْلُؤِ الأصْدَاف

كَلِمٌ لا يُريبُهَا كَلِمُ الشِّعرِ ولا تُشبِهُ القَوافي القَوافي

ومنَ الغَبْن أن ضَنَنْتَ على نفسك منِّي بِحُلَّةٍ أَفْوَافِ

لي (مشتىً)[2] في غير قومي وكَمْ من مَرْبَعٍ فيهِمُ ومنْ مُصطَافِ

أنكَرَتْنِي أَرْضِي فعرَّفَتْنِي أَرْضاً سِوَاهَا(خَفِيْفَةَ)[3] الأخْفَافِ

بَلْدَةٌ مَا قُرَيَّةٌ يَنفَقُ الدُّرديُّ[4] في أهلِها نَفَاقَ السُّلَافِ[5]

ويُبَاعُ المحَّانُ[6] فيها ويُزْرِي الودْعُ[7] فيها بالجَوْهَرِ الشَّفَّافِ

هبْ ونَازِلْ فيهَا فما سمن الأعجَاف إلاَّ مَعَ الجُسُومِ العِجَافِ

واجتَنِبْ خُلَّةَ اللِّئَام فَخلَّانُ القَوافِي مثلُ السباعِ القَوافي[8]

---

(١) الإسكافي : الخراز (أساس البلاغة ص ٣٠٣.. وقيل كل صانع، القاموس المحيط ج٣ ص ١٥٣) .

(٢) كلمة (مشتىً) غير موجودة في نسخة (ج) وترك مكانها بياض .

(٣) في نسخة (ج) «خفيَّة» .

(٤) الدُّرْدِي : مارسب أسفل العَسَل والزيت ونحوهما من كل شيء مائع وميل الخميرة تترك على العصير ليتخمر وفي الحديث (أتجعلون في النبيذ..) انظر المعجم الوسيط ج١ ص ٢٧٨ .

(٥) السلاف : أفضل الخمر وخالصه . (المعجم الوسيط ج١ . ص٤٤٤) .

(٦) المحان : الثوب الخلق . القاموس المحيط ج٤ ص ٢٧٠ .

(٧) الودع : خرز بيض جوف في بطونها شق كشق النواة . المعجم الوسيط ج٢ ص ١٠٢١ .

(٨) القوافي : التي تقفو الأثر وتتبعه . المعجم الوسيط ج٢ ص ٧٦٦ .

١٦ ـ وقال ناصحاً قوم الشريف محمد بن قاسم المهدي بالتحـول إليـه

بنـي عمّنَـا إن التَّحـوُّلَ خُطـةٌ على الرَّحم الأقْصىٰ فكيفَ على الأدنَا[١]

اقُيـمُ على السوأىٰ إليكـمْ ولم يَكُـنْ من الرأي إلا أن تُقيمُوا على الحُسنَىٰ

إذا أنتـمُ لم تأنفـوا العـارَ لم تَزَلْ وُجُوهُكُـمُ سُوداً، وألسنُكُمْ لُكْنَـا

دعـوا خَيْمَتـيْ نجرانَ إن سرُوْرَكُـمْ بعَقْوتَها أضحىٰ بعقوتَها[٢] حُزْنَـا

ولا تَستَرِقَّـنَّ الديـارُ قلوبَكُـمْ فما عيشُها خَفْضاً ولا ماؤُها يَهْنَا

فإنـيَ قد فَارَقْتُ سادةَ أهلِهَـا غُلَاماً فلم أقْرَعْ لفُرقتِهِـمْ سِنّـاً

نَزلتُـمْ على قومٍ تَبـيتُ عُيُوْنُهُـمْ لحفظكم يَقْظى وأعينكُـمْ وَسْنَـا

إذا آنَسُوا من جارهِـم بخَصَاصَةٍ أنالوه من هُنَّا وهُنَّـا ومـن هُنَّـا

هم اكتنفـوا موسىٰ وعيسىٰ وأبدلُوا عليّـاً ووهّـاساً بخوفِهِمَـا أمْنَـا

وآوَوْا أبا بكـر بن عيسىٰ وأسكنوا صلاحاً ويحيىٰ[٣] خيرَ دارهِمُ سُكْنَا

فلوا كان حكمُ الموت يُدْفَعُ دافعوا عن الجار ضَرباً بالصوارم أوْ طَعْنَـا

فإنْ أنتَ جَاوَرْتَ امرءاً ليس منهُمُ فَخَفْ يَدَهُ اليُسْرىٰ ولو كنتَ في اليُمنىٰ

وماشرفـاً (حب) (ورأس ذمَرْمَـر) بأحصنَ من مهديّ قاسِمِهِم حِصْناً

أميـرٌ رأىٰ فرضَ الكفايـة نَاقِصاً فَسَنَّ من الجُود الرَّسُولـيّ ماسَنَّـا

وأُقْسِمُ مامـرَّتْ من الدهـر ليلـةٌ عليه وما أغنىٰ الفقير وما أقنـىٰ

---

(١) (أرثا) : هكـذا في النسخـة المصورة عن معهـد المخطوطـات العربيـة وصوابها : (الأدنى) .

(٢) عقـوة : العقـو والعقـا .. الموضع المتسع أمام الـدار ، المعجم الوسيـط ج٢ ص ٦١٩ والمعنى أن سروركم بفسحة خيمتي نجران قد أضحى حزناً .

(٣) (يحيى .. وصلاح .. وأبو بكـر بن عيسى .. ووهـاس .. وعلي ومـوسى .. ودعيس) أعلام معروفة في وقتـه من أسرة ممدوحـه ليس فيمـا بين يدي من المصدر تعريف بأحدهم .

١٧ ـ وقال يستعطف ممدوحه القاسم بن علي الذروي لشرفاء وادي[١] وســاع

محاوِلُ حلِّ عقـــدِكَ ياشُجَـــاعُ — محاولُ آيـــةٍ لا تُستَطَـــاعُ
وناطـــحُ طودِ عزمِكَ مُستعيـــنٌ — بِرَأْسٍ حَشْوُهُ منهَـــا صُدَاعُ[٢]
أَيَرْتَفِـــعُ الحضيضُ بغيـــرِ لُبٍّ — يُدبِّــرُهُ، وَيَنخــفِضُ اليَفَــاعُ؟[٣]
وماعُـــذرُ السَّنَـــام إذا تطَاطَـــا — فطـــالَ الخفُّ عنـــهُ والكُـــرَاعُ
أضاليـــلٌ تسوِّفُهَـــا الأمـــاني — وتَرجُـو كونَهَا الهَمَجُ الرِّعَـــاعُ[٤]
وأَضْغَـــاثٌ تَمَثَّـــلُ في مَنَامـــي — عبارتُهـــن يوسفُ والصُّوَاعُ[٥]
إذَا لمْ يَنتفِـــعْ بالـــلُّبِّ حيٌّ — فلـــيسَ لهُ بصورتـــه انتفَـــاعُ
وإن لم يُغـــنِ فيـــه الفكـــرُ شيئـــاً — فمـا يُغْنِـــي العِيَـــانُ ولا السَّمَـــاعُ

---

(١) وادي وساع : أحد أوديـة المخلاف السليمـاني ويشتهر في أيامنـا باسم وساع وشهدان ويسكن على ضفافه بعض أشراف المخلاف من السادة النعميين وغيرهم من أشراف المنطقة .. وساداتها .

(٢) يشير إلى قول الشاعر :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها — فلم يضرهـا وأوهـي قَرْنَـهُ الوعـل

(٣) الحضيض : القرار الوطيء من الأرض القاموس ج٢ ص٣٢٨ واليفاع : الأماكن المرتفعة ، القاموس المحيط ج٣ ص ١٠٢. قال أصحـاب المعجـم الوسيـط : اليفاع : المرتفع من كل شيء ج٢ ص ١٠٦٥ .

(٤) الهمج الرعاع : الخائفة ومـن لا فؤاد له، القامـوس المحيـط ج٣ ص ٣٠ وفي أساس البلاغة : فلان رعاعة من الرعاع ص ٢٣٧ .

(٥) يوسف والصواع : يشير إلى قصة سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا السلام مع إخوته حين أمر بوضع صواع الملك في رحل أخيه ليبرر بقاءه لديـه ويستجـلب به حضور أبويه وبقية إخوته . والقصة مذكورة في سورة (يوسف) . والصواع : المكيال .

مَتَى طَابَ امْرُؤٌ قَوْلاً وفِعْلاً … ومَخْبَرُهُ إذَا طَابَ الرَّضَاعُ

يُقَعْقِعُ بالشَّنَانِ عليك كَيْمَا … تُراع به ورَضْوَى[1] لا يُرَاعُ

وتُحْسَدُ أنْ تُضيءَ وأيُّ شَمسٍ … تَدُورُ ولا يَكُونُ لها شُعَاعُ

لقد أُخمدتَ نارَ الضدِّ حتَّى … تلاشَتْ فهيَ لاشيءٌ يُذاعُ

فذاكَ الملكُ ،فيءٌ أو خيالٌ … وذاكَ العيشُ حُلْمٌ أو وَدَاعُ

تَجَاوَزْ عن بني الحسنِ المثنَّى … خداعَهُمُ وإنْ طالَ الخِداعُ

ودافِعْ عنهم الجُلَّى فلَوْلَا … دفاعُ الله مانفَعَ الدِّفاعُ

فهمْ عَيْنٌ وأنتَ لَهَا سوادٌ … وَهُمْ كفٌّ وأنتَ لَهَا ذِرَاعُ

لعمرُكَ ما رَوِيْتَ وهُمْ ظِمَاءٌ … لديكَ ولا شبِعْتَ وهُمْ جِيَاعُ

ولا سَأَلُوكَ إلَّا ظَلْتَ تَهْمِي … ومالُكَ بينَهُمْ نَهْبٌ مُشَاعُ

فصبراً فاجتماعُهُمُ افتراقٌ … بِجِدِّكَ وافتراقُهُمُ اجتمَاعُ

ولا تعجلْ على شُرَفَا (وُسَاعِ) … فآلُكَ بيتُ عِزِّهِمُ(وُسَاعُ)

ولو جَنَحُوا إلى بلدٍ وأَضْحَوْا … لَهُمْ فيهَا اصطِيَافٌ وارتِبَاعُ

فللظِّلِّ انقباضٌ وانبساطٌ … وللشَّمْسِ انخفاضٌ وارْتِفَاعُ

فَرُبَّتَمَا دَعَوْتَهُمُ فَلَبَّتْ... … مُنَادِيكَ الْقَوارِحُ[2]والجِذَاعُ[3]

وخَاضَتْ دُونَكَ الغَمَرَاتِ خيلٌ … كأَنَّ قَنَا فوارسِهَا شماعُ

ولو كَشَفَتْ قناعَ الحربِ رومٌ … كقولِهِمُ ومَاكُشِفَ القناعُ

لَطَاوَلَكَ الضِّبَاعُ وأنتَ أَعْلَى … وأَشْرفُ أنْ تُطَاوِلَكَ الضِّبَاعُ

---

(١) رضوى : جبل بالمدينة المنورة .. ومعنى تقعقع بالشنان : مأخوذة من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع ، المخصص لابن سيده . ج٢ ص٨٢ .

(٢) القوارح : البزل من الإبل : وهو الذي شق نابه وطلع . محيط المحيط ص ٧٢٣ .

(٣) الجذاع : ما بلغ سن الخامسة من الابل ولم يبلغ مبلغ البزل . القاموس المحيط ج٣ ص ١٢ قال صاحب محيط المحيط : الجذع من البهائم الثني إلا أنه من الإبل في السنة الخامسة . ص ٩٨ .

أجـلْ فيُجَالِسُ الأسَد ابـنُ آوىٰ ... نَعمْ ويُحاسِنُ القمرَ الصيـاعُ[1]

فقـلْ لمُعَانـدِيكَ وإنْ أُهينُـوا ... فلـم تُكتَـلْ لهمْ بالصَّاعِ صاعُ

كُلُوا وتَمتَّعوا ، وقِـرُوا، وكُفُّوا ... عن الهفَـوَاتِ فالدنيـاَ مَتَـاعُ

فكمْ جَبَـلٍ صدمتَ فلمْ تُنهْنهْ ... جيادكَ عنـهُ إلّا وهْـوَ قاعُ

ومَغْروريـنَ قد دَلَفُوا بطـاءً ... إلـيكَ فأدبَـروُا وهُـمْ سِراعُ

كأنَّهُـم ونـارُ السيـف فيهمْ ... أبـاءٌ[2]،أو ثمامٌ[3]،أويَـراعُ[4]

فداكَ أبي وأمّـي إنَّ ودِّيْ ... لوجـهِكَ لايُعـارُ ولا يُبـاعُ

فكيفَ أضعتَنِي وغفلتَ عنّـي؟ ... ومَـا حقّـي التغافُـل والضَّيـاعُ

وماطيبُ الحيـوةْ لدىٰ حَيـوَةٍ[5] ... ولا ذهبٌ لديَّ ولا ضِيَـاعُ

فهبْ لي منكَ عَفْـواً واصطناعـاً ... فخيـرُ البِـرِّ عفـوٌ واصطنـاعُ

---

(١) الصياع : جمع صاع .. وهو ما اطمأن من الأرض .

(٢) **(أباءٌ)** هكذا وردت في نسخة (م) أما في نسخة (ج) فقد جاءت بالتاء : (إتاء) ولعلها بالباء أصوب **والأباء:** الكلأ **والمرعى، القاموس المحيط ج١ ص٣٥ .**

(٣) أوثمام : نبات معروف لا تطول سيقانه، القاموس ج٤ ص٨٦ قال صاحب محيط المحيط : الثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص وربما حشي به خصاص البيوت ويقال لما لا يعسر تناوله : على طرف الثمام لأنه لا يطول محيط المحيط ص ٨٤ ج١ مكتبة لبنان سنة ١٩٨٣م .

(٤) يراع : من معاني يراع القصب وهو ما يتناسب مع سياق البيت والمعنى المراد ، القاموس المحيط ج٣ ص ١٠١ . ومنه قول الشاعر :

أحِـنُّ إلى ليلى وإن شطت النـوى ... بلـيلى كما حن اليراع المثقـف

(٥) الحيواة ــ حَيوَاة : هكذا رُسِمَتَا مثل رسم المصحف والمتعارف عليه أن ترسما هكذا (حياة) .

١٨ ــ وقال متغزلاً (*) في صباه

زَمــانُك كُلُّـــهُ فَنَـــدٌ وعـــذْلُ أَمَالَكَ عَنْ عنيفِ اللَّـومِ شُغْـلُ؟

أراك تَلُومُنـــــي لذَهَـــابِ عَقْلي أَقِـفْ عنِّـي فَمَـالَكَ أَنتَ عقــلُ

تُسَهِّــلُ كلَّ صعبٍ وهْــوَ صَعْبٌ أهــلْ حُدِّثْتَ أنَّ الـبين سهــلُ؟

وتطــلُبُ بالملامِ الحِلْـمَ منِّــي إلـيكَ فإنَّ بعضَ الحِلْـمِ جَهْـلُ

ألعـدَ البـان بَانَ علـيَّ عينــي تقرُّبـه وبعـدَ الرَّمْـلِ رَمْــلُ

ومـــن لي بالجَــلَادَة إن بدَا لي بِجَـنْبِ متَاعــه سَلَـمٌ وأَثْــلُ

أَقَاتِلَتـــي بلا سَبَبٍ وثـــأرٍ طُلــبْتُ به، أَكَـانَ علـيَّ قتـلُ؟

بُلـــيتُ بكــم فَلَا للصرمِ صرمٌ أُسَرُّ به ولا للـــــوصل وصل

أبـــيتُ فلا أعــوجُ بجنبِ تيْمَـــا (....)(١) ولا أبـــيتُ ولا أظـــلُّ

وبـــــالجيران جيرانٌ ودارٌ سوىٰ داري، ولي بالأهــلِ أهــلُ

وكيــفَ أُقيـــمُ في بَلَــدٍ سواءٌ بهَـا العَوْجـاءُ(٢) والسِّمْـعُ الأَزَلُّ(٣)

يديــنُ الصَّفْــرُ فيها للحُبَــارىٰ ويضطهــد الأعــزَّ بهَــا الأذلُّ

بحيثُ يكــونُ لي شِبَــعٌ وريٌّ وسائمتــــي لها ماء وظـــلّ

وإن عرّضتُ في طلب ببـــعضٍ أتـــىٰ في ساعــة التعـــريضِ كلُّ

(*) هكذا جاء عنوان هذه القصيدة في النسخ المصورة ولكن يبدو أن القصيدة عتابٌ لقومه شديد الهجة .

(١) (....) بياض في النسخة المصورة عن معهد المخطوطات العربية .. وكذلك في نسخة جامعة الملك عبد العزيز وتختلف بداية البيت في نسخة جامعة الملك عبد العزيز حيث جاءت بدايته هكذا : (أتيت به فلا عوج ... ...)

(٢) العَوْجَا : ضرب من جياد النخيل . (المعجم الوسيط ج٢ ص ٦٣٥) .

(٣) السِّمْعُ الأَزَلُّ : ذئب يتولد بين الضبع والذئب يكون هزيلاً : (القاموس المحيط ج٣ ص ٣٨٩) .

(أمغـــرورٌ[1] بِدَار) الخمـــر هوِّنْ ... علـيكَ فإنَمـــا في الـــدَّنِّ خَلُّ

ولا تَنْظُـــرْ إلى التِّجْفــاف وانظُـــرْ ... لحامِلِـه ففـي التِّجفـافِ بَغْـــلُ

حسبتَ النعـلَ تاجـاً أيُّ عقـــل ... يحُـلّ به مَحـلَّ التــاج نَعْـــلُ

ألم تر أنّنــي خفَّـفْتُ عمَّـــن ... صحِـبْتُ فلا أمَـلٌ ولا أُمِـلُّ

ففـي رِجْلي عن الشُّبهـاتِ قيـدٌ ... وفي عُنُقـي عن الشُّبَهَـــات غِلُّ

ولـــــو أني وردْتُ (.....)[3] ... وكانَ بحوضهـــا نهلٌ وعـــلُّ

فمـن لي بامـريءِ واع فيصْغِـي ... لهَيْنَمَتـي ويكـتب ما أمِـــلُّ[4]

فوآ أسفاً أيـخْشَى الكـلب لَيْثٌ ... ويخدمُ ضفـدعَ الغمـرات صلٌّ[5]

عُكُـــوسٌ تمرضُ المهجـــاتُ منها ... ولـيس مريضُ خسرتِهـا يُبِـلُّ

ففــــي قلبـــي من الأَقدار غلٌّ ... وفي صدري على الآثارِ غِلُّ

---

(١) «أمغروراً بدن الخمر هوّن» هكذا ورد الشطر الأول في مخطوطة (ج).

(٢) التجفاف: آلة للحرب يتقي بها كالدرع للفرس والإنسان. يقول: لا تنظر للدرع وانظر لحامله فإن حامله هذه المرة «بغل» وليس فرساً.

(٣) «......» بياض في النسخة المصورة عن معهد المخطوطات العربية. وفي نسخة (ج) كلمة غير واضحة يشتبه بانها كلمة: «وردْتُ رَفْهاً».

(٤) هذا البيت ورد في نسخة (ج) هكذا: «فمن لي بامريء واعٍ لهينئتي ويكتب ما أملّ» دون كلمة «فيصغى».

(٥) صل: الصل: الحيَّة: انظر القاموس المحيط ج٤ ص ٣.

١٩ ــ وقال متغزلاً أيضاً

ياقـــلبُ ذُبْ إن كنتَ عاشِقْ   حُقَّتْ بفرقَـــتِك الحقائـــقْ

أزِفَ الفـــراقُ ولم تَمُتْ   هلْ أنتَ تعــرِفُ من تُفـــارِقْ

بَلــغَ المحالَ الجدَّ حسْـــ   ـبُكَ كمْ تماحِــلُ[1] كم تُمَــاذِقْ[2]

كمْ كاذبٍ في السِّرِ يُـــو   هِـمُ أنَّـه في الجهــرِ صادقْ

ومنافــقٍ في الـحُبِّ يعْـــ   ـدِلُ دينُـهُ ديــنَ المُنافِــقْ

أمُطارحـــي خَبَــرَ الأَبَــا   رق كيــفَ ساكِنَــةُ الأبــارِقْ

ولَهِـــي لِولْوَلَـــةِ النّسيـــ   ـمِ وَبَـــارِقٍ يانِعْـــمَ بَارِقْ

طَرَقَ الخَيــالُ وكــنتُ أعـــ   ـهَـدُ طيــفَ عُلْــوةَ غَيْــرَ طَارِقْ

والجوُّ مسودُّ المغــ   ـارِبِ غيــرَ مبــيضٌ المشارِقْ

فكــأنَّ جلبَــابَ الظــلا   مِ وثوبَــه خَلَــقٌ شبَــارِقْ[3]

فَضَمَمْتُــهُ ولَثَــمْتُ نَــرْ   جَسَ خَدِّهِ تَحتَ الشقائـــقْ

ضَمَّ المُضَاجِـــعِ للـــمُضَا   جِعِ والمُعَانِـــقِ للمُعَانِـــقْ

يافـــاسق (العيـــنين)[4] كَيْــ   ـفَ لمسلــم من جَوْرِ فاسِقْ

راجــعتَ وَصْلِـــي بالصُّدُو   دِ فكــانَ وَصْلي منك طالِـــقْ

لا تَحْتَمِـــلْ وِزْرِي فإنْ   نَ علاقتـــي غيـــرُ العلائـــقْ

وتـــوقَّ في يومِ القيـــا   مة من يُنــاقِشُ في الدقائـــقْ

---

(١) تماحل : المِحَال : التدبير والمكر والكيد يقال تمحَّل له : احتال، القاموس المحيط ج٤ ص ٤٩ والمخصص ج٢ ص ٨٤ .

(٢) تُمَاذق : المذاق : الملول الكذاب : ماذق فلان في الودّ : لم يخلص له الود. المعجم الوسيط ج٢ ص ٨٥٩ .

(٣) ثوب شبارق : مقطع ممزّق، المعجم الوسيط ج١ ص ٤٧١ .

(٤) في نسخة (ج) : «العينان» .

٢٠ ــ وقال متغزلاً أيضاً

تُعنِّقُنـــي بالعُنْـــف والرِّفــقُ أرْفَــقُ ... وتُرْعِــدُ لي فيمــنْ أحبُّ وتُبْــرِقُ

وتُظهِرُ إشفاقــاً علــيّ من الأسَا[١] ... كأنَّك لي منِّـي بِروحـــيَ أرْفَــقُ

ذُقِ العشقَ واعـذلْ إنْ قدرتَ فإنَّمـا ... يُعنِّفُ أهلَ العِشْقِ من ليسَ يَعْشَقُ

أراني ونِضْوي[٢] أن نَبَا الأثلُ معرضاً ... يَحنُّ لمأثول البديع (ويشهَـــقُ)[٣]

تُباري خُطاهُ الطيرَ وهْــوَ مُقَيَّــدُ ... فكيف به من سيره وهــو مُطْلَـــقُ

وإن الميــاهَ الــلائي تحتَ ظلالِــه ... يَغصُّ لها بالماء ثُمَّتَ يَشرِقُ

علاقــةُ حبٍّ أُودِعَتْ بين قلبـــهِ ... وقلبـــي فكـــلٌّ منهمـــا مُتعلِّـــقُ

ألابــارق الغــوري ينــزع والهاً ... ففـــي كلِّ أرضٍ من تهامـــة أبــرُقُ

مُحَدِّثَتِي بالبَيـــنِ عَهْــدي بأهْلــه ... فَريقــان:مِنهمْ مُكْــذِبٌ ومُصدِّقُ

أحقَّقْتِ أنَّ الحيِّ حيٌّ مغـــرِّبٌ ... وآخـــر منهم (للفـــراق)مُشرِّقُ

لعمــرُكِ ماأقبــحتِ فينــاً وإنَّمــا ... فَتَحْت لنَا بابَ البُكا وهو مُغلَــقُ

ومُسْتَتِــرٍ يوم الغديــر بكفــه ... يُجمِّعُــهُ في وجْهــهِ ويفـــرِّقُ

طَلَــعْتُ عليــه وهــو لا مُتَبَرْقِــعٌ ... على غِرَّةٍ منـــهُ ولا مُتَمنطِـــقُ

فَجَاذَبْتُه الجلبــاَبَ وهــو مُجـــرَّدٌ ... وراودتـه عن حاجتي وهـوَ مُطرِقُ

---

(١) (الاسا) هكذا في النسخــة المصورة (م) وفي نسخــة (ج) : «الأسى» . وهــو الصواب .

(٢) نضوى : النضو : الجمل الهزيل من شدة السير انظر القاموس ج٢ ص ٣٩٦ .

(٣) «يشهق» هكذا في نسخة (م) وفي نسخة (ج) : «وأشهق» .

٢١ ـ وقال متغزلاً أيضاً

أَلْـوى بسمـــعك عن ملامِكَ فيها ... نشواتُ خمرتها بخمـــرة فِيْهَـــا(١)

دَعْنِـــي وتَذْليه الغَـــرام فإنَّنـــي ... أَهْــوىٰ الغـــرامَ وأعشقُ التَّـــذْلِيها

أحلىٰ حيـــاتي أن أكُـــونَ معـــذَّلاً ... فيها وحِلْمـــي أن أكـــونَ سفيها

خوطيـــةٌ(٢) قمـــرُ التمام أخٌ لها ... في حسنـــــه من أُمِّهــــا وأَبِيها

تاهَتْ دلالاً فاكـــتَسَتْ بِدلَالِهـــا ... دَلاً يُكاثـــر دَلَّهَـــا والتِّيْهَـــا

إمَّـــا مَرَرْتَ بذي الأَراكَـــةِ فانْشدنْ ... دِمَـــن اللِّـــوىٰ عنها وعـــن أهـــليها

أَبلىٰ الهوىٰ وجـدي وأبْلَتهَـا النَّـوى ... فَحـــكَتْ بقيـــةَ عاشقٍ يَحْكِيهَـــا

---

(١) في نسخة (ج) : «للعراق» .

(٢) (فيها) : في هذا البيت جناس تام حيث جاء بلفظة فيها في نهايـــة الشطـــر الأول بمعنى الظرفية وجاء بها في نهاية الشطر الثاني بمعنى الفم مع توافق حروفها .

(٣) خوطيّة : أي قدهـا يشبـه الخوْط ج والخوط الـغصن الناعـم . أساس البلاغـة ص ١٧٧ .

٢٢ ـــ وقال متغزلاً أيضاً

أَيُجْري دَمـي ودُمُوعـي طَلَـلْ رسيمُ الجمـال ورسمُ الطَّلَـلْ[١]
ومـن دِمَنتيْـن بِجَـنْبِ الـغَضَا وأرْسُمَنَـــا بالعقيـــق الأوَلْ
وقـفتُ (وواقــف)[٢] لي صاحبـي فَلَمَّــا نزلتُ أُحيِّـــيْ نَزَلْ
فلا أنـا (خبرت)[٣] عمـا سألت ولا هو أخبر عمـــا سأل
وفي الظعـن الباكـرات الغـداة أصبـح[٤] مكتحـل بالكحـل
كثيـرُ المطـال قَليـلُ النَّـوَال خفيف (القوام)[٥] ثقيل الكفل[٦]
يِوَرِّدُ خَدَّيـــهِ طولُ العتـــاب ويَصْبَــغُ وجنتَــهُ بالخجــلْ
هجـرت الزيـارة إلا القليـل فقـال سَلَا عَنْ ودادي ومـلّ
ودون زيـارة ذاك الحبـيب رقاق السيـوف وسُمْـر الأسل[٧]
ألست ترى الليل يبكـي الصبـاح وقــد شاب مفرقــه واكتهل
فمـا كان إلا ككحـل محاه دمـــوعٌ جرت وخضابٍ نَصَلْ[٨]

---

(١) طلل في الشطر الأول والثاني بينهما جناس غير تام وطلل الأولى معناهـا : هدراً والطلل في الشرط الثاني معناها آثار ديار الأحبة .

(٢) هكـذا في نسخة (م) أما في نسخة (ج) فقـد جاءت هذه الكلمـة هكـذا : «وأوقفتُ» .

(٣) هكذا في نسخة (م) أما في نسخة (ج) فقد وردت الكلمة هكذا : «أُخْبِرْتُ» .

(٤) هكذا وردت في نسخة (م) وفي نسخة (ج)

(٥) هكذا في نسخة (م) وف نسخة (ج) : «المقام» .

(٦) الكفل العجز والردف . انظر القاموس المحيط ج٤ ص ٤٥ .

(٧) الأسل : كل ما رقق وحُدَّ من الحديد سيف أو سكين أو سنـان . المعجم الوسيط ج١ ص ١٨ .

(٨) خضاب نصل : أي خرج . هي ناصل : أي خرجت من الخضاب . القامـــوس المحيط ج٤ ص ٥٧ .

وفي البيتين صورتان جميلتان يصور فيهما تلاشي جيوش ظلام الليل .

أعـرْ نَاظـريكَ بروقـاً سَرَتْ   كَمثلِ السيوفِ هَجَـرْنَ الخَلَلْ
إذا ما ضَحِكْـنَ بكَتْ تَحتَها   سحـائبُ للرعـد فيها زَجَـلْ

٢٢ ــ وقال متغزلاً أيضاً

أُميْـطَ عن الصَّبَابـة بالإدَالَـهْ   وكان يُقَـالُ لو طَلَبَ الإقالَـهْ
ولـيسَ ــ وإنْ تحمَّلَ حُبَّ أسمٰى ــ   بأوَّل عاشقٍ صَرَمَتْ حِبالَـه[1]
يَظُـنَّ خَيَالَهـا والليـلُ مُلْـقٍ   رواقَ دُجَاهُ أنْ (يلقـى)[2] خيالـه
مسائلتـي عن المُثـلاتِ رِفقـاً   أعَـنْ علـمٍ سُؤالُكَ أمْ جَهَالـه
تفـرَّدَتِ المحاسنُ بِي ولَكـن   غرابُ البيـنِ مِن أحَـدِ القَتالـه
أقلبـي جمرةٌ تَكْـوي ضُلُوعـي   بنَـارِ الصَّرْم أمْ كَبـدي ذُبَالَـه
ومـالي لا أليـقُ كأنَّ جَنبْـي   فَرَشْتُ له القَتَـادَةَ[3] والسيَّالَـه[4]
(مُوَاعِدَتِـي)[5] بوعـدِ غَدٍ حيـاتي   لعمـرُ أبـيك في تلك العُلاَلـه

---

(١) صرمت حباله : أي قطعت الوصال والوُدّ وكأنه يشير إلى معنى قول الشاعر :
صرمت حبالك بعـد وصلك زيـنب   والدهـر فيـه تصرم وتقـلب
قال الزمخشري في أساس البلاغة : صرمتُ أخي وصارمتهُ وتصارمنـا وبينهمـا صرم وصريمة : قطيعة . ص٥٤ .

(٢) في نسخة (م) : «يلقى» بالياء، وفي نسخة (ج) : «تَلْقَىٰ» بالتاء وليس بالياء .

(٣) القتادة : القتاد : شجر صلب له شوك كالإبـر ، القامـوس المحيـط ج١ ص ٣٢٥ .

(٤) السيَّاله : نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه اللبن أو هو ما طال من السمر، القاموس المحيط ج١ ص ٣٩٨ .

(٥) هكذا وردت في (م) وفي نسخة (ج) : «مُعلِّلَتِي» .

أأنتِ البــدرُ أنصفَ في سعــــودٍ　　فتــمٌّ أم الغـــزالُ أم الغزالَـــةْ[1]

أراكِ من الجَلالَـــــــــة فَوْقَ مالَا　　تكيفُــه العقــولُ من الجَلالـــةْ

ومــا لجوارحـــي هاتـيكَ حتَّـــى　　كأنَّ يدي تغلّ (عـــن)[2] الغلالـــةْ

حرارةُ أَضْلُعـــي يُطفـــي لَظَاهـــا　　لماكِ وبـــرد رِيقَـــتِكِ الزُّلَالـــةْ[3]

أَمَـــا عَقِبٌ لزورتِنَـــا بنجـــدٍ　　فيـــالكِ زورة ماتَتْ كَلَالَـــةْ

تَوَقَّ بَنـــي الزمـــان فكـــلُّ خِلٍّ　　من الخلاَّنِ مذْمُـــوم الخِـــلاَلَةْ

وخفّـــفْ مااستطـــعتَ فربَّ وغْـــدٍ　　يَرَىٰ ردَّ السلام من الثّقالـــــةْ

ولا تَنْظُـــرْ لجسم المرءِ واخبُـــرْ　　طبائعَــــه فإنَّ الجسمَ آلـــةْ[4]

وإن عايـــنتَ ذا نُسُكٍ وديـــن　　فَخَفْـــهُ فذاكَ أَخْتَـلُ من دُوالَـةْ[5]

إذا خَبُثَ الدقيـــقُ علـيكَ طعمـــاً　　فأخبثُ منـــهُ في الطَّعـمِ النُّخالَـــةْ

وكيـــف تغصّ بالصافي وترجُـــو　　من الحُلْقُـــوم تَسْويـــغَ الحُثَالَـــةْ

---

(١) الغزالة : الشمس : قال صاحب أساس البلاغة : جئتك مع الغزالة، أي مع طلوع الشمس ص ٤٥٠ .

(٢) هكذا في نسخة : (م) أما في نسخة (ج) فقد جاء حرف الجر : «من» .

(٣) الزلالة : الزلال : الماء العذب الصافي البارد السلس . وقيل الصافي من كل شيء المعجم الوسيط ج١ ص ٣٩٨ .

(٤) في هذا البيت يشير إلى معنى الحديث النبوي الكريم : (إن الله لا ينظــر إلى صوركم وأبدانكــم وإنما ينظــر إلى قلوبكــم) أو كما قال ﷺ . وقــد كرر هذا المعنى في شعره .

(٥) بلغ التشاؤم بالشاعر منتهاه فقد وصل به إلى عدم الثقة بأحد كائناً ما كان .

٢٤ ــ وقال متغزلاً

علىٰ الجِزْعِ من وادي العقيق سلامُ ... وإنْ مَرَّ عامٌ لا أراهُ وعامُ

ولا انْفَكَّ سقي الغيث من كل وجهةٍ ... علىٰ الرِّفْهِ طَرْفاً هَامِعاً وبَشَامُ

أصمُّ عن الناهين فيه وتارةً ... ألومُ علىٰ مَنْ حلَّه وألَامُ

وما كلَفي بالجزْع إلاَّ لأنَّنِي ... أقمتُ به مَعْ أَهْلِهِ وأَقَامُوا[١]

مُكَلَّفُ نفسي خطةً لاتَنالُها ... ورايمُ أَمْرٍ مَاإليه مَرَامُ

فيا بانَتَيْ سَفْح العميمِ سقَاكُمَا ... ولَوْ مِنْ دَمي يابانتانِ غَمَامُ[٢]

أَوَامُكُمَالَا مِنْ أوامٍ[٣] تَرَاكُمَا ... أخُوه لمن (أحببتماه)[٤] أُوَامُ

كانّ قوام المالكية فيكما ... لِهَذَا قوامٌ أو لِتِلْكَ قَوَامُ

أَمَا مِنك ياذاتَ الوشاح علىٰ (النَّوا)[٥] ... لِمَامُ خَيالٍ إنْ عَدَاك لِمَامُ

بَخِلْتِ بمَا عُونِ الكلام على امرئٍ ... (وحَلَّلْتِ قَتْلَ الصيد وهُوَحَرَامُ)[٦]

وما زلتِ حتَّىٰ شَابَ وهْوَ مُموَّهٌ ... شبَاباً وحتَّىٰ شَاخَ وهْوَ غُلَامُ

أماَ زَوْرةٌ ياعلوُ في أُخْرَيَاتِهَا ... يُحَلُّ نِطَاقٌ أو يُمَاطُ لِثَامُ

وماليلةُ الرَّمل العقيقيّ إن مَضَتْ ... بَمذْمُومَةٍ إن ذُمَّ مِنْك ذِمَامُ

---

(١) لعله يشير إلى معنى قول الشاعر :

وحبب أوطان الرجال اليهمُ ... مآرب قضاها الشباب هنالكا

(٢) البان : شجر الحناء المعروف ؛ وسفح العميم : ضفة وادي نخيلان الواقعة قرية العميم على ضفته والمعروفة الآن باسم وادي الخيلان .

(٣) الأوام : شدة العطش .

(٤) في نسخة (م) : «أحببتموه» بصيغة الجمع ولعل صيغة التثنية هي الأصوب كما نقلنا عن نسخة (ج) .

(٥) هكذا في النسختين ولعل الصواب بالألف المقصورة «النوىٰ» .

(٦) ورد هذا الشطر بألفاظ أخرى في نسخة (ج) حيث جاء على النحو الآتي :

بخلت بماعون الكلام على امرىء ... (أحَلَّ الذي تَبْغِيهِ مِنج كَلَامُ)

٢٥ ـــ وقال متغزلاً في صباه[١]

تَنَصَّلَتْ وخُضَابُ الليـــل قد نَصَلَا | وقَبَّلَتْــهُ بِأَنْ يَرضىٰ فمــا قَبِــلَا
وخَالَطَ الصّبحُ نَجواَهَا فما عقَلَتْ | ما قالَ من خَشْيَةِ الـواشي وماعَقَـلَا
تَنَهَدَّتْ والدُّجىٰ طفلٌ فما سكَتَتْ | من التنهُّـدِ حتّــىٰ شابَ واكتَهَــلَا
لمَّا استمرَّ بها توديعُهَــا وغَـــدَتْ | تَجْنيه عنـد الـوداع الصَّابَ والـعَسَلَا
بَكَىٰ (أساً)[٢]فَتَدَاعَىٰ شَجْوُهَـا وَلَهـاً | واستبكيت[٣] أسفاً واستضْحَكَتْ خَجَلاً
مُحَــدِّثي بحديث الــركب لا تَرِبَتْ | كَفَّــاكَ زِدْ عَلَــلاً أَوْ زِدْ به عِلَــلاً
حدِّثْتَ عن ساكني الوادي فَمَافَعَلتْ | من بعدِنَـا سَرْحَـةُ الـوادي ومافَعَــلاَ
وكيـــفَ حيٌّ بحصرانٍ عَهِدتُهُـــمُ؟ | وَمَـنْ أقام بهم بَعْدي؟ومَـنْ رَحَـلاَ؟
ياطاعنـــي بقنــاةِ القَـــدّ لاشَطَطــاً | وأنتَ ياراشِقِـــي بالنَبْــل لاشَلَــلَا
ويامُـــغِبّ زيـــارَاتي أَعَــنْ مَلَــلٍ | أعيَا بها، أمْ لِحَــالٍ أوجَبَ الملَـــلا
ماكان ضرَّكَ والأوقَـــاتُ مسعفَـــةٌ | أن تجعلَ السَّمَرَ المُسْتَعذَبَ الطُّفَلَا[٤]

---

(١) إذا كان هذا هو شعر الصبا وبداياته الشعرية فلسنا مبالغين إذا ادعينا أن ما نشر من شعره سابقاً وما نقدمه من قصائد لم تنشر بعد جمعه إنما يمثل جزءاً بسيطاً من إنتاج الشاعر ابن هتيمل الغزير والرائع .. وسوف نظل على صلة بتراث هذا الشاعر حتى نستجلي منه المزيد من الروائع بإذن الله .

(٢) هكذا في نسخة (م) والصواب على ألف مقصوره «أسى» كما في نسخة (ج) .

(٣) لعلها ضرورة الشعر جعلته يضيف (ياء) إلى استبكت بمعنى تباكت أو استدعت دموع عيونها أسفا .

(٤) الطفلا : أول الليل . وقيل الطفل : قبل غروب الشمس. وهذا أقرب للمعنى . تاج العروس ج٧ ص ٤١٧ .

٢٦ ــ وقال في صباه متغزلاً أيضاً

أَتُـــرىٰ ماسَنَّ ذَيَّـــاكَ الطَّـــلَا وَقَـفَ الحبُّ علىٰ عبــد(١) الطَّـــلَا

رَشَاً صَغَّـــر خَدَّيْـــه لَنَـــا وخليـــلٌ جَرَّ ذيـــل الخُيَـــلَا

نامَ عن ليلـــة مَشْغُـــوفٍ به فَعَـــلَ الحبُّ به مافعَـــلَا

أيها القاتِـــلُ لاذُقْتَ الـــرَّدَىٰ والـــذي تَرْشُقُنـــي لاشَلَـــلَا

كلَّمـــا فَوَّق(٢) سهمـــاً صائبـــاً لم يُصِبْ منِّـــيَ إلاَّ مَقْتَـــلَا

كلَّفتنْـــي عِلَّـــةٌ عذريـــةٌ أنـــدُبُ الرَّبْـــعَ وأبكـــي الطَّلَـــلَا

مِلَّـــةٌ أحدثَهَـــا أَهْـــلُ الهوىٰ أُصبـــحَتْ في تابـــعيهم مِلَـــلَا

يافـــؤادي لا بَرِي منك الجوى وضلُوعـــي لافَقَـــدْتِ العِلَـــلَا

جنَّـــةُ الـــعُشَّاقِ(٣) في نارِ الهَـــوىٰ حيثُ ﴿لايبغُـــونَ عنْهَـــا حِوَلَاً﴾

---

(١) لا عبودية إلا لله ولا يجوز للشاعر ولا لغيره أن يتجاوز هذه الحقيقة .

(٢) فوَّق : صوَّب .

(٣) في أصل الصورة المخطوطة : (العاشق) وهي بالافراد لا تتناسب مع الفعل . (يبغون) الوارد بصورة الجمع . في الشطر الثاني : (حيث لا يبغون عنها حولا) وهذا اقتباس واضح من الآية الكريمة .. فقد اقتبس الشاعر من الآية : ﴿ خالدين فيها لا يبغونِ عنها حولا ﴾ الكهف ١٠٨ .

خاتمـــة

حمداً لِلَّهِ في الآخرة والأولىٰ وبعد : ـــ فقد حاول البحث دراسة حياة الشاعر المُفْلِق : القَاسِمُ بنُ عليّ بن هُتَيْمِلْ الخُزَاعِيّ الضَّمَديّ المِخْلَافيّ من خلال شعره الضخم الرائع ـــ بعـد أن منَّ الله على البـاحث بالحصول على عدد من مخطوطات الديوان كان الهدف الأساسي من تجميعها تحقيق الديوان وإخراجه إلى النور لولا بعض عوائق قد تزول وتقوىٰ العزيمة على التحقيق .. وحاولت الدراسةُ الاقتراب من قمة ابن هُتَيْمِلْ الشامخة فتسنَّمَتْ إلى تحقيق هذه الغاية فيضاً من شعره الزاخر فنهلت من معينه الثر بمقدار ما سنحت لها الفُـرَص .. واستطاعت أن تحقق بعضاً من مطامحهـا .. والأمـل في تحقيـق البقية في مقبل الأيام بإذن الله .

بدأ البحث بمقدمة أوضحنا فيها البواعث التي ساعدت على مغامرة الدخول إلى عالم ابن هُتَيْمِلْ كما أوضحنا بها مُجْمَلاً أبواب البحث وفصوله أردفنا ذلك بمدخل أشرنا فيه إلى طول صحبتنا بالشاعر كما أوضحنا سبب وقوفنا على مختارات من شعر ابن هتيمل وسبب عدولنا عن تحقيق كامـل الديوان ، نزولا عند رغبة أحد شبابنا الباحثين الذي ألح علينا بذلك فآثرنا بالفضل أهله آملين له التوفيق والسداد .

دَلَفَ البحث بعد ذلك إلى الباب الأول من أبواب الـدراسة محاولا الولوج إلى عالم الشاعر متعرِّفاً على عصر الشاعر وبعض أحواله ـــ كما تعرف على قبيلة الشاعر : (خُزَاعَـة) ذات الماضي العريق وعن طريق شعر الشاعر تَعَرَّفَ البحثُ على زمن ولادته وأنه في مستهل القرن السابع الهجري على وجه التقريب كما تعرَّفَ على مكان نشأته وعلى تأريخ وفاته وأنها في آخـر

القرن السابع أو أوائل الثامن ، كل ذلك من خلال شعره، بعد أن ضنت علينا كل المصادر بإرواء الغليل .. وعن طريق شعر الشاعر أيضاً تعرَّفنا على ثقافة الشاعر وإحاطته باللغة العربية وعلومها .. وعلوم الشريعة ومعرفته بأيام العرب في جاهليتها وإسلامها .. وإلمامه التام بديوان العرب وأعلامه إلى جانب صلاته الأدبية بأعلام وشعراء عصره ..

كل هذا وذاك من خلال شعره الرائع المليء بالومضات المشعة التي توزع الشذرات هنا وهناك فترسم صورة الشاعر الفحل وتمنحنا قبساً يعوضنا عن كزازة معلومات المصادر التي تناولت هذا الشاعر فلم تعط هذه الجوانب شيئاً من اهتماماتها .

وفي ختام الباب الأول تناول البحث جانباً مهما وهو إثبات انتماء الشاعر القاسم بن علي بن هُتَيْمِلْ إلى موطنه (المخلاف السليماني) «المعروف حالياً بمنطقة (جازان) » وقد أفاد البحث من شعر الشاعر الذي جاء حافلا بما يدفع باطل المدعين فساق نماذج حيةً منه، ثم عَرَّجَ على عدد من المصادر والمراجع التي لا يتطرق الشك إليها فسرد ما يثبت انتماء الشاعر إلى موطنه المخلاف السليماني؛ ومن بين تلك المصادر والمراجع ــ مخطوطات الحسن بن أحمد عَاكِشْ ومحمد حيْدَرْ القُبِّي، وعدد من المطبوعات المهمة كالبدر الطالع للشوكاني ــ وبلوغ المرام للعرشي ــ وتأريخ اليمن للواسعي ــ والعقود اللؤلؤية للخزرجي وغيرهما .. وغيرهما ..

وفي الباب الثاني كانت للبحث وقفات على شعر ابن هتيمل مطبوعه والمخطوط .. فأشرنا إلى أماكن النسخ الخطية للديوان ومنها : مصر ، واليمن، وعُمَان، والهند، والمملكة العربية السعودية . ثم استعرضنا النسختين اللتين اعتمدناهما في الدراسة إحداهما مخطوطة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة ورقمها ٣٠٤٩ . والثانية مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز

بجدة ذات الرقم ١٩٥ موضحين عدد ورقات كل نسخة ، وعدد قصائدها، وعدد أبياتها .. ثم تناولنا الجزء المطبوع من الديوان الذي اختاره الشيخ محمد أحمد العقيلي وأشرنا إلى طريقة صاحب المختارات وأنها لم تكتف بالاستغناء عن عيون شعر ابن هتيمل ولكنها كانت تعمد إلى حذف أبيات أو مقاطع من القصيدة الواحدة ؛ وضربنا لذلك مثلا أوضحنا من خلاله مقدار ما أصاب النص من البتر والحذف الذي أفقده تدفقه .. والنفس الشعري تسلسله ..

ثم تناول البحث بعد ذلك منهج ابن هتيمل الشعري وعرَّج على أهمية الصورة في شعر ابن هتيمل وأنها تَمرُّ لديه بثلاثة مستويات : بسيطة ، ومركبة، ومبتكرة، واستعرض البحث أمثلة لكل مستوىً مُقَارناً بمماثله في الشعر العربي قديمه وحديثه قدر الإمكان .. ثم امتد البحث ليتناول أغراض شعر ابن هتيمل وقد وجدها تتمثل الأغراض الشعرية السائدة في عصره وعصور سابقيه وإن جدد في بعضها إلا أنه في الغالب امتداد حيٌّ لعصر اللغة والأدب في المائة الثالثة من الهجرة وهو عصر الازدهار والتكامل .

وقد تناول البحث كل غرض من أغراضه الشعرية على حِدَة واستعرض أمثلة منه .. ثم تطرق البحث لتناول جوانب مضيئة من شعر ابن هتيمل كالألفاظ والصور الشعبية في شعره، تعرفنا من خلاله على مفردات شعبية ذات أصول فصيحة ، وكأثر البيئة في شعره وقد وجدنا في شعر ابن هتيمل صوراً حيةً لبيئة المخلاف السليماني ولمسنا تفاعله مع عناصر الطبيعة واندماجه في تفاعلاتها .. بل وجدناه يشاركها ذلك التفاعل ..

وتناول البحث اهتمام ابن هتيمل بنَجْدٍ وصَبَاهَا في شعره واستعرضنا نماذج لذلك يحنُّ فيها الشاعر لشيحها وخزاماها، وفي محيط اهتمام البحث بالجوانب المضيئة في شعره استعرضنا النصوص التي يبدو فيها الشاعر متشائماً

من بعض المواقف الحياتية وبعض الأحياء .. كما تناولت الدراسة جانب الحكمة من شعر ابن هتيمل؛ ولأن الشاعر قد عُمِّر طويلاً فقد ظهرت آثار التجربة الحياتية بارزةً في تجربته الشعورية . وفي سائر الأحوال استعرضت الدراسة ألواناً من النماذج الشعرية من شعر ابن هتيمل أغلبها من عيون شعره المخطوط الذي ينشر لأول مرة.

وانتقل البحث في الباب الثالث منه إلى معرفة مكانة الشاعر بين شعراء عصره وبخاصة في الجزيرة العربية ، فاستعرض بإيجاز موقف الشاعر من أحداث عصره وأثبت أن ابن هتيمل كغيره من معاصريه الذين حصروا مشاركاتهم في الأحداث الصغيرة وأغفلوا المشاركة في أحداث الأمة الجسام وإن مدح أمراء مكة أو أمراء حَلِيْ أو أُمراء اليمن وظَفَار وأمراء وأشراف المخلاف السليماني !! ثم حاول البحث معرفة مكانة الشاعر مُقَارناً بمعاصريه في اليمن والأحساء والمخلاف السليماني وخَلَص إلى أن ابن هتيمل يمثل مركز الصدارة بين شعراء عصره بشهادة بعضهم مفيداً من أقوال بعض النقاد أمثال الدكتور شوقي ضيف والمؤرخ أحمد بن أبي الرِّجَال والناقد الأديب أحمد محمد الشامي وإلى جانب ذلك تناول البحث بشكل مفصل موقف الدكتور علي الخضيري من شعر ابن هتيمل مقارنا بشعر ابن المقرب، وأثبت تدفقها شاعرية ابن هتيمل، وإجحاف الدكتور الخضيري في دراسته المقارنة بابن هتيمل مستعرضا نصوصا شعرية مختلفة للشاعرين .

وفي الباب الرابع كانت المحطة الأخيرة والاستراحة إلى نصوص شعرية مختارة تمثل مختلف الأغراض الشعرية التى زخر بها شعر ابن هتيمل مفضلاً اختيار نصوص من شعره المخطوط حاول البحث مقابلتها على المخطوطة الأخرى محاولاً شرح غامضها مفيداً من معاجم اللغة المختلفة تاركاً للنصوص تدفقها دون حذف أو بَتْر أو تشويه ، معللاً النفس بالعودة إلى هذه النصوص ومثيلاتها المخطوطة في دراسةٍ أشمل إن هيأ الله السبيل إلى ذلك فهو وحده

ولي التوفيـق والقـادر عليـه وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله رب العـالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

أولاً : المخطـوطات :

١ ــ مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال المتوفي سنة ١٠٩٢هـ . توجد منه نسخة ناقصة لدى الأستاذ محمد بن علي الحازمي المحاضر بكلية اللغة العربية بفرع الجنوب في أبها وهي غير مرقمة الصفحات وتوجد منه نسخة أخرى لدى الأستاذ : محمد بن أحمد عيسى العقيلي بجازان وأخرى بجامع صنعاء .

٢ ــ الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني للحسن بن أحمد عاكش المتوفي سنة ١٢٩٠هـ . صورة من النسخة الأصلية التي بقلم المؤلف توجد لدى الباحث والنسخة الأصلية لدى الشريف زيد بالحمى .

٣ ــ مخطوطة ديوان القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي المصورة عن نسخة اليمن بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ورقم الميكروفيلم ٣٠٤٩ والنسخة غير مرقمة الصفحات .

٤ ــ مخطوطة ديوان القاسم بن علي بن هتيمل المصورة عن نسخة جامعة الملك عبد العزيز بجدة ورقمها ١٩٥ .

٥ ــ التاريخ الأدبي لمنطقة جازان لمحمد بن أحمد العقيلي في أجزاء ، أعد الجزء الأول للطبع عن طريق نادي جازان الأدبي لعام ١٤١١هـ .

٦ ــ الجواهر اللطاف في أنساب أشراف صبياء والمخلاف لمحمد حيدر القبي نسخة مصورة عن نسخة المؤلف توجد لدى الباحث والنسخة الأصلية لدى أسرة المؤلف وتوجد نسخ أخرى لدي العقيلي وغيره .

٧ ــ ابن دنينير الشاعر المغمور . رسالة دكتوراه تحت الطبع للدكتور محمود سعيد رئيس قسم اللغة العربية بكلية إعداد المعلمين بجيزان .

ثانياً : المطبوعـــات :

أ ــ القرآن الكريم .

ب ــ الحديث الشريف .

١ ــ أحمد السباعي (تاريخ مكة) الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ، الناشر نادي مكة الثقافي ط. دار مكة للطباعة والنشر .

٢ ــ أحمد حسن الزيات (تاريخ الأدب العربي) طبعة قديمة رديئة الورق ليست عليها معلومات عن سنة الطبع أو النشر .

٣ ــ أحمد شرف الدين (دراسات في أنساب قبائل اليمن) ط ١٤٠٥/٣هـ وهي طبعة خاصة بوزارة المعارف السعودية .

٤ ــ أحمد محمد الشامي (قصة الأدب في اليمن) ط٢ عن دار العمير للنشر ١٤٠٥هـ وطبع في دار العلوم بجدة .

٥ ــ أحمد محمد الشامي (تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي) ج٤ طبع وتوزيع دار النفائس ببيروت ١٤٠٧هـ .

٦ ــ د. أحمد بن عبد الواحد (حميد بن ثور الهلالي/دراسة في شعر المخضرمين) ط مطابع الصفا بمكة عام ١٤١٠هـ .

٧ ــ د. أحمد موسى الخطيب (شعر علي بن المقرب العيوني دراسة فنية) ط دار المريخ بالرياض عام ١٤٠٤هـ .

٨ ــ البحتري . أبو عبادة الوليد بن عبيد (ديوان البحتري) طبع دار صادر بيروت دون أي معلومات أخرى .

٩ ــ البستاني المعلم بطرس (محيط المحيط) مكتبة لبنان عام ١٩٧٩م مطابع مؤسسة جواد للطباعة ببيروت عام ١٩٨٣م .

١٠ ــ الجوهري إسماعيل بن حماد (الصحاح) تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطار ط٣ دار العلم للملايين ببيروت عام ١٤٠٤هـ .

١١ ــ الحازمي . الحسن بن خالد (من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي) تحقيق د. عبد الله أبو داهش ط مطابع الجنوب في أبها عام ١٤٠٧هـ .

١٢ ــ الحازمي حجاب بن يحيى (أبجديات في النقد والأدب) من منشورات نادي جازان الأدبي عام ١٤٠٥هـ ط١ .

١٣ــ الحازمي حجاب بن يحيى (نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة عسير) منشورات نادي جازان الأدبي عام ١٤٠٩هـ .

١٤ــ الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي (الإيناس في علم الأنساب) .

١٥ ــ الحصري. أبو اسحاق إبراهيم علي الحصري القيرواني (زهر الآداب) تحقيق د. زكي مبارك ط٤ دار الجيل ببيروت من غير ذكر لسنة الطبع .

١٦ ــ الرازي الإمام محمد بن أبي بكر (مختار الصحاح) ط مطبعة الحلبي بمصر وبدون ذكر لعام الطبع أو النشر .

١٧ ــ الزركلي خير الدين (الأعلام / ط ٤ دار العلم للملايين في بيروت ١٣٨٨هـ .

١٨ ــ الزمخشري / أبو القاسم / محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي (أساس البلاغة) تحقيق عبد الرحيم محمود الطبعة السادسة دار المعرفة بيروت عام ١٤٠٢هـ .

١٩ ــ الصمّة القشيري (ديوان الصّمة) تحقيق د. عبد العزيز الفيصل، الناشر نادي الرياض الأدبي ١٤٠١هـ .

٢٠ ــ الطبري/ أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)ط دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤٠٧هـ الطبعة الاولى.

٢١ ــ الفاسي/محمد بن أحمد المكي ويُكنَّى أبو لطيف التقي الفاسي (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) ط مصر سنة ١٩٥٩م .

٢٢ ــ الفرزدق / همام بن غالب (ديوان الفرزدق) ط دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٤٠٤هـ .

٢٣ ــ الفيروز أبادي مجد الدين/ محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بالفيروز أبادي (القاموس المحيط) مكتبة النوري بدمشق دون ذكر العام الذي طبع فيه .

٢٤ ــ القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي (ديوان ابن هتيمل) الجزء المطبوع من اختيار محمد أحمد العقيلي الصادر عام ١٣٨١هـ وسمى الطبعه الأولى : ديوان ــ وسمى الطبعة الثانية (مختارات) وصدرت عام ١٤١٠هـ .

٢٥ ــ القلقشندي أبو العباس/ أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) ط١ دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤٠٥هـ.

٢٦ ــ المتنبي/ أحمد بن الحسين الملقب بالمتنبي (ديوان المتنبي) تحقيق البرقوقي الناشر دار الكتاب العربي ببيروت دون ذكر لعام الطبع .

٢٧ ــ الواسعي عبد الواسع بن يحيى (فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن) ط الدار اليمنية للنشر والتوزيع . دون ذكر لعام النشر .

٢٨ ــ اليعقوبي أبو العباس / أحمد بن أبي يعقوب اسحاق صقر بن وهب ابن واضح العباسي (تأريخ اليعقوبي) ج١ ط دار بيروت ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .

٢٩ ــ ابن الرومي / علي بن العباس بن جريج (حياته وشعره) لعباس محمود العقاد . الناشر دار الكتاب العربي ببيروت عام ١٣٨٦هـ الطبعة السادسة .

٣٠ ــ ابن دريد / محمد بن الحسن (الاشتقاق) ط مكتبة الخانجي بالقاهرة تحقيق عبد السلام هارون عام ١٤٠١هـ .

٣١ ــ ابن سعد / محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (الطبقات الكبرى) ط دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٤٠٠هـ .

٣٢ ــ ابن سيده/أبو الحسن/علي بن إسماعيل النحوي (المخصص) ط دار الفكر بيروت عام ١٩٨٣م .

٣٣ ــ ابن عبد ربه / أبو عمر/ أحمد بن محمود (العقد الفريد) تحقيق أحمد أمين أحمد الزبن، إبراهيم الابياري ط دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٣هـ .

٣٤ ــ ابن كثير/ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (البداية والنهاية) ج١ و ج١٣ طبع دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤٠٥ .

٣٥ ــ ابن منظور / جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (لسان العرب) ط الدار المصرية للتأليف والنشر دون ذكر معلومات عن تاريخ الطبع أو النشر .

٣٦ ــ ابن هانيء / محمد بن الحسن الأندلسي (ديوان ابن هانيء الأندلسي) ط دار بيروت توزيع دار الباز للنشر والتوزيع عام ١٤٠٠هـ .

٣٧ ــ أبو العتاهية / إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان (ديوان أبو العتاهية) ط دار صعب بيروت ولا يوجد تاريخ الطبع أو أي معلومات أخرى .

٣٨ ــ أبو تمام/ حبيب بن أوس (ديوان أبي تمام) تحقيق محمد عبده عزام ط دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .

٣٩ ــ أبو عبد الله المصعب الزبيري (نسب قريش) تحقيق أ. ليفي بروفنسال ط دار المعارف بمصر عام ١٩٦١م .

٤٠ ــ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي (جمهرة أنساب العرب) ط دار

الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

٤١ ـ د. بكري شيخ أمين (مطالعات في الشعر المملوكي) ط٤ دار العلم للملايين عام ١٩٨٦م .

٤٢ ـ حسين أحمد العرشي (نيل المرام في شرح مسك الختام في من تولي ملك اليمن من ملك وإمام) تحقيق وتذييل انستاس الكرملي طبع دار الندوة الجديدة ببيروت دون ذكر لتاريخ النشر .

٤٣ ـ جورجي زيدان (تاريخ آداب اللغة العربية) منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٧٣م .

٤٤ ـ رفيق المعلوف، كرم البستاني ، عادل(المنجد في اللغة والأعلام) الجزء الخاص بالأعلام ط/٣٠ عام ١٩٨٨م منشورات دار الشروق .

٤٥ ـ سيد قطب (كتب وشخصيات) ط دار الكتب العربية ببيروت دون ذكر لعام الطبع أو النشر .

٤٦ ـ شوقي ضيف (تأريخ الأدب العربي ـ عصر الدول والإمارات) ط دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .

٤٧ ـ شوقي ضيف (العصر العباسي الأول / دار المعارف بمصر دون ذكر لعام الطبع والنشر .

٤٩ ـ شوقي ضيف (العصر العباسي الثاني / ط دار المعارف بمصر عام ١٩٧٢م .

٥٠ ـ عائشة عبد الله باقارش (بلاط الحجاز في العصر الأيوبي) ط دار مكة للنشر نادي مكة الثقافي عام النشر ١٤٠٠هـ .

٥١ ـ عبد الحليم منتصر وآخرون ـ المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

٥٢ ـ عبد الرحمن البرقوقي (ديوان حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه) ضبط وتصحيح البرقوقي . طبع دار الأندلس ببيروت عام

١٩٨٠م .

٥٣ ــ عبد الرحمن الوكيل (هذه هي الصوفية) ط٤ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٤م.

٥٤ ــ عبد الله البردوني (رحلة في الشعر اليمني) ط دار العودة بيروت ط٣ ١٩٧٨م .

٥٥ ــ عبد الله الحبشي (مصادر الفكر الاسلامي والعربي في اليمن) ط مركز الدراسات اليمنية بصنعاء دون ذكر لعام الطبع والنشر .

٥٦ ــ عبد الله عبد الكريم الجرافي (المقتطف من تاريخ اليمن) منشورات دار العصر الحديث بيروت عام النشر ١٤٠٧هـ .

٥٧ ــ عبد الله كنون (مالك بن المرحل) طبعة خاصة بوزارة المعارف السعودية ١٤٠٥هـ .

٥٨ ــ علي بن الحسن الخزرجي المتوفي سنة ٨١٢هـ (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) ط مطبعة الفجالة بالقاهرة ١٣٢٩هـ .

٥٩ ــ علي الجارم وأحمد أمين وآخرون (المفصل في تاريخ الأدب العربي) طبع مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بمصر ولم يدون به تاريخ النشر .

٦٠ ــ د. علي عبد العزيز الخضيري (علي بن المقرب حياته وشعره)ط دار بساط بيروت ١٤٠٣هـ.

٦١ ــ عمران محمد العمران (ابن مقرب حياته وشعره) مطابع الرياض عام ١٣٨٨هـ.

٦٢ ــ عمر رضا كحالة (معجم المؤلفين) ط دار إحياء التراث العربي ببيروت وذكر أن كتابة المقدمة عام ١٣٨٢هـ ولم يذكر تاريخ النشر .

٦٣ ــ عمر فروخ (تاريخ الأدب العربي) ط٥ دار العلم للملايين عام

١٩٨٤م بيروت .
٦٤ ــ قدامة بن جعفر (جواهر الألفاظ) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤٠٥هـ .
٦٥ ــ محمد أحمد الأشعري (التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب) تحقيق د. سعد ظلام . منشورات نادي أبها الأدبي عام ١٤١٠هـ .
٦٦ ــ محمد أحمد العقيلي (المعجم الجغرافي لمنطقة جازان) ط مطبعة نهضة مصر عام ١٣٩٩هـ منشورات نادي جازان الأدبي .
٦٧ ــ محمد أمين البغدادي (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب) ط١ بدار الكتب العلمية بيروت عام ١٤٠٦هـ .
٦٨ ــ د. محمد سالم بن شديد العوفي (العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي) ط دار بساط بيروت عام ١٤٠٣هـ .
٦٩ ــ محمد شاكر الكتبي (فوات الوفيات والدليل عليها) تحقيق إحسان عباس طبع دار النفائس ببيروت عام ١٩٧٤م .
٧٠ ــ محمد عبد المنعم خفاجي (قصة الأدب في الأندلس) ج٢ منشورات مكتبة المعارف بيروت دون ذكر تاريخ النشر .
٧١ ــ محمد طلس (تاريخ الأمة العربية) دون معلومات عن تاريخ النشر ومكانه .
٧٢ ــ محمد بن علي الشوكاني (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) ط دار المعارف بيروت ــ مصورة عن نسخة مطبوعة بدار المعارف بمصر عام ١٣٤٨هـ . توزيع دار الباز بمكة .
٧٣ ــ محمد محمد زبارة (نيل الوطر في تراجم رجال القرن الثالث عشر) المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٨هـ .

٧٤ ــ محمد محيي الدين عبد الحميد (ديوان عمر بن أبي ربيعة) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط٢ ط مطبعة السعادة بمصر ١٣٨٠هـ .

٧٥ ــ مصطفى الشكعة (الشعر والشعراء) ط١ دار العلم للملايين عام ١٩٧٩م .

٧٦ ــ محمود كامل المحامي (اليمن شماله وجنوبه ــ تاريخه وعلاقاته الدولية) طبع دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٦٨م .

٧٧ ــ ياقوت الحموي (معجم الأدباء) ط٣ عام ١٤٠٠هـ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت .

ثالثاً : الدوريات :

١ ــ مجلة العرب العدد ٦ السنة الرابعة عدد ذي الحجة عام ١٣٩٠هـ .

٢ ــ (الأربعاء) ملحق صحيفة المدينة العدد (٤٩) بتاريخ ١٤٠٤/٤/٢٣هـ .

٣ ــ مجلة الأزهر الجزء الحادي عشر السنة الثانية والستون ذو القعدة عام ١٤١٠هـ .

٤ ــ الحولية السابعة ــ من حوليات جامعة الكويت الصادرة عن كلية الآداب لعام ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م .

المحتوى

المحتــوى

الموضـوع	الصفحة

البـاب الثالـث

موقف الشاعر من عصره وشعرائه (١٨٥ ـــ ٢٢٤)

الموضــوع الصفحة

الموضـوع **الصفحة**



الرياض ـ ٤٠٢٧٦٣٣ ـ ٠١ / ٤٠٥٦٥٤٠ ـ ٠١

المؤلف في سطور



حجاب بن يحيى بن موسى الحازمي

- من مواليد مدينة ضمد بمنطقة جازان سنة ١٣٦٤هـ.
- تعلم القرآن على يد والدته، وحفظ بعض المتون على بعض مشايخ العلم في بلده، ودرس في مدرسة الشيخ القرعاوي بضمد.
- أكمل تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي بمعهد سامطة العلمي.
- حصل على ليسانس اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- حصل على دبلوم الإدارة المدرسية من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- عمل بالتدريس في المرحلتين المتوسطة والثانوية أكثر من عشر سنوات.
- عمل مديراً لثانوية ضمد ثمانية عشر عاماً.
- يعمل الآن مدرساً بمعهد ضمد العلمي.
- رئيس نادي جازان الأدبي.
- شارك في عدد من المؤتمرات الأدبية والمهرجانات الثقافية.
- مثل المملكة في مهرجان جرش بالأردن عام ١٤٠٧هـ.
- رئيس وعضو في عدد من اللجان الثقافية والاجتماعية بالمنطقة وخارجها.
- حاز على بعض الجوائز وبعض الدروع والميداليات في عدد من المناسبات الثقافية والعامة.

صدرت له الأعمال الأدبية التالية:

- (وجوه من الريف) مجموعة قصصية صدرت طبعتها الثالثة عام ١٤٠٣هـ عن دار الأصالة بالرياض.
- أبجديات في النقد والأدب - صدر عن نادي جازان الأدبي عام ١٤٠٥هـ.
- نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير من عام ٩٣٠ - ١٣٥٠هـ صدر عن نادي جازان الأدبي في طبعته الأولى عام ١٤٠٨هـ.
- القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره، صدر عن نادي مكة الثقافي عام ١٤١٤هـ.
- لمحات عن الشعر والشعراء بمنطقة جازان خلال العهد السعودي صدر عن نادي جازان الأدبي عام ١٤٢٣هـ.
- من حلل الشعراء وحيلهم الفنية إصدار المجلة العربية في الرياض عام ١٤٢٣هـ.

وله من الأعمال المعدة للطبع:

عدد من الأبحاث وورقات العمل التي شارك ببعضها في ندوات علمية ومؤتمرات أدبية أو مهرجانات ثقافية.

ديوان شعر.

كتاب تحري القول الصواب.